القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الاسبوعي
Weekly
السنة الرابعة والثلاثون العدد 10617 الأحد 8 أيار (مايو) 2022 – 7 شوال 1443 هـ
Volume 34 - Issue 10617 Sunday 8 May 2022

16

حوار: الأكاديمية والحقوقية التونسية حفيظة شقير

36

هياكل بعلبك اللبنانية: تراث إنساني وحضاري

41

أين سنشاهد كريستيانو رونالدو الموسم المقبل؟

حكومة العراق: رهان شيعي على المستقلين
05

حريات: إسكات الفلسطينيين على شبكات التواصل
18

كتب: سيرة حياة إدوارد سعيد
21

موسكو – تل أبيب: أوكرانيا سحابة صيف

نادرة هي المناسبات التي شهدت وصول العلاقات الروسية – الإسرائيلية إلى مستوى الصدام أو حتى القطيعة، وتصحّ هذه الخلاصة بصفة خاصة خلال عهود الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وبصرف النظر عن الائتلاف الحاكم في دولة الاحتلال. والخلافات البسيطة التي نشأت مؤخراً على خلفية الاجتياح الروسي لأوكرانيا لم تكسر القاعدة وبدت أقرب إلى سحابة صيف، حتى بعد تصريح وزير الخارجية الروسي حول «دماء هتلر اليهودية». بقي الأساس هو الامتناع الإسرائيلي عن تزويد أوكرانيا بالسلاح، أو الاشتراك مع الولايات المتحدة وأوروبا في فرض العقوبات على موسكو. كذلك صمد أكثر من ذي قبل أساس آخر جيو – سياسي هو توافق موسكو وتل أبيب على اعتداءات الطيران الحربي الإسرائيلي المتكررة في عمق الأراضي السورية.

(حدث الأسبوع 8-15)

■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Price List
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

الجهود الدولية في إنقاذ المدنيين في أوكرانيا: نجاح لكنه محدود

مشوار إخلاء المدنيين ما زال طويلا وهناك مئات الآلاف بحاجة ماسة إلى الخروج من الملاجئ بعد نفاد المواد الغذائية والماء والأدوية.

نيويورك (الأمم المتحدة) «القدس العربي»: عبد الحميد صيام

المدنيون والحقيقة هما أوائل ضحايا الحروب. وسنحاول أن نبتعد عن السياسة في هذا المقال ونركز على الضحايا من المدنيين الذين لا علاقة لهم بالحرب ولم يتخذوا قرار الحرب ولم يستشاروا فيما إذا كان من الحكمة أن تدخل حكومتهم في حرب. ومن المؤكد أن عدد المتضررين من المدنيين الأوكرانيين في هذه الحرب من اللاجئين والمشردين والقتلى والجرحى يشكل أعظم مأساة من صنع الإنسان منذ الحرب العالمية الثانية بمقياس الزمن. فقد شرد نحو خمسة ملايين في أقل من شهرين، بينما شرد من الشعب السوري نفس العدد تقريبا لكن على مدى عشر سنوات أو يزيد. إن الشعور بمأساة الأبرياء ظاهرة إنسانية يجب ألا ترتبط بأي تبرير سياسي. فمن رأى أطفالا في بناية تحترق ثم راح يحلل أسباب الحريق ويبحث عن خلفيات الحادث والمشبوهين في إضرام النار أولا قبل أن يحاول أن ينقذ الأطفال أو يتعاطف معهم ويحس بوجعهم ووجع أهاليهم فإن ذلك مرفوض إنسانيا وأخلاقيا ودينيا وعرفيا. ومن لا يتعاطف مع مآسي الأبرياء في أي مكان لا يتوقعن من الآخرين أن يتعاطفوا مع مآسيه إن كانت واقعة أو عندما تقع.

لقد تميزت الحرب في أوكرانيا بأنها «تدميرية» وخاصة للبنية التحتية المدنية كالمباني السكنية والمدارس والمستشفيات والمحطات والمصانع ومخازن الحبوب في المناطق المأهولة بالسكان. ووصل عدد من أُجبروا على الفرار من مساكنهم الاعتيادية ما يزيد على 13 مليون أوكراني. من بينهم 7.7 مليون نازح داخلياً. ونحو 5.5 مليون لاجئ عبروا الحدود في كل الاتجاهات بما فيها روسيا. أما الأشخاص الأكثر ضعفا ومعاشة من كبار السن والمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة فقد بقوا في منازلهم أو في مراكز اللجوء والإيواء لكنهم بحاجة إلى مواد غذائية وأدوية وملابس وغير ذلك من الاحتياجات الضرورية.

ارتقت الأمم المتحدة وشركاؤها في المجال الإنساني، والذين يصل عددهم إلى 217 منظمة وجماعة إنسانية على الأقل، إلى مستوى التحدي والمسؤولية وبسرعة غير اعتيادية نتيجة توفير السيولة النقدية بسرعة قصوى ووجود أممي على الأرض منذ عام 2014. ويعمل تحت راية المنظمة الدولية أكثر من 1400 موظف منتشرين في جميع أنحاء البلاد، يعملون من ثمانية محاور خارج كييف، تضم عددا من المستودعات والإمدادات، متصلة بـ 30 موقعا موزعة على جميع أنحاء البلاد. أضف إلى ذلك وجود نحو 600 موظف تابعين للجنة الدولية للصليب الأحمر والتي تعمل بالتنسيق والتشارك مع منظمات الأمم المتحدة الإنسانية. لقد تمكنت هذه المجموعات من إيصال المساعدات الإنسانية إلى أكثر من 4.1 مليون شخص في جميع مقاطعات البلاد الـ 24. وتسعى المنظمة الدولية إلى مضاعفة هذا العدد ليصل إلى 8.7 مليون شخص بحلول نهاية آب/أغسطس المقبل.

وتشمل المساعدات التي تقدمها الأمم المتحدة، إضافة إلى المواد الغذائية والطبية، توزيع كوبونات نقدية للمحتاجين والمتضررين الذين تقطعت بهم السبل بعيدا عن مصادر رزقهم. وبحلول نهاية أيار/مايو الحالي، سيصل عدد المستفيدين من المنحة النقدية إلى 1.3 مليون شخص. وسترتفع قيمة المساعدات النقدية بشكل مطرد في الأشهر المقبلة.

زيارة الأمين العام لموسكو وكييف

تعرض الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، إلى نقد حاد من كثير من الدول بسبب تردده في زيارة منطقة الصراع لمدة طويلة. ويبدو أن ذلك يعود لبرودة الموقف الروسي من الأمين العام وصل حدّ انتقاده علنا بالتحيز لصالح المعسكر الغربي من قبل الممثل الدائم لروسيا، فاسيلي نيبنزيا. وكانت الصحافة المعتمدة هي الأكثر قسوة في تكرار السؤال: متى سيزور الأمين العام المنطقة وهل ينوي زيارتها وهل وصلته دعوات للزيارة، لماذا يحتاج إلى إذن من أحد للقيام بالزيارة؟ أخيرا قرر الذهاب ولكن إلى موسكو أولا وهو ما عرضه إلى نقد حاد من السلطات الأوكرانية التي كانت تأمل أن يزورها أولا ليرى بعينيه حجم الدمار والخراب وخاصة في مدينة بوتشا التي شهدت، حسب المصادر الأوكرانية، مجازر مروعة وعثر فيها على عدد من المقابر الجماعية.

وصل الأمين العام موسكو يوم 26 نيسان/أبريل وكييف يوم 28 من نفس الشهر. وتوقف في أنقرة وهو في طريقه إلى موسكو ثم توقف في رزيسزاو في بولندا وهو في طريقه إلى كييف. وفي أوكرانيا زار أربعة مواقع من بينها مدينة بوتشا التي كما قيل، شهدت مجازر مروعة. وقال الأمين العام في مؤتمر صحافي مع الرئيس الأوكراني زيلينسكي: «أنا هنا لأقول لكم، لن نستسلم. بينما نواصل الضغط من أجل التوصل إلى وقف إطلاق نار شامل، سنواصل السعي أيضا لاتخاذ خطوات عملية فورية لإنقاذ الأرواح والتخفيف من المعاناة الإنسانية».

وكانت الحكومة الأوكرانية وجهت نداءً إلى الأمم المتحدة وللأمين العام شخصيا للقيام بمحاولة لإنقاذ المدنيين المحاصرين في مدينة ماريوبول المنكوبة وتحديداً المحاصرين داخل مصنع آزوفستال.

ماريوبول ودور المنظمة الدولية

في اجتماع غوتيريش مع الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، شدد الأمين العام على حتمية تمكين وصول المساعدات الإنسانية وعمليات الإجلاء من المناطق المحاصرة، بما في ذلك في المقام الأول ماريوبول. كما حث الأمين العام السلطات الروسية تسهيل عملية فتح ممر إنساني آمن وفعّال للسماح للمدنيين بالوصول إلى بر الأمان من مصنع آزوفستال. وحسب إحاطة الأمين العام لمجلس الأمن يوم الخميس 5 أيار/مايو، فإن السلطات الروسية قد بعثت له تأكيدا بعد وقت قصير من مغادرته موسكو الموافقة من حيث المبدأ على المرور الآمن وإخلاء المدنيين. وقال: «وتابعنا على الفور بعمل تحضيري مكثف مع اللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى جانب السلطات الروسية والأوكرانية. كان هدفنا في البداية هو تمكين هؤلاء المدنيين من الإخلاء الآمن من معمل آزوفستال ولاحقًا من بقية المدينة في أي اتجاه يختارونه، وتقديم المساعدة الإنسانية. ويسعدني أن أبلغكم عن قدر من النجاح».

لقد بدأت عملية الإخلاء فعلا يوم 29 نيسان/أبريل وتطلبت تنسيقا هائلا ودعوة من الاتحاد الروسي والسلطات الأوكرانية. واستمرت خمسة أيام بتنسيق بين الأمم المتحدة واللجنة الدولية للصليب الأحمر وطرفي النزاع. وحتى الآن، تم الانتهاء بنجاح من قافلتين عبرتا الممر الآمن. في الأولى، التي اختتمت في 3 أيار/مايو، تم إجلاء 101 مدني من معمل آزوفستال إلى جانب 59 آخرين من منطقة محاورة. وفي العملية الثانية، التي اكتملت مساء الأربعاء، تم إجلاء أكثر من 320 مدنيا من مدينة ماريوبول والمناطق المحيطة بها. وهناك عملية ثالثة جارية – لم يكشف الأمين العام عن تفاصيلها قبل اكتمالها لتجنب تقويض أي نجاح محتمل. لقد بلغ مجموع الذين تم إجلاؤهم من ماريوبول نحو 500 جلهم من النساء والأطفال. وعلى طول الطريق، انضمت عائلات وأشخاص في سيارات خاصة إلى قافلة الحافلات وسيارات الإسعاف برفقة فرق اللجنة الدولية للصليب الأحمر والأمم المتحدة. ووصل أكثر من مئة شخص، بينهم بعض الجرحى إلى زابوريجيا. كما تمكن أشخاص آخرون من الخروج من المصنع إلى أماكن أخرى لم تحدد؛ ولم تنظم الأمم المتحدة واللجنة الدولية للصليب الأحمر هذه التحركات للمدنيين ولم ترافقاها.

وتعمل الأمم المتحدة الآن بحذر وروية على استكمال الإخلاء الآمن للمدنيين من جهة، ورفع مستوى وحجم المعونات الإنسانية للمحاصرين واللاجئين والمشردين من جهة أخرى.

وصرح باسكال هونت، رئيس بعثة اللجنة الدولية للصليب الأحمر في أوكرانيا تعليقا على عملية الإخلاء: «مكنت هذه العملية المعقدة توفير ممر آمن للمدنيين من مغادرة آزوفستال ومنطقة ماريوبول، إلا أنه كان يحدونا الأمل أن يتمكن المزيد من الأشخاص من الانضمام إلينا». وأضاف: «ثمة ضرورة ملحة في التوصل إلى اتفاقيات مماثلة بين الأطراف لتخفيف المعاناة الهائلة التي يتكبدها المدنيون المحاصرون في مناطق الأعمال القتالية».

وقال رئيس اللجنة الدولية، بيتر ماورير: «إن ما يبعث على الارتياح الكبير خروج بعض المدنيين الذين عانوا منذ أسابيع أخيرًا». وأضاف: «لم تنس اللجنة الدولية الأشخاص الذين ما زالوا هناك، ولا الأشخاص الموجودين في المناطق الأخرى المتضررة من الأعمال العدائية أو الأشخاص الذين هم في أمس الحاجة إلى الإغاثة الإنسانية، أينما كانوا. كما أننا لن ندخر أي جهد للوصول إليهم». لقد نجحت الأمم المتحدة وبمساهمة هامة من اللجنة الدولية للصليب الأحمر، في المرحلة الأولى من إخلاء المدنيين من ماريوبول وشاهدت ثمار عملهما خلال الأسابيع العديدة الماضية. لقد عمل الأمين العام ومنسق الشؤون الإنسانية بصمت لمدة طويلة ومارسا الضغط للحصول على اتفاق بشأن وقف إطلاق نار محلي، أو لفترات مؤقتة. وأخيرًا أثمرت تلك الجهود لكن مشوار الإخلاء ما زال طويلا وهناك مئات الآلاف بحاجة ماسة إلى الخروج من الملاجئ بعد نفاد المواد الغذائية ويخشى المسؤولون هنا أن التأخر في ترتيب ممرات آمنة جديدة من المناطق المحاصرة قد يعني فوات الأوان لعدد كبير من المدنيين الأكثر ضعفا وقلة حيلة. لكن المنظمة الدولية واللجنة الدولية للصليب الأحمر والشركاء المحليين، كلها تعمل بصمت وبجدية مطلقة لضمان استمرار إخراج المدنيين قبل فوات الأوان.

لبنان: دائرة الرؤساء في الشمال الثالثة جعجع ثم فرنجية الأقوى وباسيل الحلقة الأضعف

إذا نجح المعارضون في إسقاط باسيل يخسر فرصة محتّمة للوصول إلى قصر بعبدا علماً أن فرنجية هو الأوفر حظاً ليكون مرشّح حزب الله وفريق 8 آذار.

بيروت – «القدس العربي»: سعد الياس

قبل أسبوع على موعد الانتخابات النيابية المقررة الأحد المقبل في 15 أيار/مايو، تُعتبر معظم الدوائر الانتخابية هامة إلا أن دائرة الشمال الثالثة التي تضم 4 أقضية مسيحية هي بشري وزغرتا والكورة والبترون تكتسب أهمية لافتة كونها تضم أكثر من إسم مرشح طبيعي لرئاسة الجمهورية في طليعتهم رئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل ورئيس «تيار المردة» سليمان فرنجية المتحالفين مع حزب الله ورئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع الخصم الرئيسي للحزب، فيما رئيس «حركة الاستقلال» النائب المستقيل ميشال معوض من زغرتا الذي تربطه علاقة خاصة بالولايات المتحدة الأمريكية ليس بعيداً عن الترشح وهو متحالف مع مجموعة أسماء من خارج دائرة الشمال الثالثة تُعتبر بدورها مرشحة طبيعياً للرئاسة الأولى مثل رئيس حزب الكتائب سامي الجميّل من المتن ورئيس لائحة «صرخة وطن» النائب المستقيل نعمت افرام من كسروان.

ويسعى هؤلاء المرشحون لإثبات حضورهم وتحقيق الفوز في الانتخابات، ويتنافسون على نيل أكبر كتلة مسيحية بعدما احتكر الجنرال ميشال عون ومن بعده صهره جبران باسيل منذ عام 2005 صفة الممثل الأكبر للمسيحيين قبل أن يوقّع تفاهم «مار مخايل» مع أمين عام حزب الله السيد حسن نصرالله وينقلب على شعارات السيادة والحرية والاستقلال ويغطي سلاح الحزب خلافاً للخط التاريخي للمسيحيين.

وتضم دائرة الشمال الثالثة التي سُمّيت «دائرة الرؤساء» 10 مقاعد مسيحية بينها مارونيان في بشري وثلاثة موارنة في زغرتا واثنان مارونيان في البترون وثلاثة أورثوذكس في الكورة. ويترشّح في هذه الدائرة عن قضاء البترون صهر العهد جبران باسيل الذي سيستفيد من النظام النسبي ليحاول حجز مقعد نيابي في البترون إسوة بانتخابات 2018 بعدما فشل في دورتي 2005 و2009 بسبب النظام الأكثري الذي لو كان معتمداً حالياً لما تمكّن من الفوز بل لكان مرشحو 14 آذار/مارس حققوا انتصاراً كبيراً. ولفت في هذا المجال كلام لباسيل يتهم فيه خصومه بمحاربته بالمال، وقال «بدل أن تأتوا بـ 30 مليون دولار أعطونا نصف المبلغ لنصرفه في قضاء البترون وأنا أتنحّى». لكن مجد بطرس حرب المرشح في البترون أيضاً في وجه باسيل مدعوماً من حزب الكتائب بالتحالف مع ميشال معوض نفى الاتيان بالمال، وقال إن باسيل سيتنحّى ليل 15 ايار/مايو من دون أن يحصل على 15 مليون دولار.

ومن نقاط الضعف لدى باسيل تراجع شعبية التيار العوني رغم التوظيفات الانتخابية التي قام بها رئيس التيار في مناصب الدولة ورغم الخدمات التي قام بها لاستقطاب تأييد الناخبين إضافة إلى خسارته الأصوات السنية التي طلب الرئيس سعد الحريري عام 2018 أن تُعطى لصديقه، كما خسارته أصوات حليفه السابق ميشال معوض الذي شكّل لائحة «شمال المواجهة». وقد سعى باسيل للتعويض عن خسارة هذه الأصوات بالتحالف مع أحد جناحي الحزب السوري القومي الاجتماعي ممثلاً بوليد العازار بعدما رفض رئيس «تيار المردة» كل الوساطات للتحالف مع باسيل بما فيها الاتصالات التي قام بها حزب الله لعدم منحه فرصة المنافسة في السباق الرئاسي، وإذا نجح المعارضون في إسقاط باسيل يخسر فرصة محتّمة للوصول إلى قصر بعبدا علماً أن فرنجية هو الأوفر حظاً حالياً من باسيل ليكون مرشح حزب الله وفريق 8 آذار.

في المقابل، تُعتبر القوات اللبنانية الحزب الأقوى في دائرة الشمال الثالثة وتحديداً في أقضية بشري والكورة والبترون وهي فازت في انتخابات 2018 بثلاثة مقاعد وكادت تحصل على المقعد الرابع، وما زال الوضع على حاله في هذه الدورة حيث للقوات لائحة من 10 مرشحين أبرزهم عن قضاء بشري النائبة ستريدا جعجع والنائب جوزف اسحق وعن قضاء الكورة فادي كرم وعن البترون غياث يزبك وعن زغرتا مخايل الدويهي.

وتستفيد القوات في معركتها من ثباتها في المواقف السيادية وعدم انغماس وزرائها في الفساد ونشاط نوابها انمائياً وتشريعياً. وفي جَيْبَة بشري استطاعت ستريدا جعجع أن تنفّذ ثورة انمائية لم يعرفها القضاء منذ عقود حيث تمّ تنفيذ اوتوستراد جديد ومستشفى ومشروع للمياه وشبكة كهرباء ووضع وادي قنوبين على لائحة التراث العالمي وتمّ إحياء مهرجانات الأرز وبناء بيت للطلبة في ضبيه وتقديم مساعدات طبية ومدرسية. وتتمتع القوات بهيكليتها التنظيمية وقوة ماكينتها الانتخابية وتعمل لعدم السماح بأي خرق للمقعدين المارونيين في قضاء بشري وتسعى للحصول في هذه الدورة على 4 نواب.

وتتواصل ماكينة القوات الانتخابية مع الاغتراب للاستفادة من ارتفاع نسبة تسجيل المغتربين في الخارج حيث بلغ مجموع المسجّلين في هذه الدائرة 26682 ناخباً يتوقع أن تنال منها اللوائح المعارضة للعهد النسبة الأكبر وخصوصاً من المنتشرين في سيدني والولايات المتحدة وكندا وأوروبا. وتؤشر الاستطلاعات إلى أن القوات ستحظى بالكتلة الأكبر لدى المسيحيين، ومن هنا يجتهد حزب الله لدعم حليفه التيار العوني ومدّه بالأصوات في الدوائر التي يوجد فيها صوت شيعي لترجيح كفّته على القوات ومحاولة قطع الطريق على سمير جعجع نحو قصر بعبدا.

ويلي القوات اللبنانية في الدائرة «تيار المردة» الذي يتمتع بحضور قوي في قضاء زغرتا وهو تحالف في بشري مع وليم طوق إبن عم ستريدا وفي الكورة مع أحد أجنحة الحزب السوري القومي ممثلاً بالنائب سليم سعادة. وفي آخر اطلالة لسليمان فرنجيه بدا هادئاً ويساير مختلف القوى السياسية بما فيها خصمه باسيل الذي جمعه به نصرالله أخيراً على إفطار في الضاحية في إطار ترتيب البيت الداخلي لمحور الممانعة والتمهيد لايصال مرشح لفريق 8 آذار إلى بعبدا.

أما التيار العوني فحضوره قوي في مدينة البترون وضعيف في وسط القضاء وفي تنورين ولديه حضور في الكورة مكّنه من فوز مرشحه النائب الحالي جورج عطاالله رغم حصوله على 3383 صوتاً قياساً للأصوات التي نالها مرشح القوات فادي كرم وهي 7822 وباتت حظوظ باسيل الرئاسية أضعف بعد الفشل الذي مُني به العهد وعدم وجود أي رغبة لدى القوى المسيحية المعارضة التي ستدخل البرلمان ولدى رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط ولدى قسم كبير من السنّة لإعادة التجربة التي حصلت مع العماد عون علماً أن رئيس مجلس النواب نبيه بري لن ينتخب باسيل بعدما امتنع عن انتخاب عون.

وإلى القوات والمردة والعونيين هناك حضور للمستقلين مثل ميشال معوض ومجد حرب المتحالفين مع سامي الجميّل ضمن لائحة «شمال المواجهة» وتحاول هذه الشخصيات مع نعمت افرام تشكيل كتلة وازنة خارج القوات والتيار العوني والمردة لفرض نفسها كقوة تغييرية داخل البرلمان وليكون لها مرشحها الخاص لرئاسة الجمهورية من الأوفر حظاً من صفوفها.

يبقى أن في دائرة الشمال الثالثة 3 لوائح للمجتمع المدني لم تتمكّن من توحيد نفسها في لائحة واحدة لتتمكن من خرق اللوائح القوية، وتحمل اللائحة الأولى إسم «شمالنا» والثانية تحمل اسم «قادرين نغيّر» والثالثة «وعَي صوتك».

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10617 الأحد 8 أيار (مايو) 2022 – 7 شوال 1443 هـ

النظام السوري يصدر عفوا عن المعتقلين يهدف إلى تحويل الرأي العام عن مجزرة حي التضامن

من غير المستبعد أن يكون توقيت العفو مرتبطا بمحاولة النظام السوري فتح خطوط اتصال مع واشنطن مجددا فيما يتعلق بالرهينة الأمريكي تايس.

منهل باريش

نجح النظام السوري بتشتيت أنظار ملايين السوريين عن مجزرة حي التضامن الدمشقي والتي نفذها المحقق في الفرع 227 «فرع المنطقة» التابع لشعبة المخابرات العسكرية، المساعد أمجد يوسف وقائد ميليشيا الدفاع الوطني في الحي، نجيب الحلبي في 16 نيسان (أبريل) 2013 حيث أعدما 41 مدنيا بالرصاص بطريقة بشعة للغاية، ووثقا المجزرة بكاميرا هاتف خليوي، نشرتها صحيفة «الغارديان» مؤخرا، وتحقيق الباحثان، السورية أنصار شحود والتركي المتخصص بدراسات الهولوكوست والإبادة الجماعية في جامعة أمستردام، أور أوميت أونغر.

وأصدر رئيس النظام، بشار الأسد المرسوم التشريعي رقم 7 لعام 2022 القاضي بمنح عفو عام عن «الجرائم الإرهابية المرتكبة من السوريين» قبل تاريخ 30 نيسان (ابريل) الفائت. ونص المرسوم على منح عفو عما وصفه بـ«الجرائم الإرهابية» عدا عن التي أفضت إلى موت إنسان والمنصوص عليها في قانون مكافحة الإرهاب رقم 19 لعام 2012 وقانون العقوبات لعام 1949 وتعديلاته، بدون ان يؤثر على دعوى الحق الشخصي.

أولى مظاهر حرف الرأي العام السوري عن مجزرة التضامن تجلى بالسماح لمئات من أسر المعتقلين بالتجمع تحت جسر الرئيس في قلب العاصمة دمشق وفي أكثر المناطق حيوية، ولم يكشف النظام بترك الأهالي يتجمعون، بل بث الإعلام الموالي تقارير مع ذوي المعتقلين الحالين بسماح خبر يعيد أبنائهم من الاختفاء القسري قبل عشرة أعوام.

مرسوم العفو خلق حالة من الفوضى في صفوف المؤيدين للثورة السورية، مبررة لأسباب كثيرة، حيث انتشرت قوائم قديمة للمعتقلين على أنها قوائم للمفرج عنهم، وساعد النظام بذلك بشكل مقصود بسبب عدم نشر قوائم من قبل محكمة الإرهاب بوصفها الجهة صاحبة الاختصاص.

يعتبر سجن صيدنايا سيء الصيت أكبر المعتقلات السورية وفيه يقبع عشرات الآلاف من المعتقلين وعليه تتركز أعين السوريين في البحث عن أبنائهم من المعتقلين الأوائل، خصوصا الذين قطعت أخبارهم، فيؤمل الأهالي أنفسهم بوجود معتقلهم فيه.

ومع انتشار الشائعات حول أعداد المفرج عنهم، قالت رابطة معتقلي ومفقودي سجن صيدنايا أنها وثقت الإفراج عن 103 من السجن المذكور يوم الخميس. وأطلقت الرابطة حملة استجابة للرد على استفسارات الأهالي وتقديم الدعم النفسي والمساعدة في عملية البحث وتقديم المشورة والنصح والتوجيهات أو السؤال عن المعتقل أو المختفي قسراً ولتجنيبهم عمليات الابتزاز والخداع خلال الظروف الحالية، «يمكنكم الاتصال بنا في أي وقت على مدار الـ 24 ساعة»

وأشارت في بيان تلقت «القدس العربي» نسخة منه «شهد وسط العاصمة دمشق وبلدة ومعرّة صيدنايا مظهر احتشاد آلاف العائلات يومياً في انتظار سيارات عسكرية قد تحمل المغيّبين لسنوات في سجون النظام السوري لترمي بهم على قارعة الطريق هناك، من دون أن يكون لدى بعضهم القوة الجسدية أو القدرة العملية على الوصول إلى بيوت ربما دمرتها براميل النظام المتفجرة أو عائلات قضى كلها أو بعضها أو أنها هربت من القتل أو أجبرت على النزوح ولم يبق منها أحدٌ لينتظر غائباً في سجون النظام».

وأشارت الرابطة إلى «أن استكمال بيانات المفرج عنهم جميعاً وتوثيقها يحتاج وقتاً أطول وإجراءات متأنية نظراً لحساسية هذه المعلومات وضرورة توخي الدقّة البالغة فيها قبل نشرها حرصاً على مشاعر وسلامة العائلات».

وفي السياق، أكد العضو المؤسس والمشارك في الرابطة والمعتقل السابق، درياب سرية في اتصال مع «القدس العربي» تفاوت تواريخ الاعتقال للمفرج عنهم من سجن صيدنايا، ونوه إلى ان «عدد المعتقلين القدامى المفرج عنهم قرابة 15» ولفت إلى أن «غالبية المفرج عنهم من السجون المدنية في السويداء وعددا. والتحديثات الأخيرة، التي تشير إلى ارتفاع عدد المفرج عنهم من سجن صيدنايا مخيبة لآمالنا ولم تتجاوز 120 معتقلا حتى اللحظة (ليل الجمعة)». ووصف الحملة التي أطلقتها الرابطة «حملة توعية لتجنيب أهالي المعتقلين عمليات النصب واللجوء إلى شبكات السماسرة والمرتبطين أمنيا».

وفي سياق متصل، اعتبر المحامي والناشط الفلسطيني ايمن أبو هاشم صيغة العفو أنها «التفافية من أجل التغطية على عشرات الآلاف من المعتقلين الذين فبرك النظام لهم الاتهامات وأصدرت أحكام عليهم بدون وجه حق. حيث يسعى النظام إلى تثبيت روايته بان المعتقلين ارتكبوا جرائم إرهابية واليوم يتم العفو عنهم».

في آلية التنفيذ، انتقد أبو هاشم ما جرى وأوضح ان العفو يعطي محكمة الإرهاب «سلطة تقديرية واسعة من أجل إخفاء هوية الضحايا بمعنى ان كثيرا من القضايا التي تم الفصل بها، مثل قيام متهمين بمهاجمة مؤسسات حكومية نرى ان تلك الأحكام لم تحدد أسماء الضحايا وهذا ما يؤكد فبركة الاتهامات».

وعدم ذكر «ضحايا» النظام في تلك الهجمات من التابعين للمؤسسات الحكومية يترك سيف القرار بيد محكمة الإرهاب ويمكن المحكمة من الالتفاف على القانون نفسه وتفريغه من محتواه حتى لو افترضنا أن مرسوم العفو نفسه يرغب بتشميل أعداد كبيرة من المعتقلين. ويرى أبو هاشم أن الهدف الأساسي هو ترك الأمور بحيث يتم إيهام الرأي العام انه صدر عفو يشمل آلاف أو مئات آلاف السوريين، ولكن في حقيقة الأمر لم يشمل سوى فئة محدودة وهي الفئة التي لم ترتكب أي جرائم إرهابية وانما الصقت بها تلك الجرائم.

أهداف سياسية

يهدف النظام السوري لإرسال عدة رسائل سياسية للخارج والداخل بإصدار العفو، فهو يأتي بعد أيام من انفضاح مجزرة التضامن ولذلك يحاول إلهاء السوريين بقضية أخرى. خصوصا وأن المجزرة أثارت الرأي العام الدولي وحشرت النظام في الزاوية مجددا، ولن يستطيع النظام تبرئة نفسه كون المجزرة موثقة بالصوت والصورة وبكاميرا القتلة أنفسهم. كما أن النظام يكرر محاولات إظهار نفسه على انه يحاول معالجة ملف المعتقلين كملف أساسي من ملفات الحالة السورية والإيحاء بأنه يستجيب للمطالبات الدولية المتعلقة بملف المعتقلين، ويأتي بعد إحاطة بيدرسون الأخيرة في مجلس الأمن الدولي والتي تحدث فيها عن المعتقلين، ومن غير المستبعد أن يكون توقيت العفو مرتبطا بمحاولة النظام فتح خطوط اتصال مع واشنطن مجددا فيما يتعلق بالرهينة الأمريكي تايس.

ولفت المحامي محمد صبرا إلى أن العفو ليس الأول، والإفراج عن معتقلين منذ 2012 يدل على أن كل قوانين العفو السابقة ومنها هذا القانون «ليست جدية وليست حقيقية» وأضاف لـ«القدس العربي» أن العفو «مجرد وسيلة من الوسائل التي يتبعها النظام في إدارة أدواته السياسية سواء الداخلية أو الخارجية».

فوضى القوائم

وخفف فضل عبد الغني مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان، من التعويل على العفو مشيرا إلى ان المفرج عنهم حتى يوم الجمعة وتمكنت الشبكة من توثيق أسماءهم هم 195 بينهم 24 سيدة، وشدد على الأعيب النظام حيث أن أقل من ثلث المفرج عنهم هم من المحكومين والذي يفترض ان يشملهم نص العفو، وتوثق الشبكة التي يرأسها عبد الغني 132 ألف معتقل.

وأفاد المرصد السوري لحقوق الإنسان، بأن دفعة جديدة من المعتقلين تضم نحو 128 شخصا جلهم من أبناء مناطق دمشق وريفها والقنيطرة، جرى الإفراج عنهم من مبنى محافظة ريف دمشق في منطقة المرجة، من ضمنهم أشخاص جرى اعتقالهم خلال الأشهر الفائتة بقضايا جنائية وبعضهم الآخر ممن كان معتقلا لدى أفرع النظام الأمنية بقضايا إرهاب، وأحصى المرصد نحو 426 مفرجا عنه معتبرا أنه «رقم ضئيل جداً، حيث من المفترض أن يُفرج عن آلاف، بل عشرات الآلاف من المعتقلين».

في المقابل، أكدت رئيسة محكمة الإرهاب القاضي زاهرة بشماني عدم صحة وجود قوائم تتضمن أسماء المفرج عنهم وفق مرسوم العفو. واتهمت من وصفتهم ضعاف النفوس بنشر قوائم مفبركة على وسائل التواصل الاجتماعي. وأوضحت في اتصال مع قناة السورية رصدته «القدس العربي» أنه تم في الأيام الماضية إطلاق سراح المئات ممن شملهم المرسوم بعد البحث والتدقيق بكل الملفات سواء المنظورة بحق الموقوفين أو التي تم إصدار أحكامها القضائية التي تكتسب درجة القطعية مشيرة إلى أنه يتم حالياً بالتعاون مع كامل الكادر القضائي والعاملين بالمحكمة متابعة الملفات المتبقية للنظر بمطابقتها لشروط المرسوم. وعن سبب عدم وجود قائمة رسمية للمفرج عنهم، أشارت رئيسة محكمة الإرهاب إلى أنه «لا يحق لأي محكمة إصدار قوائم بأسماء المشمولين بالمرسوم لأن ذلك مخالف للقانون أصلاً».

Volume 34 - Issue 10617 Sunday 8 May 2022

العراق: رهان شيعي على المستقلين لضمان تشكيل الحكومة بمقاساتهم ولا بديل عن التوافق

فيما ينقسم النواب المستقلون إلى ثلاثة فرق، مقرّب من تحالف الصدر وآخر قريب من الإطار؛ وثالث لم يحدّد موقفا بعد، تصل الأزمة السياسية إلى مفترق طرق، يُنذر بإعادة الانتخابات.

بغداد – «القدس العربي»: مشرق ريسان

انهالت المبادرات الشيعية على النواب المستقلين، بهدف ضمان تحقيق النصاب القانوني (أكثر من 220 نائباً) لتمرير رئيس الجمهورية وتسمية الكتلة البرلمانية الأكبر، لاختيار رئيس الوزراء وكابينته الحكومية، في خطوة تعدّ الأخيرة من نوعها لضمان فكّ «الانسداد السياسي» الذي يخيّم على العراق منذ انتخابات تشرين الأول/أكتوبر الماضي.

ويبدو إن التحالفات السياسية البارزة «الإطار التنسيقي» الشيعي و«انقاذ وطن» أيقنت بأنها لن تتمكن من المضي في إكمال استحقاقات الدستورية، من دون استقطاب المستقلين.

وقدّم «الإطار» عرضاً للنواب المستقلين، تضمن منحهم الفرصة في رقابة الحكومة الجديدة، من خلال البرلمان، غير إن سرعان ما قدّم الصدر عرضاً موازياً، يمنح المستقلين حرية تشكيل الحكومة، واختيار وزرائها، بعيداً عن «التيار الصدري».

وبين العرضين، يسود الانقسام على الأجواء بين النواب ممن لم يعلنوا «علناً» الاتفاق مع أيٍّ من التحالفين.

ففيما ينقسم النواب المستقلون إلى ثلاثة فرق– أحدهم مقرّب من تحالف الصدر والوزراء أو الوزراء حكراً من النواب. البلد مملوء بالكفاءات والشخصيات المحترمة خارج مجلس النواب والتي لا تسبب تناول الليمون عند طرحها، نستمتع بدورنا الرقابي، وهو ضروري للمستقبل، ويعد بمثابة بكالوريوس للفترة المقبلة».

وأضاف: «أما موضوع هل فعلاً الأحزاب تحب المستقلين؟ الجواب: لو كان هذا فعلاً، لأعطونا عضوية اللجان النيابية، والتي هي من حقنا واستحقاقنا ومتطابقة مع تخصصاتنا وخطفوها علناً، رغم الاتفاق المسبق على الأسماء، كيف يعطونا حكم البلاد الذي يعتقدون أنه ليس من حقنا بل هو ورث ورثوه؟».

فيما قال النائب المستقل حسين عرب، «نثمن جميع الدعوات سواء من الإطار التنسيقي أو من التيار الصدري لثقتهما بالنواب المستقلين بشأن تشكيل الحكومة» مبينا أن «ذلك ما طرحناه سابقا». حسب وكالة الأنباء الرسمية.

وبين أن «المستقلين ستكون لديهم مبادرة تكتب» موضحا أن «النواب المستقلين لا يهمهم من يترأس الحكومة بقدر ما يكون، ما نوع الحكومة وشكلها ولونها؟ وهذا يجب أن يتمحور في أساسيات برنامجها الحكومي».

وأكد أنه «إذا كان هناك برنامج حكومي بنقاط بعيدا عن الانشاءات السياسية، فإن ذلك سيجعل الدولة قوية» مشددا على ضرورة «كتابة النواب المستقلين مبادرة وضوابط».

وكشف عن أن «النواب المستقلين سيجتمعون خلال يومين أو ثلاثة لبحث المبادرات التي أطلقت والتكليف الذي أطلق ونحن مستعدون لها شريطة أن يتعاون الجميع معنا».

أما الخبير القانوني، سالم حواس، فرأى إن دعوة زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر، وقبله «الإطار التنسيقي» للمستقلين لتشكيل الحكومة، دليل على عدم القدرة على حل الأزمة الحالية.

وقال إن «المستقلين وغيرهم يشكلون بيضة القبان لتحقيق نصاب احكام المادة 70 أولاً من الدستور، التي تنص على (ينتخب مجلس النواب من بين المرشحين رئيساً للجمهورية بأغلبية ثلثي عدد أعضائه)».

وأضاف ان «قرار المحكمة الاتحادية العليا رقم 24 / للعام 2022 المتضمن استمرار الرئيس لحين انتخاب رئيس جديد، يجعلنا أمام حالة مهمة وهي عدم قدرة الطرفين على الوصول لنقاط مشتركة تحل الأزمة الحالية» وفقاً لوسائل إعلام تابعة لنقابة الصحافيين العراقيين.

وأوضح انه «لا سلطان للمحكمة الاتحادية العليا لاجبار الأطراف كافة أو بعضها على ذلك، ولا سلطان لها أيضاً على حل البرلمان دستورياً أو قانونياً لان الخلل يكمن في الدستور».

وبين حواس انه «لا خيار سوى اللجوء إلى أحكام المادة 64 / أولا: يحل مجلس النواب بالأغلبية المطلقة لعدد أعضائه بناءً على طلب من ثلث أعضائه أو طلب من رئيس مجلس الوزراء وبموافقة رئيس الجمهورية».

واستبعد سلوك النواب هذا الطريق، الذي عدّه «الحل الوحيد للخروج من هذه الأزمة المستفحلة» عازياً السبب في ذلك إلى إنهم «سوف يتضررون من هذه الحلول بل انهم المستفيدون الوحيدون من بقاء هذه الحال للانتفاع بالبقاء بالسلطة».

في السياق ذاته، قال النائب عن الحزب الديمقراطي الكردستاني، ماجد شنكالي، إن القاسم المشترك بين مبادرة الإطار والتيار هم النواب المستقلون، والكرة رُميت بملعبهم بشرط أن يجتمع أربعون منهم ليلتحقوا بمبادرة التيار الصدري.

وقال شنكالي، في تصريحات لمواقع إخبارية محلّية، إن «الفرصة سانحة إلى مبادرة التيار الصدري أكثر من مبادرة الطرف الآخر باعتبار أن هناك جزءا من النواب المستقلين سبق وان اختاروا الذهاب والتحالف مع التحالف الثلاثي (إنقاذ وطن) ووضع 40 نائباً ضمن مبادرة التيار لم تأت اعتباطاً».

وأوضح أن «جمع 40 نائباً مستقلاً من شأنه حل الانسداد السياسي وتحقيق النصاب المطلوب، وفي حال اتفقوا سيتم التصويت على مرشح رئاسة الجمهورية وتشكيل الحكومة» لافتاً في الوقت عينه إلى إن «هناك عدداً من البيانات الترحيبية بمبادرة التيار الصدري، وهناك اجتماع مرتقب للنواب المستقلين سيحددون خلاله موقفهم وبأي اتجاه سيذهبون».

في الطرف المقابل، كشف القيادي في «الإطار التنسيقي» عائد الهلالي، عن عدم ذهاب المستقلين لا مع مبادرة الإطار ولا مبادرة التيار، كاشفاً في الوقت عينه عن «مبادرة جديدة» ستطرح من مسعود بارزاني، زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني، ربما تؤدي إلى انفراجة حقيقية للوضع السياسي.

وقال الهلالي لموقع «المربد» البصري، إن «الطرفين لم يستقبلا مبادرات بعضهما سواء كان الإطار لم يستقبل مبادرة التيار والعكس، وذلك بسبب تمسك كل منهما بالحكومة التي يريدها، فالإطار يريد تشكيل حكومة توافقية والتيار يريد الأغلبية، والطرفان لم يتفقا على شكل الحكومة لذا لم يستقبلا مبادرات بعض».

وأضاف: «يوجد بالأفق مبادرة جديدة من زعيم الحزب الديمقراطي الكردستاني مسعود بارزاني، ولم يتم الإعلان عن أساسيتها بعد ستطرح بعد عطلة العيد».

ومضى يقول: «الإطار لم يستطع إقناع التيار ولا التيار استطاع إقناع الإطار أو الاتفاق معه، لذلك يبقى الطرفان يعولان على المستقلين لحسم هذا الانسداد السياسي».

ووسط شدّ وجذب التصريحات السياسية، دعا رئيس تحالف «قوى الدولة الوطنية» عمّار الحكيم، إلى احترام المدد الدستورية والنظر للمبادرات المطروحة لتجاوز الأزمة السياسية الحالية.

جاء ذلك خلال استقبال الحكيم لوفد «النهج الوطني» برئاسة الأمين العام عبد السادة الفريجي.

بيان لمكتب الحكيم نقل عن الأخير تشديده على ضرورة «استثمار أجواء العيد لحل إشكاليات الوضع السياسي الحالي والخروج من حالة الانسداد إلى الانفراج وتحقيق تطلعات الشعب العراقي».

كما أكد، أهمية «النظر بالمبادرات المطروحة لتجاوز الأزمة السياسية الحالية» داعياً إلى «أهمية احترام المدد الدستورية والإتفاق على الرؤى والبرامج القادرة على توفير فرص العمل وتقديم الخدمات».

وفي السياق ذاته، دعت بعثة الأمم المتحدة لمساعدة العراق «يونامي» نهاية الأسبوع الماضي، إلى إيجاد إرادة جماعية صادقة لإنهاء الجمود في البلاد، وتشكيل الحكومة على نحو سريع وحاسم لمعالجة قائمة البلاد الطويلة للأولويات المحلية العالقة.

وحثّت في بيان على «أهمية تجاوز الجمود السياسي لما فيه مصلحة كل العراقيين، وإذ تتفاقم أوجه ضعف كبيرة على الصعيد المحلي بسبب الآثار المستمرة لجائحة كورونا والتوترات الجيوسياسية العالمية. ينبغي أن تسود الآن إرادة جماعية صادقة لحل الخلافات السياسية لكي تمضي البلاد قدما وتفي باحتياجات مواطنيها».

نقابة المعلمين في الأردن: لماذا لا يتم «إطفاء» الأزمة؟

المنطق الأعمق في مشروع التحديث الذي يدعمه القصر الملكي مرهون بالنقابة الأضخم في البلاد التي ينبغي ان توكل لها مهمة نقل أفكار تحديث المنظومة إلى ثقافة وعقول تلاميذ المملكة.

عمان – «القدس العربي»: بسام البدارين

قد تكون فكرة جيدة وفيها مخرج ليس لأزمة نقابة المعلمين المستعصية، لكن لأزمة الحائط الذي وجد مشروع تحديث المنظومة السياسية المدعومة ملكيا نفسه في مواجهته بسبب عقدة نقابة المعلمين الأردنيين التي تدخل عامها الرابع بدون إجابة على السؤال المؤرق: لماذا لم تلجأ السلطات إلى إطفاء هذا الحريق؟

واحدة من أهم اشكالات مشهد الإستعصاء الوطني في رأي المحلل الإستراتيجي الدكتور عامر السبايلة هي كيفية التعاطي مع أزمة نقابة المعلمين بعد ما أصبحت هذه النقابة وهي الأضخم في البلاد وبين العباد المنتج الأفضل دستوريا في احتواء تداعيات الربيع العربي عام 2011.

يلاحظ السبايلة وآخرون بأن الأزمة صنعت صناعة أصلا وكان يمكن تلافيها أو احتوائها لكن استعصاء مواجهتها لازمها بطريقة غريبة، وبدلا من التعامل مع معلمين لديهم مثل غيرهم في المجتمع مظلومية معيشية دخل الجميع في الحائط الوطني.

ولدت أزمة نقابة المعلمين ثم بقيت... هكذا بدون معالجة أو مقاربة، لا بل تفرعت عنها اليوم سلسلة من الأزمات والذريعة الوحيدة بالنسبة طبعا لوظيفي التأزيم في الحكومة والسلطات هو ان تلك النقابة التي شغلت وتشغل الجميع أصبحت عنوانا للي ذراع القطاع العام بخطة جهنمية المتهم فيها هو دوما المتهم الموسمي عند كل الأزمات حيث شيطنة الإخوان المسلمين من دون وقبل غيرهم.

أخفق الجميع في مواجهة التداعي، مع ان نائب النقيب ورمز حراك المعلمين الذي اعتقل أكثر من مرة ناصر النواصرة زار مكتب «القدس العربي» طالبا حصريا نقل الرسالة الأهم بعنوان «نريد نقابتنا ولنذهب نحن كأشخاص إلى النسيان».

عرض النواصرة عدة مرات صفقة قوامها تعهد أعضاء مجلس النقابة الحاليين بالابتعاد وعدم المشاركة في انتخابات لاحقة، لكن على مستوى مراكز القرار قيدت حتى مساحات المرونة أمام أربعة من وزراء التربية والتعليم ورثوا المشكلة والسبب دوما هو ذلك التشبيك مع الإخوان في نقابة لا يزيد عدد أعضاء الحركة الإسلامية في مؤسساتها الأساسية عن 20 في المئة من التمثيل. لا بل يمكن القول إن ممثلي جماعة الإخوان هم الأكثر اعتدالا من زملائهم في المطلب وفي الحراك.

بقيت الأزمة لكنها توالدت لاحقا واستنسخت منها عدة أزمات مفخخة. واحدة انتهت بإغلاق النقابة وحل المجلس، والثانية انتهت بشعور مستقر عند شريحة المعلمين بان الدولة أهانتهم حيث برز هنا خلاف مع الدولة وليس مع الحكومة فقط واستمرت الاعتقالات ثم الاعتصامات فأصبحت لعبة التحريك والرد أزمة مستنسخة.

لاحقا دخل الجميع في حائط الاستنساخ نفسه، فلا حلول في الأفق ولا مجال من أي صنف لتأسيس مسافة حقيقية بين الإخوان المسلمين تحديدا ونسيج المجتمع. تلك على الأقل قناعة راسخة يميل لمناقشتها رئيس الوزراء الحالي الدكتور بشر الخصاونة ولمستها «القدس العربي» مباشرة عندما تحادثت معه أكثر من مرة.

لا أحد في السلطة على الأقل يريد ان يسمع التحذير القائل بان استئصال الإسلاميين من عمق شرائح المجتمع مهمة مستحيلة تماما.

ولا أحد في مقاربات النقابة المشار إليها يريد ان يسمع تلك النغمة التي تؤكد بأن الإخوان المسلمين ليسوا متحكمين إطلاقا لا بل على يسار الحراكيين من المعلمين الذين جرحهم التعبير الأمني.

توالدت أزمة نقابة المعلمين للمرة الثالثة مؤخرا بأزمات وهزات ارتدادية أصغر. فما حصل مع معلمي الأردن مستقر اليوم في متن كل التقارير الدولية التي تستعرض وضع الحريات العامة في المملكة، وعبارة نقابة المعلمين وردت حتى في تقرير وزارة الخارجية الأمريكية، وأغلب التقدير ان السلطة نفسها محتارة اليوم من حجم فاتورة العودة لفتح مقرات تلك النقابة.

ما لا يعرفه كثيرون ان آخر التصدعات هو ذلك الذي تعبر عنه الأزمة الأم بتوقيع المعلمين تماما مثل الالتهاب في بلعوم السلطات والدولة اليوم، حيث لا ينفع الاستعصاء إذا ما كان القرار جادا وجديا باعتماد مواصفة مشروع تحديث المنظومة السياسية في البلاد، حيث اكتشف صناع القرار بان المنطق الأعمق في مشروع التحديث الذي يدعمه القصر الملكي مرهون اليوم وبالصدفة المحضة بالنقابة الأضخم في البلاد وبالشريحة الأهم في المجتمع، التي ينبغي ان توكل لها الدولة اليوم مهمة ووظيفة وواجب نقل أفكار تحديث المنظومة إلى ثقافة وعقول تلاميذ المملكة الأردنية الهاشمية.

بعيدا عن التفاصيل يمكن رصد تلك المفارقة التي تقول بان التشدد الأمني فقط يزيد الكلفة على الدولة وليس على الناس بصورة مجردة.

لسبب أو آخر صعب الانتقال إلى «مئوية الدولة الثانية» فيما المعلم الأردني محبط ومنزعج وبلا نقابة.

تلك ليست مفارقة غريبة لكن تستطيع «القدس العربي» ان تؤكد انها أقرب لقناعة اليوم بالقرب من رئاسة الوزراء واللجنة الملكية لتحديث المنظومة السياسية. وهي القناعة التي يمكن اشتمام راائحتها في آخر خبر تم تسريبه عن الحكومة وفكرته التفكير بالعودة لمربع عقد انتخابات لتدشين شرعية جديدة في نقابة المعلمين وتلك خطوة ستكون بين فواتير الاسترسال في الهندسة.

منظمات حقوقية تضع خريطة طريق لإغلاق ملف السجناء السياسيين في مصر

فتح ملف السجناء السياسيين خطوة ضرورية وعاجلة تأخرت كثيراً حتى أصبحت مصر من أوائل دول العالم من حيث ضخامة عدد المحبوسين بتهم سياسية.

القاهرة ـ «القدس العربي»: تامر هنداوي

وضعت 8 منظمات حقوقية مصرية مستقلة، معايير وضوابط للإفراج عن كافة السجناء السياسيين في مصر، بالتزامن مع الحراك الذي يشهده هذا الملف، بعد إعلان الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي إعادة تشكيل لجنة العفو الرئاسي المنوط بها بحث ملفات السجناء تمهيدا للإفراج عن من لم تتلوث أيديهم بالدماء. وشارك في وضع المعايير كلا من المنظمات، المبادرة المصرية للحقوق الشخصية، ومركز النديم لمناهضة العنف والتعذيب، ومؤسسة حرية الفكر والتعبير، والمفوضية المصرية للحقوق والحريات، ومركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، والجبهة المصرية لحقوق الإنسان، ومبادرة الحرية، وكوميتي فور جستي.

وقالت المنظمات في بيان، إن فتح ملف السجناء السياسيين خطوة ضرورية وعاجلة تأخرت كثيراً حتى أصبحت مصر من أوائل دول العالم من حيث ضخامة عدد المحبوسين بتهم سياسية.

ولفتت إلى أن الإفراج عن السجناء السياسيين المحبوسين احتياطياً أو المحكوم عليهم من جميع التيارات السياسية بسبب نشاطهم السلمي، كان الخطوة الأولى على رأس مبادرة «أول سبع خطوات» التي أطلقتها ووقعت عليها في 2021 أكثر من خمسين من منظمات المجتمع المدني والأحزاب وتجمعات المصريين في الداخل والخارج وهيئات حقوق الإنسان الإقليمية والدولية.

وبحسب البيان، يهدف هذا المقترح، المقدم من مجموعة من منظمات حقوق الإنسان المصرية المستقلة، إلى تفادي أخطاء الماضي في التعامل مع هذا الملف أو الاستمرار في نهج ثبت فشله في تصفية مواقف الآلاف من السجناء السياسيين منذ إنشاء لجنة العفو الرئاسي في 2016.

واعتبرت المنظمات أن هذا النهج في إصدار قرارات موسمية بإخلاء سبيل أعداد محدودة من المعتقلين كل بضعة أشهر أو أعوام على غير آلية أو معايير أو ضوابط معلومة لاختيار المفرج عنهم أو رفض الإفراج عن غيرهم، في الوقت نفسه استمرت إضافة أعداد جديدة من المحبوسين بتهم سياسية وبما يتجاوز بكثير أعداد المفرج عنهم؛ وهي الطريقة التي أسفرت عن استمرار وتفاقم أزمة السجناء السياسيين دون حل وعلى مدى سنوات.

وأكدت المنظمات أن الهدف النهائي لأي عملية تتصدى لهذا الملف هو الإفراج عن جميع المسجونين بتهم سياسية بحيث لا يبقى في مصر سجين سياسي واحد. ويجب أن تلتزم الآلية المنشأة للتعامل مع هذا الملف في عملها بضوابط أربعة، هي العدالة، بحيث يحظى كل مسجون سياسي بفرصة متساوية ومنصفة للنظر في حالته على أسس موضوعية؛ والشفافية، بحيث تتخذ قرارات الإفراج وفق معايير وضوابط معلنة ومعروفة مسبقا للمسجونين وذويهم والمجتمع ككل، والشمول: بحيث تتضمن قرارات الإفراج كل من تنطبق عليهم المعايير الموضوعية المعلنة دون استثناء.

أما الضابط الأخير بحسب البيان، تمثل في الاستعجال: بحيث لا تستغرق هذه العملية كسابقاتها سنوات تضاف إلى ما ضاع بالفعل من أعمار آلاف المسجونين، وفي ضوء المعاناة الصحية والإنسانية لهم ولأسرهم والثمن الذي دفعه ويدفعه المجتمع ككل نتيجة تفاقم وتجاهل هذا الملف.

وتحت عنوان «نطاق العمل» قالت المنظمات، إنه بعد إعلان رئيس الجمهورية في 26 نيسان/الماضي الماضي، إعادة تفعيل عمل لجنة العفو الرئاسي التي تم تشكيلها كأحد توصيات المؤتمر الوطني للشباب عام 2016 صدرت تصريحات متواترة عن أعضاء اللجنة المعاد تشكيلها بأن «توسيع قاعدة العمل» يشير إلى أن نطاق عمل اللجنة سيستمر في التركيز فقط على «الشباب المحبوسين» مع إضافة ملف الغارمين والغارمات (أي المسجونين بسبب عدم التزامهم بأداء ديون مالية).

ولفت البيان، إلى أن استمرار طلب العفو التي نشرتها على الإنترنت لجنة العفو الرئاسي بعد إعادة تشكيلها وعقد اجتماعها الأول اقتصرت على طلب الإفراج عن الشباب المحبوسين على ذمة قضايا ولم تصدر بحقهم أي أحكام قضائية، واعتبرت أن هذا المقترح يرى أن أي مقاربة للملف المسجونين السياسيين لن تتسم بالعدالة والإنصاف والفاعلية ما لم تشمل جميع المحبوسين احتياطياً وكذلك المحكوم عليهم بتهم سياسية كافة وسواءً كانوا من الشباب أم من الأطفال والقاصرين أو كبار السن أو ذوي الحالات الصحية والإنسانية، وكل من يخضع حالياً لتقييد حريته لأسباب أو تهم سياسية.

معايير وأولويات الإفراج

وزادت، معيار عدم ارتكاب جرائم عنف يشكل أساسًا ملائمًا للانطلاق نحو تصفية أوضاع السجناء السياسيين، لكنه يجب أن يتم تحديده بدقة بالغة بحيث لا يجري استثناء الآلاف من سجناء الرأي الذين وجهت لهم النيابة بشكل روتيني ومبهم ودون دليل تهمًا مثل «الانضمام لجماعة محظورة»، أو «مساعدة جماعة محظورة في تحقيق أهدافها» وغيرها من التهم الفضفاضة التي لا تقيم عليها النيابة العامة أية أدلة ولو حتى بتحديد اسم أو ماهية تلك الجماعة المزعومة.

ولفت البيان، إلى أن هذه التهم استُعملت كذريعة لتقييد حرية أعداد هائلة من السجناء السياسيين بتوسع رهيب في الأعوام الماضية، بل وصدرت على بعضهم أحكام بهذه التهم بدون أن تقدم النيابة دليلاً واحدًا باستثناء تحريات أجهزة الأمن.

أولويات عاجلة

ودعت المنظمات، إلى أن تعطي قرارات الإفراج عن المسجونين السياسيين أولوية عاجلة لحالات المرضى والقاصرين وكبار السن إضافة إلى الإفراج عن جميع المحبوسين في قضايا النشر، بالمخالفة لنص الدستور الذي يحظر توقيع عقوبة سالبة للحرية في الجرائم التي ترتكب بطريق النشر أو العلانية، والإفراج عن جميع من تجاوزوا الحد الأقصى للحبس الاحتياطي، حتى لو تم حبسهم على ذمة قضايا جديدة بتهم مماثلة لضمان استمرار حبسهم فيما بات يعرف بظاهرة «تدوير المعتقلين السياسيين». وإصدار أمر من النيابة العامة بالا وجه لإقامة الدعوى الجنائية بحقهم.

كما طالبت المنظمات بالإفراج عن كل المحبوسين احتياطياً ممن مر على حبسهم ستة أشهر كحد أقصى دون أن يتوافر لدى النيابة ما يكفي من الأدلة لإحالتهم للمحاكمة، والعفو عن باقي العقوبة لمن سبق الحكم عليهم بتهم سياسية وقضوا أكثر من نصف العقوبة وتم حرمانهم من حقهم في الإفراج الشرطي دون مبرر سوى خطورة تهمهم.

ومن بين الضوابط التي وضعتها المنظمات، العفو عن باقي العقوبة لمن صدرت ضدهم أحكام من محاكم أمن الدولة طوارئ، لكونها أحكامًا استثنائية غير قابلة للطعن، حرمت المتهمين من درجات التقاضي الطبيعية، وفي ضوء انقضاء حالة الطوارئ في 2021. والامتناع عن التصديق على الأحكام الجديدة الصادرة عن هذه المحاكم، والعفو عن باقي العقوبة لجميع المدنيين ممن صدرت ضدهم أحكام من القضاء العسكري بتهم سياسية.

آلية اختيار المفرج عنهم

وفيما يتعلق بآليات اختيار من يجري بحث ملفاتهم من السجناء، قالت المنظمات، إنه وفقا لما أعلنته لجنة العفو الرئاسي بعد اجتماعها الأول منذ إعادة تشكيلها، فإن تلقي الالتماسات من ذوي الشأن هو السبيل الوحيد لبدء النظر في حالة سجين سياسي، سواء عبر موقع مؤتمر الشباب أو لجنتي حقوق الإنسان بمجلسي النواب والشيوخ، أو آلية شكاوى المجلس القومي لحقوق الإنسان، أو مباشرة لأعضاء اللجنة.

وأوضحت المنظمات، أن تلقي الالتماسات يجب أن يكون مجرد طريقة واحدة من بين طرق النظر في ملفات السجناء السياسيين المحبوسين دون ارتكاب جرائم عنيفة. بل لابد من المبادرة بشكل فوري بفحص ملفات والإفراج عن جميع المتهمين في قضايا سياسية دون استثناء أو إبطاء وانطلاقا من قاعدة البيانات المتوافرة بالفعل لدى الجهات المعنية كالمكتب الفني للنائب العام أو المحامي العام لنيابات أمن الدولة العليا أو إدارة القضاء العسكري بوزارة الدفاع.

وطالبت المنظمات، إتاحة الفرصة للسجناء السياسيين أنفسهم من داخل السجون لتقديم طلبات النظر في ملفاتهم والإفراج عنهم، خاصة ممن ليس لهم أقارب أو لا يملك أقاربهم إمكانية تقديم الالتماسات على الإنترنت أو السجناء المحرومين من الزيارات والمراسلات.

وانتقدت اقتصار دور لجنة العفو حالياً على تلقي المعلومات ثم تقديمها لأجهزة الأمن، ما يعني وضع مصير السجناء السياسيين في أيدي نفس الأجهزة التي أمرت أو نفذت أوامر اعتقالهم وحبسهم حتى الآن. لذلك فإن أي عملية عادلة ومنصفة وشفافة تهدف حقًا للإفراج عن السجناء السياسيين يجب أن تديرها آلية رسمية تضمن تطبيق معايير موضوعية بقرارات معللة.

ودعت لجنة العفو للإعلان بشكل دوري أسماء المخلى سبيلهم، وأن تتيح إمكانية الالتماس بإعادة النظر في الحالات المرفوضة متى انطبقت عليها المعايير الموضوعية المعلنة، وإلى وضع جدول زمني لعمل اللجنة يشمل تاريخ انتهاء عملية فحص ملفات كافة المسجونين السياسيين وإعلان نتائج عملها إلى الرأي العام.

تجفيف المنبع

وعبرت المنظمات عن خشيتها من استمرار السياسة الأمنية إذا استمرت عمليات القبض على مواطنين بتهم سياسية، وقالت، إنه لا معنى لمعالجة حقيقية لملف السجناء السياسيين في مصر إن استمرت قرارات القبض على مواطنين بتهم سياسية كما هو الوضع الآن، بل من شأن ذلك أن يبقي على سياسية الباب الدوار التي تلقي بواسطتها أجهزة الأمن بسجناء جدد في السجون في نفس الوقت الذي تفرج فيه عن أعداد محدودة من غيرهم.

واختتمت المنظمات بيانها: التصدي الجاد لملف السجناء السياسيين في مصر يستلزم ابتداءً صدور تعليمات من النائب العام إلى جميع أعضاء النيابات، وعلى رأسها نيابة أمن الدولة العليا، بحصر حالات الحبس الاحتياطي في أضيق الحدود التي يُخشى معها العبث بالأدلة أو التأثير في الشهود أو احتمال هروب المتهم؛ وذلك مع التوسع في استخدام باقي بدائل الحبس الاحتياطي المنصوص عليها بالفعل في قانون الإجراءات الجنائية؛ فضلًا بالطبع عن عدم توجيه الاتهام من الأصل لسجناء الرأي الذي يكفل الدستور حرية اعتناقه وإبدائه.

الناشط السياسي وليد شوقي بعد إطلاق سراحه

منافسة مصرية جزائرية على الإمساك بأوراق الملف الليبي

وصف بلينكن الجزائر بعد لقائه الرئيس تبون، بكونها «الصوت الحاسم» في الجهود الدولية لدفع العملية السياسية، التي تقودها الأمم المتحدة، في ليبيا.

رشيد خشانة

تتضافر الأزمة الطاقية التي تضرب أوروبا، مع تفاقم الصراع الليبي الليبي، ليُمهدا لتغيير في المعطيات الاستراتيجية في الإقليم بأسره. فالعملاق النفطي والغازي النيجيري دخل على الخط بقوة ليؤمن للمغرب ما خسره جراء إقفال الأنبوب الغازي «ميدغاز» الرابط بين إسبانيا والجزائر، عبر الأراضي المغربية، ما يُعدُ نصرا دبلوماسيا للمغاربة في «حرب الغاز» مع الجزائر، إذا ما انطلق فعلا تنفيذ المشروع. وفي المنطقة نفسها تعرضت المصالح الفرنسية إلى «خضة» قوية، بعد قرار المجلس العسكري الحاكم في مالي إلغاء الاتفاقات «الدفاعية» مع فرنسا والاتحاد الأوروبي. وعزا المجلس هذا القرار إلى ما اعتبره «انتهاكات صارخة لسيادة البلد» من قبل القوات الفرنسية المقيمة، إلى جانب «الخروق الكثيرة للمجال الجوي المالي». وتُحدد الاتفاقات المعروفة بـ«اتفاقات صوفا» الإطار القانوني لوجود قوة «برخان» العسكرية الفرنسية في مالي، وهي اتفاقات تعود إلى 2014.

أما روسيا فأقرت بوجود مدربين عسكريين روس «غير مسلحين» في أفريقيا الوسطى. غير أن منظمة «هيومان رايتس ووتش» أكدت في تقرير جديد، أنها تشتبه بكونهم مرتزقة روس من المجموعة العسكرية الخاصة «فاغنر». وورد في التقرير أن تلك العناصر «تتكلم الروسية وتمتطي سيارات روسية وتلبس الأزياء العسكرية الروسية». بل إن فوستان أرشانج توادیرا رئيس أفريقيا الوسطى اعترف، هو نفسه، باستنجاده بالروس لصد هجوم من المعارضة المسلحة في العاصمة بانغي في أواخر 2020.

وكشفت تحقيقات أجرتها «هيومان رايتس ووتش» عن وقائع جرت بين شباط/فبراير 2019 وتشرين الثاني/نوفمبر 2021 وتتعلق بانتهاكات خطرة وجماعية لمدنيين أفارقة غير مسلحين، بينها الاعتقالات والتعذيب والاعدامات، التي يُعتقد أن من نفذوها هم جنود روس.

وإلى جانب القوات الفرنسية المغادرة، طلب العسكر الماليون، الذين استحوذوا على الحكم بواسطة انقلاب في آب/اغسطس 2020 من القوات الأوروبية المعروفة بـ«تكوبا» الرحيل من البلد أيضا، ما قد يُفسح المجال أمام تعويض الجنود الغربيين بجنود روس. ولا يُعرف ما إذا كان زيرج الخارجية الروسي سيرغي لافروف سيصل إلى اتفاقات جديدة مع السلطات الجزائرية، خلال زيارته المرتقبة للجزائر في الأيام المقبلة، تخص التعاون بين الحكومتين، سواء في الأمم المتحدة، أم في القارة الأفريقية. وتعتبر الجزائر حليفا بارزا لروسيا في الأمم المتحدة والمحافل الدولية، ومن بينها منظمة الدول المصدرة للنفط.

غير أن الموقف الجزائري من الصراع في ليبيا أحدث فجوة في العلاقات المصرية الجزائرية، بعد إعلان الرئيس عبد المجيد تبون أن الجزائر لا تعترف إلا بحكومة الوحدة الوطنية برئاسة عبد الحميد الدبيبة، ما أثار موجة من الانتقادات العنيفة في وسائل الإعلام المصرية. ويُحيل هذا الخلاف حول الموقف من طرفي النزاع في ليبيا، إلى خصومات سابقة بين الجزائريين والمصريين قد تكون شرارتها أحيانا مباراة كرة قدم. لكنها اكتست في بعض الأحيان بُعدا سياسيا مثل مطالبة الجزائر بتدوير منصب الأمين العام للجامعة العربية، كي لا يبقى حكرا على الوزراء المصريين المتقاعدين، وهو اقتراح رفضته القاهرة بشدة.

وتندرج المحادثات التي أجراها مستشار الخارجية الأمريكية ديريك شوليت، مع سفير الجزائر لدى الولايات المتحدة أحمد بوطاش، في إطار التشاور حول الأزمتين الليبية والأوكرانية. وقد تطرقت المشاورات إلى تطورات الملف الليبي، وخاصة مسار تنظيم الانتخابات. وكان وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن، الذي زار الجزائر والمغرب، أفاد أن واشنطن والجزائر «تعملان على دفع الانتقال الديمقراطي في ليبيا إلى الأمام». واللافت أن بلينكن وصف الجزائر بعد لقائه الرئيس عبد المجيد تبون، بكونها «الصوت الحاسم في الجهود الدولية لدفع العملية السياسية، التي تقودها الأمم المتحدة في ليبيا، ودعم إجراء الانتخابات في أسرع وقت ممكن» على ما قال.

زيارة لا تسُرّ

في السياق كتب الإعلامي الفرنسي بينوة دلاس أن دول شمال أفريقيا، المتعادية أصلا، سيتعين عليها حسم موقفها بعد حرب أوكرانيا، بالاختيار بين الاتحاد الأوروبي وروسيا. وأفاد دلاس أن وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف سيزور دولة صديقة هي الجزائر في أواسط هذا الشهر، وهي زيارة لا تسرُّ بعض الأوروبيين، وخاصة فرنسا وإيطاليا وإسبانيا. والواضح أن كلا من المغرب وليبيا وتونس وموريتانيا تنفست الصعداء، عندما تطابقت مواقفها لدى التصويت الذي جرى في الأمم المتحدة، للتجديد لبعثتها في ليبيا، فيما أمسكت الجزائر عن التصويت.

والملاحظ أن استضافة القاهرة لاجتماع أعضاء اللجنة المشتركة بين مجلس النواب والمجلس الأعلى للدولة على مدى عدة أيام، أثار حفيظة الجزائريين الذين يؤكدون أن الحلول ينبغي أن تأتي في إطار المهمة الأممية، في إشارة إلى محاولة المخابرات المصرية التأثير في أعمال اللجنة. أكثر من ذلك يشعر الجزائريون بانزعاج مصري من عودتهم إلى الملف الليبي، خاصة أنهم أقاموا مؤتمرا ناجحا لوزراء خارجية دول الجوار الليبي العام الماضي، وكان له دور في تهدئة الأجواء بين الفرقاء الليبيين. ويعتمد الأتراك، الذين استحوذوا على قطاعات عدة من السوق الليبية، خاصة في الغرب، على الاتفاقات الاقتصادية والعسكرية، التي توصلوا لها مع حكومة فائز السراج، في خريف 2019 في حضور الرئيس التركي رجب طيب اردوغان.

عبد المجيد تبون لدى استقباله عبد الحميد الدبيبة

من حكومة الوحدة الوطنية الليبية، التي تعتبرها الجزائر الحكومة الشرعية الوحيدة في ليبيا.

ومن التحولات الاستراتيجية البارزة التي ستجرُها الحرب الأوكرانية، وأزمة النفط والغاز المترتبة عليها، مشروع الأنبوب العملاق، الذي سينقل الغاز الطبيعي من نيجيريا إلى المغرب. وبينما الطرفان حاليا جهودا كبيرة لتحصيل الاستثمارات اللازمة للمشروع. ومن الواضح أن احتياطات النفط والغاز في أفريقيا باتت تستقطب أنظار الزبائن، الذين كانوا يعتمدون على الغاز الروسي، ويبحثون حاليا عن بدائل، وفي مقدمهم الدول الأوروبية.

وكان العاهل المغربي محمد السادس والرئيس النيجري محمد بوخاري وقعا في العام 2016 على اتفاق لنقل الغاز على مسافة ثلاثة آلاف كيلومتر، عبر ساحل المحيط الأطلسي. وسيكون الأنبوب استكمالا للأنبوب الحالي الذي ينقل الغاز النيجيري إلى بنين وغانا والتوغو منذ 2010. وكشف وزير النفط النيجيري قبل أيام أن الروس زاروه، وأبدوا له رغبتهم بالاستثمار في الأنبوب الجديد. والجدير بالذكر أن الجزائر أجرت أيضا اتصالات مع نيجيريا في العام 2002 لإقامة أنبوب مماثل يعبر منطقة الساحل والصحراء نحو سواحل المتوسط. وتملك نيجيريا العضو في منظمة «أوبك» أكبر احتياط من الغاز الطبيعي في أفريقيا، كما تأتي في الرتبة السابعة عالميا.

في ظل هذه التحولات المرتقبة، سيبقى الحضور التركي في ليبيا يُشكل رقما مهما في الحاضر والمستقبل، لاسيما بعد كسر الجليد بين قادة المنطقة الشرقية وأنقرة، من خلال زيارة وفد من رجال الأعمال والدبلوماسيين الأتراك إلى بنغازي، والوعود التي تلقوها من الليبيين بإشراكهم في صفقات إعادة الإعمار ومشاريع البناء وإصلاح البنية الأساسية في المنطقة الشرقية. ومثل هذا الاتجاه لا يُفرح مصر التي تعتبر أن من حقها أن تحظى بالأولوية في تلك الصفقات. والأرجح أن الجزائر ستستضيف مؤتمرا اقليميا آخر حول ليبيا، استجابة لطلب العليا للانتخابات عماد السايح فيُشدد على ضرورة أن يتم الاعداد للانتخابات في مناخ من التفاهم على قواعد اللعبة والالتزام بها. وهنا بيت القصيد لأن الأطراف المتحاربة في ليبيا تعمل على إلغاء بعضها البعض، ولا تؤمن بمقايضة سياسية تسمح بالاتفاق على منافسة شفافة ونظيفة ومسؤولة.

بيد أن المناخ السياسي يتسم حاليا بنوع من الجمود المسلح، لأن الطريق إلى الانتخابات الموعودة ما زالت مفروشة بالحجر ومليئة بالألغام. ودلت الإجراءات التصعيدية المُتخذة أخيرا، ومنها تعطيل الانتاج في الحقول النفطية، على رغبة الجيش، الذي يقوده اللواء المتقاعد خليفة حفتر في الخروج من المُحتنق الحالي، ولعب دور أكثر تأثيرا في الأحداث. ويُكلف غلق الموانئ النفطية الموازنة خسارة تُقدر بـ60 مليون دولار يوميا. ويمكن اعتبار الدعوة إلى اجتماع لأعضاء مجلس النواب غدا الاثنين في طبرق (شرق) محاولة لإزالة العقبات السياسية والقانونية من طريق الانتخابات. وجرى التمهيد للجلسة باجتماع بين النائب الأول لرئيس مجلس النواب فوزي النويري ومستشارة الأمين العام للأمم المتحدة بشأن ليبيا ستيفاني وليامز. وأفيد أنهما بحثا «كيفية الدفع بالعملية السياسية نحو إيجاد تسوية توصل للانتخابات الرئاسية والبرلمانية، في أقرب الآجال». والأرجح أن المجلس سيناقش ما توصلت له اللجنة المشتركة، المُشكلة من أعضاء مجلسي النواب والأعلى للدولة، خلال اجتماعاتها في القاهرة، في إطار إعداد القاعدة الدستورية للانتخابات.

لكن في انتظار انتخابات قد تأتي وقد لا تأتي، يتفاقم الانقسام السياسي في البلد، بوجود حكومتين متنافستين، كما تتعدد مؤشرات عدم الاستقرار، بعد الاشتباكات التي جرت في مدينة الزاوية ومناطق أخرى، خلال الأيام الماضية. وتعزو بعض الأطراف هذا الوضع إلى عجز مجلس الأمن، سواء في القضية الأوكرانية أم في الأزمة الليبية، بحسب ما قال وزير الخارجية الايطالي لويجي دي مايو.

أما رئيس مجلس إدارة المفوضية

حدث الأسبوع

روسيا وإسرائيل: علاقات مصالح متينة والتراشق الحالي بينهما لا يهددها

الناصرة–«القدس العربي»: وديع عواودة

كان الاتحاد السوفييتي أول دولة أوروبية تعلن تأييدها لقرار التقسيم التاريخي وقيام الدولة اليهودية وصوت سفيرها في الأمم المتحدة مع قرار تقسيم فلسطين في 29.11.1947 ومن وقتها شهدت العلاقات الثنائية بين موسكو وتل أبيب تحولات كثيرة، لكن السنوات الأخيرة تشهد تعاونا في مجالات شتى تفسّر تشبث الاحتلال بالعلاقات مع روسيا رغم الانتقادات الغربية منذ الحرب على أكرانيا. وهذا ما يفسّر سرعة احتواء الأزمة الأخيرة بينهما عقب تصريحات وزير الخارجية الروسي حول الدماء اليهودية في شخص هتلر، وهذا التراشق الأخير يبقى أقل من تهديد علاقات استراتيجية بين موسكو وتل أبيب ويندرج في نطاق «ضرب الحبيب زبيب» كما يقول المثل العربي الشعبي. في خطوة غير مسبوقة أعلن مكتب رئيس الحكومة نفتالي بينيت أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قدم اعتذاره عن تصريحات صدرت عن وزير خارجيته سيرغي لافروف، قال فيها إن هتلر يحمل دماء يهودية. وجاء هذا خلال مكالمة هاتفية أجراها بينيت مع الرئيس الروسي بوتين بناء على طلب الرئيس الأوكراني زيلينسكي الذي طلب وساطته مع الكرملين لتأمين ممرات آمنة لإخلاء المدنيين. وقدم بوتين التهاني لبينيت في الذكرى الـ74 لما يعرف بـ «يوم الاستقلال» وفي نهاية الحديث اعتذر عن كلام لافروف، وقبل بينيت اعتذاره لمعرفته مواقف بوتين، على مدى أعوام، من الشعب اليهودي ومن المحرقة. في مقابل البيان الإسرائيلي لم يذكر بيان الكرملين الاعتذار، بل شدد على أن بوتين وبينيت تحدثا عن الصداقة بين روسيا وإسرائيل، وعن «العلاقات المفيدة» بينهما. وقال بيان الكرملين إنه عشية الانتصار في الحرب العالمية الثانية التي تحتفل فيها روسيا وإسرائيل في 9 أيار/مايو شدد كل من ر بوتين وبينيت على الأهمية الخاصة لهذا التاريخ بالنسبة إلى شعبي البلدين. وخلال الحديث أشار بوتين إلى أنه من أصل ستة ملايين يهودي تعرضوا للتعذيب والقتل في الغيتوات وفي معسكرات الإبادة على يد النازيين، 40 في المئة كانوا من المواطنين الروس. في المقابل، ذكر بينيت دور الجيش الأحمر في الانتصار على النازيين. واعتبر رئيس حكومة الاحتلال الإسرائيلي أنّ تصريحات لافروف بشأن أصول هتلر «في غاية الخطورة ولا تعكس الحقيقة» مضيفاً أنها «أكاذيب هدفها إلقاء اللوم على اليهود». كما سارع وزير الخارجية الإسرائيلي يائير لابيد للرد على تصريحات لافروف واصفا إياها بـ«الفاضحة والتي لا تغتفر، وخطأ تاريخي فظيع» علما أن هناك من يرى بأن لابيد وبينيت يواصلان المشاركة في لعبة تقاسم الأدوار الإسرائيلية إمعانا في سياسة إمساك العصا من طرفيها الروسي والأوكراني والغربي.

احتواء الأزمة

كذلك استدعت وزارة خارجية الاحتلال الإسرائيلي السفير الروسي في تل أبيب إلى جلسة توضيح، عقب تصريحات لوزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف شبّه خلالها الرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي بالزعيم النازي أدولف هتلر. وتابع: «قد أكون مخطئاً، لكن أدولف هتلر كان لديه دم يهودي أيضاً. هذا لا يعني شيئاً على الإطلاق. يقول الشعب اليهودي الحكيم إنّ أكثر المعادين للسامية حماسة، كقاعدة عامة، هم يهود». جاءت هذه التجاذبات بين إسرائيل وروسيا على خلفية توترات بينهما شهدتها الأسابيع الأخيرة وتجلت في تصريحات مسؤولين من كلا الجانبين خلفيتها تصريحات وزير الخارجية في حكومة الاحتلال يائير لابيد بأن روسيا ترتكب جرائم حرب في أكرانيا.

نقاط الاتفاق والتعاون والخلاف

بيد أن هذه التوترات لا تعكس أزمة حقيقية في العلاقات بين روسيا وإسرائيل المستندة لمنظومة مصالح متبادلة متنوعة يجري التعاون لخدمتها منذ سنوات كثيرة، وهذا التراشق الذي انتهى بتوضيح أو اعتذار كما يقول متصاعد من مساعي الاحتلال لإمساك العصا من طرفيها انحيازا للمصالح وتجاهل الأخلاق. أمام الضغوط الأمريكية والغربية انتقلت إسرائيل لدور الوسيط بين روسيا وبين أوكرانيا وقام رئيس حكومته نفتالي بينيت بزيارات ولقاءات في موسكو وعواصم أوروبية وأجرى عددا كبيرا من المكالمات الهاتفية علاوة على التصريحات حول دور «الوساطة». كما كان متوقعا لم تكن هذه سوى وساطة افتراضية واستعراضية فقط فأوكرانيا لم ترض بهذا الموقف داعية إسرائيل لمساندتها لأكثر من سبب فيما كانت روسيا غير معنية بإنهاء الحرب في مرحلتها الأولى لكنها ربما اعتبرت نفتالي بينيت سلما قد تضطر لاستخدامه للنزول عن الشجرة الأوكرانية في مرحلة لاحقة. كذلك استثمرت روسيا المعروضة ضمن محاولاتها كسر الحصار الغربي عليها وربما إثارة خلافات في المعسكر المعادي لها. كذلك يندرج هذا التعاون الروسي مع إسرائيل في موضوع الحرب في أوكرانيا ضمن علاقات تعاون متبادلة بين موسكو وتل أبيب لم تتغير بتبدل الساسة في الطرفين. وتقوم علاقات التعاون هذه على أكثر من مصلحة ومحور منها وربما أبرزها بالنسبة لإسرائيل هو حرية طيرانها في سماء سوريا والتعاون العملي لمنع التموضع الإيراني في الأراضي السورية وهذا يفسر الصمت الروسي على هجمات إسرائيلية تكاد تكون أسبوعية ضد أهداف تعتبرها معادية في سوريا. ولم تهتز هذه العلاقات حتى بعدما أسقطت طائرة روسية في سماء سوريا خلال هجمة إسرائيلية عام 2018.

الهجرة اليهودية

كان ما يحرّك إسرائيل في سياساتها المحايدة ومناوراتها، هي منظومة مصالح على رأسها تحاشي إغضاب بوتين، واستمرار التنسيق الأمني مع روسيا في سوريا، ومحاولة استثمار الحرب والفوز بعشرات آلاف المهاجرين اليهود من روسيا أيضا عبر حصولها على موافقة بوتين على هجرتهم بعدما أمر بإغلاق الحدود في ظل رغبة إسرائيلية كبيرة باجتذاب المزيد من المهاجرين اليهود لمجابهة «التهديد الفلسطيني الديموغرافي». في ذات الوقت، تسعى إسرائيل عبر تقديم مساعدات إنسانية وبناء مستشفى ميداني في أوكرانيا وبواسطة هذه المحادثات والوساطة التي تبدو افتراضية أكثر مما هي واقعية، تسعى لامتصاص غضب كييف خاصة رئيسها زيلينسكي ومحاولة منعه من مواصلة توجيه سهام نقد لاذعة لها، لا سيما أن شعبيته كبيرة في العالم، وأن مجابهته الروس بـ«شجاعة» منحته صورة «البطل» فمواصلة توجيهه الانتقادات لدولة الاحتلال، من شأنها أن تعريها وتنزع عنها قناعها، خاصة في الغرب.

وهم إسرائيلي

لذلك يوجّه عدد كبير من المراقبين في إسرائيل انتقادات لمناورات إسرائيل ومساعيها لمواصلة إمساك العصا من المنتصف والبقاء في دائرة الحياد، رغم عتب قائم وغضب محتمل من قبل دول غربية بما فيها الولايات المتحدة. ويعبّر عن هذه الانتقادات المحلل الإسرائيلي للشؤون الاستراتيجية يوسي ميلمان، الذي يواصل التأكيد على إن إسرائيل اختارت البحث عن مصالحها تاركة كل القيم والأخلاق التي تشدقت بها طيلة عقود، داعيا لانضمامها للغرب واتخاذ موقف صارم من الاحتلال الروسي لأوكرانيا. كما أن ميلمان يقلل ضمن مقالات تنشرها «هآرتس» من المصالح الإسرائيلية التي يمكن خدمتها من خلال هذه المناورات، ومساعي الوساطة. وقال إن موقف إسرائيل هنا غير أخلاقي وغبي؛ لأنه لا يخدم مصالحها فعلا، مشددا على أن بوتين يستخدم نفتالي بينيت لأغراض دعائية. ويتطابق مع ميلمان الرئيس الأسبق للمخابرات العسكرية الباحث عاموس يادلين الذي يقول إن رهان إسرائيل خاطئ وإن علاقاتها الاستراتيجية مع الغرب أهم من مصلحة إسرائيلية في سوريا، بل يؤكد أن روسيا بكل الأحوال لن تبادر لمصادرة حرية حركة الطيران الإسرائيلي في الأجواء السورية. ويواظب يادلين على القول في مقابلات صحافية إن خوف إسرائيل من غضب روسيا ووقف حرية طيرانها في سماء سوريا «وهمٌ» لعدة أسباب، منها أن روسيا غير قادرة على فتح جبهة جديدة في الشرق الأوسط ولأنها محاصرة من عدة نواح، وبحاجة لرئة إسرائيلية تتنفس منها، ولأن هناك «مهم وأهم والأهم» هو المحافظة على العلاقات المتينة مع الحليفة الحقيقية المجرّبة، الولايات المتحدة.

وتنبه في هذا المضمار مديرة المشروع البحثي حول سوريا في «معهد أبحاث الأمن القومي» في جامعة تل أبيب دكتورة كارميت فالنسي أنه «في التحصيل الأخير، في الجدل الجاري في إسرائيل بشأن العلاقة بين ما يجري في أوروبا وبين النشاط الإسرائيلي في سوريا، ينبغي ألّا نستهين بأهمية العلاقات مع روسيا، لكن ينبغي، في المقابل، عدم إغفال موقف إسرائيل القوي وما تمتلكه من أوراق مساومة، بما في ذلك في السياق السوري أيضاً. فهذه إلى جانب الارتدادات السلبية التي قد تصيب سوريا جرّاء الحرب الراهنة في أوروبا، قد تنطوي على فرص جديدة لإسرائيل لا تقل عن المخاطر علما أن موسكو محتاجة لتثبيت نظام الأسد وإسرائيل قادرة على لعب دور هام هنا».

أفق العلاقات الثنائية

ويشير المحلل السياسي الروسي تيمور دويدار أن «التوتر بين الطرفين لا يقتصر على الملف الأوكراني فقط، حيث ظهر توتر آخر بينهما حول حوش الكسندر الأورثوذكسي في القدس والذي تطالب روسيا بملكيته». وأشار في تصريحات صحافية إلى أن «هذه القضية تم نقاشها في زمن رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق بنيامين نتنياهو، الذي وعد وقتها الرئيس الروسي بوتين بنقل ملكية الحوش لموسكو، وهذا الموضوع دخل المحاكم لدى الاحتلال، ولم تحل القضية بعد، ورسميا الكرملين يقول لإسرائيل أعطونا هذا الحوش كما وعدتم». لكن مراقبين إسرائيليين يقللون من أهمية الخلافات حول عقارات الكنيسة الأورثوذوكسية في البلاد خاصة في القدس معتبرين أن التوترات هذه ستبقى طارئة رغم اللهجة الروسية المختلفة والمواقف الدبلوماسية الناقدة لإسرائيل في الأمم المتحدة ردا على انتقادات وزير خارجية الاحتلال لابيد الذي يكرر اتهامه لروسيا بارتكاب مذابح في أوكرانيا. وبعد تجربة الحرب في أوكرانيا يبدو أن التوترات الحالية بين روسيا وإسرائيل أصغر من أن تدفعهما لمربع العداء وكسر قواعد اللعبة خاصة أن إسرائيل مصممة على التذبذب والسير بين النقاط بينما روسيا من جانبها معنية بالحفاظ على صداقتها وتعاونها مع إسرائيل.

العلاقات الروسية–الإسرائيلية: أبعد من «دماء هتلر اليهودية»

صبحي حديدي

تصريحات وزير الخارجية الروسية سيرغي لافروف، حول دماء هتلر اليهودية وأنّ «المعادين للسامية الأكثر سعاراً يتضح أنهم من اليهود»، ليست أغلب الظنّ زلّة لسان؛ حتى إذا كان الرجل لا يُشقّ له غبار في هذا الميدان، على غرار تصريحه الشهير بأنّ انهيار النظام في سوريا سوف «يغري بعض بلدان المنطقة لإقامة نظام سنّي»؛ وسوف «يؤثر على مصير المسيحيين والأكراد والعلويين والدروز، وقد يمتد إلى لبنان والعراق».

لكنّ التصريحات ليست في المقابل تمهيداً لفظياً يدشن طوراً جديداً من تدهور العلاقات بين روسيا فلاديمير بوتين من جهة، ودولة الاحتلال الإسرائيلي أياً كانت صفة الأغلبية الحاكمة من جهة ثانية. وللمرء أن يبدأ من دالة صريحة سارعت سلطات الاحتلال إلى إشاعتها، مفادها أنّ سيد الكرملين اعتذر عن تصريحات لافروف خلال اتصال هاتفي مع رئيس حكومة الاحتلال نفتالي بينيت، تضمن أيضاً «التهنئة بوتين بـ«عيد استقلال» الكيان الإسرائيلي.

للمرء، الباحث عن أدلة أكثر صلابة ورسوخاً في الزمن، أن يذهب إلى صمت الرادارات الروسية المنصوبة في طول سوريا وعرضها، إزاء الاعتداءات المتكررة التي ينفذها الطيران الحربي الإسرائيلي ضدّ مواقع داخل العمق السوري، وأحياناً على مبعدة أميال معدودة من مواقع عسكرية روسية في مطار حميميم وميناءي اللاذقية وطرطوس والمجمعات السكنية للضباط الروس في صلنفة ومعمل الأزوت الذي بات في قبضة المستثمرين الروس والبوارج الروسية في عباب المتوسط. في عبارة أخرى، العلاقات الروسية–الإسرائيلية أشدّ عمقاً، وأبعد من حيث الاعتبارات الجيو–سياسية والإقليمية والدولية، من أن يعكّر صفوها تصويت إسرائيلي لصالح استبعاد موسكو من مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة.

ثابت كذلك، وفي استكمال هذا الجانب من متانة العلاقات بين موسكو وتل أبيب، أن حكومة الاحتلال امتنعت عن تزويد أوكرانيا بأيّ طراز من الأسلحة، متطورة كانت وثقيلة أم تقليدية وخفيفة؛ كما رفضت الاشتراك في أي شكل من أشكال العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي على روسيا، بل يتردد اليوم أنّ موطن المليارديرات الأوليغارشية الروسية الأول هو دولة الاحتلال. ولا يصحّ أن تُنسى هنا زيارة رئيس حكومة الاحتلال السابق بنيامين نتنياهو إلى موسكو، أيلول (سبتمبر) 2015، في تزامن دقيق مع بدء التدخل العسكري الروسي لصالح نظام بشار الأسد؛ وكان الهدف الوحيد لتلك الزيارة، غير المبرمجة مسبقاً، هو تثبيت البروتوكولات العملياتية في حال قيام الطيران الحربي الإسرائيلي بأية عمليات في الأجواء السورية، وضمان عدم وقوع سوء تفاهم بين قاذفات الـ«سوخوي 27» الروسية، والـ«F–15» الإسرائيلية.

وإذا كانت العلاقات الروسية–الإسرائيلية على هذه الشاكلة، وهي بالتالي أبعد من حكاية «دماء هتلر اليهودية»، فإنّ تصريحات لافروف ليست تغريداً خارج السرب تماماً؛ وما يحرص المسؤولون الإسرائيليون على إبرازه لجهة عدم رضا بوتين عن أقوال وزير خارجيته، وأنه شخصياً لا يتفوّه بما هو معادٍ للسامية، إنما تكذّبه حقيقة أخرى ساطعة: أنّ الرئيس الروسي مولع، أشدّ الولع في الواقع، بثلاثة من كبار مفكّري العداء للسامية، أي الفيلسوف إيفان إيلين والمؤرّخ ليف غوميليف والكاتب الكسندر بروخانوف (وبين أشهر عبارات هذا الأخير قوله إنّ «اليهود استولوا على العالم وهم يستخدمون قوّتهم لصالح الشرّ»).

مغزى أوّل، هنا، ينبثق من نزوع الكرملين إلى دغدغة مشاعر شعبوية كامنة، عميقاً أو سطحياً، في نفوس شرائح غير ضئيلة داخل الشارع الروسي، كما في شوارع شعبية على امتداد دول أوروبا الشرقية؛ لم تنحسر فيها ظواهر الحساسية تجاه اليهود. ولا بأس بالطبع، أو لعلّ من الحكمة تحديداً، أن تُوكل إلى لافروف بعض مهامّ تلك الدغدغة؛ التي، ليس من دون مفارقة، يستطيب تولّي زمامها أيضاً!

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10617 الأحد 8 أيار (مايو) 2022 – 7 شوال 1443 هـ

هل ستطيح الحرب الروسية بالحكومة الإسرائيلية؟

حسام محمد

تصنف سوريا بعد ما آلت إليه تطورات الأوضاع فيها خلال السنوات الماضية كإحدى أبرز المعادلات المعقدة على الساحتين الإقليمية والدولية، علاوة عن مخاض البؤس والظروف القاسية للسوريين داخل جغرافية البلاد وخارج أسوارها، في حين تعتبر التفاهمات والسياسات القائمة بين روسيا الحليف الدولي الأبرز والأقوى للنظام السوري وإسرائيل من أعقد الموازنات من حيث تقاطع المصالح إلى تنفيذ كل جهة أهدافها الخاصة.

فموسكو، هي القوى الدولية القادمة من بعيد نحو المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط والمسلحة بمخططات توسعية تتجاوز عتبة الحدود السورية من دون الاستغناء عنها، مستغلة في ذلك جملة من العوامل الإقليمية كغياب التأثير العربي المحوري، وتطابق مسارها مع بعض الأنعام لثلة من الأنظمة العربية.

في حين تعمل تل أبيب على تثبيت خطوطها الحمراء بما يتناسب مع مخاوفها الأمنية وغاياتها التوسعية، فكانت الساحة السورية بوابتها للتفاهم مع موسكو بما يخص المحافظة على رأس النظام بشار الأسد وبنيته الأمنية، والتركيز على تحجيم الانتشار الإيراني ومكافحة قوافل الإمداد العسكري التي تصل لحزب الله عبر الأراضي السورية.

إلا أن كل تلك التوافقات لا تشير إلى تطابق في الرؤى الروسية والإسرائيلية حول سوريا، فلكل طرف غاياته وأهدافه الأحادية، وبين التوافقات الدولية والاختلافات يبقى المستقبل السوري معقودا على ما ستؤول إليه تلك المعادلات التي حولت الوطن إلى ساحة للصراع وجغرافية لتصفية الحسابات.

تناغم بدون مقايضات

ما بين روسيا وَإسرائيل أكبر من مجرّد تناغم وفق قراءة الباحث في العلاقات الدولية محمود إبراهيم، بل هي علاقات تحكمها معاهدات واتفاقات منذ العهدة السوفييتيّة، لكنّ العلاقة تبلورت بشكل مُحدّد بما يخصّ الجانب السوريّ في لقاءات القدس التي تمّت في عهدة الرئيس الأمريكيّ السابق ترامب، وَجمعت بين الأجهزة الأمنيّة والعسكريّة لثلاثة بلدان هي أمريكا وَإسرائيل وَروسيا.

معتبرا أن الحرب في أوكرانيا لا تحمل أي انعكاسات مباشرة على السياسة الروسية في سوريا، وأن الملف السوري منفصل تمامًا عن الأوكراني، كما أن موسكو لم تعتد على سياسة مقايضات الملفات كما يتم الترويج لها من قبل أصحاب نظريات المؤامرة ومنهم المعارضة السورية.

المتحدث أشار كذلك خلال تصريحات أدلى بها لـ «القدس العربي» إلى قيام بوتين بوضع الملف السوري بمكان مختلف عن الملف الأوكراني، ثم بدأ يفاوض العالم على هذه الملفات، ولكن كل واحد منها على طاولة خاصة، وقال: «هناك انعكاسات مباشرة للحرب الأوكرانية تخص تغيير الحكومة الإسرائيلية ولا تخص تغيير رأس النظام السوري، وأن روسيا لن تقايض أوكرانيا بسوريا، رغم ارتباطهما عضويا بقواعد عسكرية».

أما القيادي في المعارضة السورية، العميد فاتح حسون فقال: الأوضاع في سوريا خلقت فرصة ومناخا جيدا لكل من روسيا وإسرائيل لتعزيز وجودهما في المنطقة، ولتحقيق هذا الوجود فإن مصلحتهما اقتضت استمرار الصراع في سوريا، وتحقيقه يتطلب المحافظة على نظام الأسد إلى أطول مدة ممكنة.

وفي ذلك تحققت الفرصة لدخول روسيا إلى سوريا والحصول على مكاسب متوالية ومنحها قواعد وامتيازات عسكرية تجعلها لاعبا دوليا مهما في المنطقة ويمنحها قوة إضافية.

في حين استفادت إسرائيل من استمرار الصراع كثيرا، فهي لم تخسر جنديا واحدا أو طائرة ولم تتضرر بناها العسكرية والتحتية والاقتصادية، حيث أدى ذلك إلى تدمير جيش الدولة السورية الذي استخدمه نظام الأسد ضد الشعب السوري، وجميع البنى السورية بما فيها الاجتماعية.

وهي نتائج جعلت الفارق يزداد اتساعا من دون أن تخسر إسرائيل شيئا يذكر، وهي التي كانت أعدت خططا عسكرية للوصول إلى هذه النتائج تحتاج إلى مليارات الدولارات وإلى عشرات الآلاف من الجنود وإلى مراحل زمنية طويلة.

تقارب بهدف الهيمنة

إثر تفكك الاتحاد السوفييتي، خرج الوريث المتمثل بالاتحاد الروسي منهكا، فلم يكن مهتما كثيرا بموقعه على الساحة الدولية بقدر اهتمامه باستعادة بنائه الداخلي وفقا لمتغيرات السياسة الدولية والعمل نحو نهضة اقتصادية وانفتاحه على الغرب.

وقد اقتضى ذلك وفق ما قاله العميد حسون لـ«القدس العربي» افتتاحا روسيا بالضرورة على إسرائيل باعتبارها عضوا في النادي الغربي وقوة متنامية لا يمكن تجاهلها في الشرق الأوسط، وخاصة هي القوة الوحيدة المالكة للسلاح النووي وترسانة عسكرية تعتبر الأقوى والأكثر حداثة.

ومع طموحات بوتين لاستعادة الأمجاد السوفييتية والعودة إلى مياه المتوسط والمضائق المتحكمة في الملاحة الدولية فإنه بحاجة إلى القوى الأكثر تأثيرا وخاصة في شرق المتوسط وإسرائيل هي بوابة رئيسية لذلك، في حين ان إسرائيل باتت تحتاج أكثر إلى روسيا في مجلس الأمن لتمرير مشاريع قرارات الكنيست المتعلقة بضم الأراضي العربية التي احتلتها، وتعطيل مشاريع القرارات الدولية التي تعد في مجلس الأمن لمناهضة الاحتلال الإسرائيلي.

وإذا ما أضفنا التدمير الذي حصل للجيش العراقي وما أصاب جيش الدولة السورية وتدمير البنى السورية فإن إسرائيل أصبحت تمتلك أكبر المنظومات العسكرية التي تتفوق فيها على جميع الجيوش العربية عددا وقوة، ومع التهديد الذي تواجهه هذه الجيوش من إيران، فقد توجهت بعض الدول العربية لبناء علاقات مع إسرائيل التي تحولت إلى شرطي المنطقة بلا منازع.

وما زالت حاجة إسرائيل إلى الأسد لتثبيت النظام الجديد في المنطقة، وما زالت حاجة الروس إليه لمنحهم استمرارية ومشروعية وجودهم في سوريا، على الأقل من وجهة نظرهم.

في حين أشار الباحث في العلاقات الدولية محمود إبراهيم إلى ضرورة تحديد صفة العلاقات بين إسرائيل وَروسيا على مستويين استراتيجيّ دولة لدولة وَهذه استراتيجيّة طويلة وَعميقة، بينما المستوى الثانيّ تكتيكي بين الحكومة الإسرائيليّة الحاليّة وَبين السلطات الروسيّة.

مكاسب إسرائيلية

استطاعت إسرائيل رغم الحلف بين روسيا وأعدائها في الساحة السورية، أن تبني تفاهمات مع روسيا حول مصالحها الأمنية في سوريا، وتتمثل هذه المصالح في عدة نقاط، أهمها: «منع نقل سلاح من الساحة السورية إلى لبنان، ومنع اقتراب الحرب من الحدود الإسرائيلية، ومنح إسرائيل حق الرد على هجمات عليها من أطراف داخل الساحة السورية».

ما سهّل وفق ورقة بحثية أعدها الباحث مهند مصطفى في 2017 ونشرها موقع «الجزيرة للدراسات» التوصل إلى هذه التفاهمات التأكيد الإسرائيلي للجانب الروسي على أنها محايدة في الصراع في سوريا ولا تدعم طرفًا ضد الآخر وأنها لا ترى نفسها شريكًا في تحديد مستقبل سوريا؛ الأمر الذي دفع روسيا إلى الأخذ بعين الاعتبار المصالح الإسرائيلية ذات الطابع الأمني في سوريا.

ومع ذلك، فإن تحليلًا لكمية الهجمات التي شنّتها إسرائيل قبل التدخل الروسي وبعده يشير إلى أن روسيا لا تمنح إسرائيل حرية التصرف الكامل حتى في هذه المصالح، فكمية الضربات تراجعت بعد دخول روسيا عمًا كانت قبله، وربما يعود الأمر أيضًا إلى حرص روسيا على عدم إعطاء سلاح مُتقدّم لأعداء إسرائيل في سوريا.

4 سيناريوهات

ألهبت تصريحات وزير الخارجية الروسية سيرغي لافروف حول النزاع في أوكرانيا الأجواء الروسية مع إسرائيل، وهو ما دفع صحيفة «جيروزليم بوست» العبرية إلى طرح 4 سيناريوهات حول إمكانية تأثر العمليات العسكرية الإسرائيلية بعد الخلافات الأخيرة بين موسكو وتل أبيب.

السيناريو الأول هو أن كل شيء يبقى كما هو، تنظر روسيا وإسرائيل إلى سوريا كملف واحد ويمكنهما العمل على ذلك. وعلى الرغم من أنهما قد لا يشاركان نفس وجهة النظر بشأن الصراع في أوكرانيا، فقد يكون لديهما أيضًا بعض المصالح المشتركة في أماكن أخرى.

كما أشارت الصحيفة العبرية في تقريرها الذي ترجمته «القدس العربي» إلى أن فقدان الإجراءات الأمنية الإسرائيلية المطبقة مع الروس في سوريا سيكون مشكلة إستراتيجية لسلاح الجو الإسرائيلي حيث تواصل القدس الحفاظ على توازن دبلوماسي حول الحرب في أوكرانيا.

السيناريو الثاني: تقوم روسيا بتغيير وجهات نظرها حول دور إيران في سوريا. هناك شعور بأن طهران وموسكو لا تنظران إلى سوريا بنفس الطريقة. فإيران وفق الصحيفة تريد نظاماً سورياً ضعيفاً حتى تتمكن من إغراق سوريا بالأسلحة والمخدرات والمليشيات. وتريد روسيا نظامًا سوريًا أقوى ومستقرًا، على حد وصفها.

السيناريو الثالث: هو أن روسيا يمكن أن تساعد الدفاع الجوي السوري. من المفترض أنها زودت سوريا بصواريخ إس –300 بعد حادثة أسقطت فيها سوريا طائرة روسية. أسقطت سوريا تلك الطائرة بالقرب من اللاذقية في عام 2018 بإطلاق النار بشكل عشوائي على الطائرات الحربية الإسرائيلية. يمكن أن يمنح الكرملين دمشق المزيد من المعلومات الاستخباراتية أو المزيد من المعلومات والمساعدة في أشياء مثل الرادار.

السيناريو الرابع: يمكن لروسيا أيضًا زيادة التسريبات وتبادل المعلومات الاستخباراتية. وكشفت موسكو الغاضبة عن تفاصيل عملياتية للغارات الجوية الإسرائيلية، كما يمكن لروسيا أيضًا أن تذهب أبعد من ذلك وتبدأ في بيع الأسلحة لإيران أو بيع المزيد للنظام السوري، أخيرًا، يمكن لموسكو أن تبدأ في مساعدة النظام السوري في مواجهة الضربات الجوية الإسرائيلية.

من القصف الروسي في سوريا

Volume 34 - Issue 10617 Sunday 8 May 2022

لماذا توترت العلاقة بين موسكو وتل أبيب مؤخرا وسعى الطرفان إلى تطويقه بسرعة؟

باريس – «القدس العربي»: آدم جابر

راهن العديد من المحلّلين السياسيين على تحول التوتر الأخير في العلاقات الروسية الإسرائيلية، على خلفية الاتهامات الروسية للدولة العبرية بالدفاع عن النازيين الجدد في كييف، إلى أزمة حادة بين البلدين، لاسيما بعدما ذهب وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف إلى القول إن «هتلر كان فيه دم يهودي». غير أنه سرعان ما تم احتواء الموضوع من قبل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين نفسه والرئيس الأوكراني في إطار مداخلاته عبر الفيديو كونفرانس باتجاه برلمانات دول كثيرة إلى حث الإسرائيليين على مد الأوكرانيين بأسلحة دفاعية. وكان يأمل كثيرا في الاستفادة من منظومة «القبة الحديدية» المضادة للصواريخ والتي قال عنها إنها «أفضل نظام دفاعي صاروخي في العالم».

كل هذه الضغوط لم تؤت أكلها في البداية، وحاول رئيس الوزراء الإسرائيلي الحد منها من خلال تقديم مبادرة وساطة بين الطرفين الروسي والأوكراني في 16 آذار/مارس الماضي. لكن المبادرة باءت بالفشل على غرار أخرى متعددة رفضها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين. ومع تزايد الضغوط على الطرف الإسرائيلي من قبل الولايات المتحدة الأمريكية أساسا، ساندت إسرائيل قرار تعليق عضوية روسيا في مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة وصدرت عن وزير الخارجية الإسرائيلي تصريحات اعتبر فيها ان الروس ارتكبوا في أوكرانيا جرائم حرب ما جعل الخارجية الروسية تستدعي السفير الإسرائيلي في موسكو وتقدم له احتجاجا شديد اللهجة.

والحقيقة أن حديث وزير الخارجية الروسي عن الدم الذي يرى أنه كان يجري في هتلر جاء في الظاهر موجها إلى الرئيس الأوكراني فلودومير زيلينسكي الذي حاول مرارا التأكيد على أن إصرار الطرف الروسي على التدخل في أوكرانيا بحجة التصدي لقوى نازية في هذا البلد مرفوضة من الأساس لأنه يهودي الأصل ولا يمكن لرئيس دولة يهودي أن يقبل بانتشار النازية في بلاده. ومن هنا جاءت الإشارة إلى مقولة «دم هتلر اليهودي». وهي مقولة ترددت بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن لم يؤكدها المؤرخون.

وعندما قوبلت تصريحات لافروف بانتقادات حادة في إسرائيل، سعت الخارجية الروسية إلى توضيح موقفها من هذا السجال بالقول إن مرتزقة إسرائيليين ينشطون حاليا في كتيبة أزوف النازية التي تأسست عام 2014 وتصدت للانفصاليين الأوكرانيين في شرق البلاد وإن أصول رئيس لاتفيا اليهودية لم تمنع إعادة الاعتبار في هذا البلد الواقع في شمال أوروبا إلى عدد من التنظيمات النازية التي نشأت خلال الحرب العالمية الثانية بينها تنظيم «فافن إس إس» علما أن جمهوريتي لاتفيا وأوكرانيا كانتا في السابق جزءا مما كان يسمى الاتحاد السوفييتي.

يوم النصر والشراكة الاستراتيجية

وهناك قناعة لدى المتخصصين في العلاقات الروسية الإسرائيلية بأن اضطرار الرئيس الروسي إلى الاعتذار لدى رئيس الوزراء الإسرائيلي عن تصريحات لافروف يعزى قبل شيء إلى حرصه على ألا يضيب السجال الذي أحدثته تصريحات وزير الخارجية الروسي على الاحتفال بيوم النصر الذي يوافق 9 ايار/مايو من كل عام. ويرى بوتين أن الحرب التي شنها على أوكرانيا منذ شباط/فبراير الماضي إنما تندرج في إطار واجب وطني روسي تجاه ذاكرة يوم النصر هذا باعتبار أن 24 مليون مدني وعسكري على الأقل من سكان ما كان يسمى الاتحاد السوفييتي ماتوا تصديا للنازية.

ولذلك قررت القيادة السوفييتية جعل يوم استسلام جنود هتلر في برلين أمام الجنود السوفييت في ايار/مايو عام 1945 يوما تحتفل فيه شعوب الاتحاد السوفييتي سابقا وشعوب الاتحاد الروسي اليوم بانتصارها على النازية. وإذا كان بوتين يدرك أن محاولة الربط بين الحرب على أوكرانيا اليوم والتصدي للنازية خلال الحرب العالمية الثانية أطروحة لا يقبل بها الغرب، فإنه مقتنع بأن الروس أو على الأقل جزءا مهما منهم قادرون على الربط بين الحربين وهو ما يريده.

ومن الأسباب الأساسية التي جعلت بوتين يسارع إلى تطويق التوتر الروسي الإسرائيلي الأخير أنه يتفهم إلى حد ما الضغوط الكثيرة على إسرائيل ويقدر لها عدم إرسال أسلحة متطورة إلى أوكرانيا وعدم تطبيق عقوبات اقتصادية على الأثرياء الروس الذين صودرت أموالهم في الغرب. ويقول الكاتب الفرنسي سيلفان سيريل في مقال صدر في اذار/مارس الماضي في مجلة «الشرق 21» الفرنسية بعنوان «لم تساير إسرائيل روسيا إلى هذا الحد؟» حسب التقديرات «بلغ وزن هؤلاء الأثرياء الروس خلال السنوات الثلاثين الأخيرة ما بين 5 و10 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي الإسرائيلي، ما يدفع بإسرائيل بالفعل إلى الحد قدر الإمكان من آثار العقوبات التي يتعرضون لها».

ولا ينسى بوتين أنه أرسى بنفسه خلال زيارة تاريخية أداها إلى إسرائيل علاقة استراتيجية بين البلدين عام 2005 انعكست في السنوات التالية إيجابا على المصالح الروسية والمصالح الإسرائيلية على مختلف المستويات. أما القيادات الإسرائيلية المتعاقبة منذ تلك السنة فإنها اهتدت يوما بعد آخر إلى أن روسيا شريك مهم لها في المنطقة، بل إن هذا الشريك لا يمنعها منذ سنوات من اختراق الأجواء السورية بانتظام لضرب مواقع حزب الله المدعوم من قبل إيران والذي تعتبره إسرائيل خطرا جسيما على أمنها القومي.

وبقدر ما يعرف الطرفان الروسي والإسرائيلي أنه ليس من مصلحة كليهما عدم احتواء أجواء التوتر التي تظهر من حين لآخر في سماء العلاقات الاستراتيجية بين الطرفين، بقدر ما يدركان أن الحرب الأوكرانية في حال استمرارها أكثر من اللزوم يمكن أن تُعقد التفاهمات التي يمكن أن تحصل للحيلولة دون تحول السجالات وبوادر التوتر إلى أزمات يصعب احتواؤها.

لهذه الأسباب لم تسلط واشنطن الضوء على تصريحات لافروف بشأن «دم هتلر اليهودي»

واشنطن – «القدس العربي»: رائد صالحة

سارع المشرعون الديمقراطيون اليهود في مجلس النواب الأمريكي، البالغ عددهم 25 نائبا، إلى التنديد بشكل حاد بتصريحات وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف بشأن «دم هتلر اليهودي».

وقال النواب إن تعليقات لافروف مروعة ولكنها ليست مفاجئة، وأشاروا إلى أن النظام الروسي يبذل كل جهده لتحويل الانتباه عن الغزو غير المبرر وغير القانوني لأوكرانيا.

واتهم النواب روسيا ولافروف بالانفصال عن الواقع والأخلاق والإنسانية والحساسية، وقالوا إن «هذا المستوى من الفساد يتفق مع السلوك البغيض والزاحف لحكومة بوتين».

وفي الواقع، لم تكن هناك الكثير من التعليقات الأمريكية بشأن التوترات بين إسرائيل وروسيا بسبب تصريحات لافروف، ولم تصدر بيانات من الإدارة الأمريكية بشأن مقولة «دم هتلر اليهودي» ولكن العديد من المحللين الأمريكيين أشاروا إلى أنها جزء من «تناقضات الدعاية الروسية التي تدور حول التحريفات» وقالوا إن عدم الالتزام بالاتساق هو السمة الوحيدة الموثوقة لاتصالات موسكو في الوقت الحاضر. ولتوضيح سبب عدم ظهور ضجة أمريكية بشأن التصريحات، يمكن ملاحظة أن إسرائيل لم تفعل الكثير للتعبير عن غضبها بشأن التصريحات باستثناء تعليقات لا تصل لمرحلة عدوانية ضد روسيا، وكل ما فعلته الحكومة الإسرائيلية هو استدعاء السفير الروسي في إسرائيل للتوبيخ والمطالبة بالاعتذار، وكأن الأمر مجرد زلة دبلوماسية. وعلى حد تعبير العديد من المحللين الأمريكيين، فإن مطالبة إسرائيل لروسيا بالاعتذار عن بيان لافروف تعني ضمناً «أن ننسى ما مضى» ومع اعتذر بوتين نفسه، إلا أن الخبراء قالوا إنه لا يعكس حتى «أدنى درجات الأسف».

وقد تدخل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في نهاية المطاف، وقدم اعتذاراً عن التصريح الذي أدلى به وزير خارجيته سيرغي لافروف وقال فيه إنّ لأدولف هتلر «دماً يهودياً» ومن غير المتوقع أن تستمر الحكومة الإسرائيلية في طرح القضية بعد هذا الاعتذار.

السؤال الكبير الذي طرحه العديد من المحللين الأمريكيين بشأن تداعيات التوترات اللفظية بين إسرائيل وروسيا، التي جاءت رداً على تصريحات وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف حول «دم هتلر اليهودي» هو ما إذا كانت التوترات ستؤدي إلى أي تغيير في سلوك الجيش الروسي تجاه الضربات الجوية الإسرائيلية في سوريا.

ولاحظت صحف أمريكية، وصول وفد من حركة المقاومة الإسلامية «حماس» إلى موسكو في غضون الأزمة، وقالت إن المسؤولين الإسرائيليين يرونها كشكل من أشكال الانتقام، كما لاحظ الخبراء أن روسيا قد اتخذت إجراءات تظهر رغبتها في الاقتراب من إيران.

قامت إسرائيل بمناورات دبلوماسية مسرحية محكوم عليها بالفشل أمام العالم من أجل إنهاء الصراع في أوكرانيا بعد أيام من الغزو الروسي لأوكرانيا، حيث سافر رئيس الوزراء الإسرائيلي نفتالي بينيت إلى موسكو في 26 شباط/فبراير، أي يوم سبت، بعد يومين من الغزو، وهناك التقى بالرئيس فلاديمير بوتين لمدة 3 ساعات، ولكن بالطبع بدون نتيجة.

وقد جلبت هذه المحاولات الكثير من التعليقات بشأن قدرة إسرائيل على لعب الوسيط بسبب علاقاتها مع روسيا مع الحفاظ على علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة، مع إشارات واضحة بأن إسرائيل فشلت في التفاوض مع الفلسطينيين وليست لها القدرة على التوسط في قضية دولية، كما أنها تبدو ضعيفة كقوة دبلوماسية في الجهود المبذولة لإنهاء الغزو.

وسلط المحللون الضوء على آلية عدم التضارب، التي انشأتها روسيا وإسرائيل، والتي تسمح للجيش الإسرائيلي بالقيام بغارات جوية في سوريا ضد إيران بدون الإضرار بالجيش الروسي، كمثال على الثقة التي تتمتع بها إسرائيل من جميع الأطراف المشاركة في الصراع.

ويتمتع الاحتلال الإسرائيلي بعلاقات أكثر دفئا مع موسكو مقارنة مع الدول الغربية، بسبب وجود عدد كبير من المستوطنين الإسرائيليين من أصول روسية في فلسطين المحتلة، كما أشار سفيرها في أوكرانيا بأن الجذور اليهودية للرئيس الأوكراني فولوديمير زيلينسكي منحته «ارتباطاً عاطفياً خاصاً» بإسرائيل.

وفي الواقع، قوبلت المحاولات الإسرائيلية للمساعدة في إنهاء الحرب بالشكوك، على الرغم من محاولات تضخيم دور إسرائيل في التفاوض، وكان هناك شبه إجماع بين الخبراء على أنه لا يمكن تحقيق تقدم كبير في نهاية المطاف إلا بين موسكو وواشنطن.

وبالنسبة للعديد من الدبلوماسيين الأمريكيين، فإن علاقة إسرائيل طويلة الأمد مع الولايات المتحدة، والتي تسمح بالانفتاح والتعاون في القضايا الدبلوماسية الحساسة، قد تجعلها وسيطاً فعالاً في الصراع بين روسيا وأوكرانيا، وقد نسقت إدارة الرئيس جو بايدن بالفعل مع إسرائيل في جهود الوساطة.

وقد عملت إسرائيل في السابق كمنصة عامة للاتصالات المباشرة بين الولايات المتحدة وروسيا، وقد التقى مستشار الأمن القومي الروسي نيكولاي باتروشيف مع نظيره الأمريكي والإسرائيلي في القدس المحتلة لمناقشة الوجود الإيراني في سوريا.

وعلى أية حال، يعتقد العديد من المحللين الأمريكيين بأن مخاطر التقارب الإسرائيلي مع روسيا أكثر من الفوائد، وأشاروا إلى أن إسرائيل تظهر وكأنها لا تقف بقوة مع أوكرانيا والولايات المتحدة والغرب عندما تلعب دور الوسيط بين روسيا والغرب، ولكنهم تجاهلوا حقيقة أن إسرائيل غير مهتمة إلا بمصالحها، وليس هناك أي اهتمام حقيقي بالوقوف إلى جانب أي ديمقراطية تقاتل من أجل حريتها.

وفي نهاية المطاف، قال محللون إن زيلينسكي وبوتين يستخدمان إسرائيل لتحقيق مكاسبهما الخاصة، كما إن إسرائيل تستخدم الروس لتحقيق مكاسبها الخاصة، واستنتج مراقبون أن «زلة لسان لافروف» لن تؤثر كثيراً عن «المناورات الدبلوماسية المسرحية» بين الأطراف.

نانسي بيلوسي مع زيلينسكي في كييف

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10617 الأحد 8 أيار (مايو) 2022 – 7 شوال 1443 هـ

هل تقامر إسرائيل بخسارة روسيا صمام الأمان في ضبط إيقاع صراعات الشرق الأوسط؟

إبراهيم نوار

أشعل وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف حريقا في العلاقات مع إسرائيل بملاحظات صرح بها لقناة تلفزيونية إيطالية منذ عشرة أيام تلمح إلى أن إسرائيل متورطة في تأييد «النظام النازي الجديد» في أوكرانيا بقيادة فلوديمير زيلينسكي. وقال لافروف أن كون زيلينسكي يهوديا لا يبرأه من الميول النازية، لأن هتلر نفسه كانت تجري في عروقه دماء يهودية. ملاحظة لافروف تضرب أحد أركان الهوية اليهودية التي تعمل على ترسيخها المنظمات اليهودية العالمية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. ولا تتسامح هذه المنظمات، ولا حكومة إسرائيل مع أي شخص أو مؤسسة تقلل من شأن الهولوكوست، أو تثير الشكوك بشأن تورط شخصيات يهودية فيه جنبا إلى جنب مع النازي.

ولم يقبل أعضاء الكنيست ولا الحكومة الإسرائيلية ما جاء في خطاب الرئيس الأوكراني أمام الكنيست بمقارنة معاناة الأوكرانيين تحت الغزو الروسي بمعاناة اليهود تحت حكم النازي. ومن هنا تأتي خطورة تصريح لافروف، وشدة ردود الفعل الإسرائيلية التي تهدد استقرار العلاقات بين تل أبيب وموسكو. خطورة تصريح لافروف تفسر أيضا المبادرة السريعة التي قام بها الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بالحديث مع رئيس الوزراء الإسرائيلي نفتالي بينيت هاتفيا مساء الخميس الماضي لاحتواء الأزمة والحيلولة دون تفاقمها. والعلاقات بين موسكو وتل أبيب ربما تكون من أكثر العلاقات «ذات الطابع البراغماتي» في السياسة الدولية. لكن عددا من التطورات الأخيرة تهددها، منها أن روسيا كشفت النقاب عن أن إسرائيل أرسلت 20 متطوعا للقتال ضد القوات الروسية في أوكرانيا. وقالت ماريا زاخاروفا المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية الروسية لراديو «سبوتنك» يوم الأربعاء الماضي أن مجموعة من المرتزقة الإسرائيليين تقاتل مع الوحدات العسكرية الأوكرانية التابعة لميليشيات «آزوف» القومية اليمينية المتطرفة، التي تمثل أحد الأجنحة العسكرية لما تطلق عليه موسكو اسم «النظام النازي الجديد» في أوكرانيا. وفي تصريحات أدلت بها في وقت لاحق إلى تلفزيون «روسيا– 24» قالت إن إسرائيل تتجاهل ظهور ونمو «أيديولوجية نازية جديدة في أوكرانيا منذ سنوات».

وقد كشفت مجموعة تدعى «رايبار» قائمة بأسماء 20 مواطنا إسرائيليا دخلوا إلى أوكرانيا كمتطوعين للقتال في صفوف الميليشيات القومية الأوكرانية «آزوف» بكل التفاصيل الواردة في جوازات السفر التي دخلوا بها إلى أوكرانيا. وذكرت أن هؤلاء الأفراد قد عملوا من قبل لدى أجهزة وزارة الخارجية والأمن الإسرائيلية والوكالة اليهودية.

كما تسبب التوتر بين موسكو وتل أبيب في تعطيل الاتصالات الرسمية المقررة سابقا، ومنها إلغاء مكالمة هاتفية في الأسبوع الماضي بين وزير الدفاع الروسي ونظيره الإسرائيلي، كان من المنتظر ان يناقش فيها الوزيران قواعد الاشتباك في الأجواء السورية. وقبل ذلك وجه وزير الخارجية الإسرائيلي يائير لابيد هجوما قاسيا على روسيا، واتهم قواتها بارتكاب جرائم حرب في أوكرانيا، وقال إن الكشف عن قبور جماعية في بلدة «بوتشا» القريبة من كييف يدل على ذلك. وتنتقد موسكو موقف إسرائيل في آذار/مارس الماضي بتأييد مشروع القرار الأمريكي في الجمعية العامة للأمم المتحدة بادانة الغزو الروسي والمطالبة بانسحاب قواتها من أوكرانيا، كما انتقدت أيضا تأييد إسرائيل لمشروع قرار لطرد روسيا من عضوية مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان.

ميليشيات آزوف

مصالح متبادلة

يبلغ عدد اليهود الروس في إسرائيل والمهاجرين من دول الاتحاد السوفييتي سابقا ما يقرب من 1.5 مليون شخص، أو ما يعادل 15 في المئة من عدد السكان، جاءت الأغلبية العظمى منهم من روسيا وأوكرانيا. ويسهم اليهود الروس في إسرائيل بدور مهم سياسيا واقتصاديا. كما يسهم رجال ورئيساديريات الروس الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية بدور مهم في تعزيز العلاقات بين موسكو وتل أبيب.

وطبقا لتقديرات أجرتها مجلة «فوربس» فإن ما يزيد على 40 في المئة من المليارديرات الروس الذين يبلغ عددهم 111 فردا يحملون جوازات سفر إضافية. أما بالنسبة للمليارديرات الروس الـ 35 الذين ضمتهم قائمة العقوبات على رجال بوتين، فإن ما يقرب من نصفهم لدى كل واحد منهم جنسية ثانية. ويحمل 11 منهم الجنسية الإسرائيلية، من بينهم رومان ابراموفيتش، الذي يقوم بدور غير رسمي مهم في المفاوضات بين روسيا وأوكرانيا. ومع تطبيق العقوبات الاقتصادية فإن دول الاتحاد الأوروبي ومنها قبرص سحبت بعض جوازات سفر الشخصيات الخاضعة للعقوبات، وهذا ما جعل جواز السفر الإسرائيلي أكثر جاذبية، نظرا لأن إسرائيل لم تنضم إلى برامج العقوبات الاقتصادية. وتتضمن المزايا التي حصل عليها حملة الجنسية الإسرائيلية الإعفاء من الضرائب على أرباح الاستثمار في الخارج لمدة عشر سنوات. وبسبب المزايا التي حصل عليها الملياردرات الروس فإن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية للشؤون السياسية حذرت من أن تتحول إسرائيل إلى ملاذ سياسي ومالي آمن للملياردرات الروس، وبواية خلفية للتهرب من العقوبات الاقتصادية.

وبالمثل فإن إسرائيل تربطها علاقات قوية بالجالية اليهودية في أوكرانيا التي تتألف من نحو 250 ألف شخص، تطمح تل أبيب إلى جذب النسبة الأكبر منهم للهجرة إليها. ومن ثم فإن الحكومة الإسرائيلية تحرص على خلق انطباع إيجابي عن سياستها تجاه أوكرانيا في وقت الحرب وإظهار تضامنها. وهي تفعل ذلك بتقديم مساعدات طبية وإنسانية، حفاظا على العلاقات الثقافية والتجارية القوية بين الطرفين.

التنسيق الأمني مع روسيا

روسيا قوة دولية رئيسية، وهي في الوقت نفسه لاعب رئيسي في الشرق الأوسط، بما لها من حضور عسكري وسياسي واقتصادي. وتلعب روسيا دورا حيويا في ضبط إيقاع الصراع في سوريا، ووضع معادلة غير مكتوبة بشأن الخطوط الحمراء التي لا يجب تجاوزها. وفي سياق التنسيق الأمني بين روسيا وإسرائيل يتم الاتفاق على إجراءات لعدم التصعيد العسكري عبر الحدود البرية والجوية الإسرائيلية–السورية. وقد قامت روسيا بدور محوري في إبعاد الميليشيات المعارضة لنظام الأسد عن الجولان وشمال إسرائيل، وضمان الهدوء في تلك المناطق. كذلك تجري بين موسكو وتل أبيب مشاورات مستمرة حول مستوى تسليح القوات السورية، وحول المساعدات الروسية لإيران، مقابل التزام إسرائيل بعدم تصدير أسلحة إلى دول مجاورة لروسيا مثل جورجيا، أو إثارة القلاقل على حدودها.

ومنذ بداية الحرب الأوكرانية حرصت إسرائيل على إبقاء الأبواب مفتوحة مع كل من موسكو وكييف. وكان رئيس الوزراء الإسرائيلي أول القادة السياسيين الذين التقوا وجها لوجه مع فلاديمير بوتين في 10 آذار/مارس الماضي، ومن القادة السياسيين الذين تحدثوا مباشرة مع الرئيس الأوكراني زيلينسكي، وحاول أن يلعب دور «حمامة سلام بين الطرفين» كوسيط موثوق فيه. لكن التطورات السريعة في الموقفين الروسي والأمريكي لم تترك لإسرائيل هامشا كبيرا للعب هذا الدور، خصوصا بعد أن تبنت واشنطن استراتيجية لإطالة أمد الحرب، وقررت إمداد أوكرانيا بمساعدات عسكرية بمليارات الدولارات، وطلبت من حلفائها بمن فيهم إسرائيل الإنضمام إلى برنامج لتزويد أوكرانيا بالسلاح.

إيران أهم لروسيا من إسرائيل

تحاول روسيا الإبقاء على قدر من التوازن في علاقاتها بأطراف النزاع المختلفة في الشرق الأوسط، بما في ذلك إيران وإسرائيل. وقد نجحت الدبلوماسية الروسية منذ عام 2015 حتى الآن في وضع نهاية للحرب الأهلية في سوريا من خلال سياسة إنشاء «مناطق تخفيف التوتر» وبناء جسور للتعاون الثلاثي المشترك مع كل من إيران وتركيا، وتعزيز قوة نظام بشار الأسد. كما نجحت في توظيف صيغة التعاون مع منظمة أوبك لتطوير علاقاتها مع السعودية ودول الخليج على أساس المصالح المشتركة، والوقوف في وجه الضغوط الأمريكية لزيادة إنتاج النفط بكميات أكبر من المتفق عليها داخل مجموعة «أوبك+». وتدل هذه الدبلوماسية على أن أهمية إيران وسوريا ودول الخليج بالنسبة لروسيا تفوق أهمية إسرائيل. ومع ذلك فإن موسكو ما تزال شديدة الحرص على جعل إسرائيل أكثر اعتمادا عليها في تحقيق أهداف الأمن القومي ذات الطابع العملياتي، بما لا يصطدم بشدة مع مصالح إيران وسوريا وتركيا في الخليج وشرق البحر المتوسط، في إطار استراتيجية ذكية لضبط إيقاع الصراع، على أساس صيغة تضمن المشاركة في الأرباح السياسية «win- win» وهي صيغة جعلت أطراف الصراع في وضع أفضل نسبيا خلال السنوات السبع الأخيرة. على سبيل المثال فإنها تتيح الفرصة للطيران الإسرائيلي للقيام بنشاط محدود داخل المجال الجوي السوري لضرب أهداف إيرانية، لكن روسيا تستطيع تقييد هذا النشاط بشدة إذا أتاحت لبطاريات الصواريخ من طراز إس 300 وإس 400 بالعمل ضد الطيران الإسرائيلي. كذلك فإن السياسة العسكرية الروسية أتاحت لإيران فرصة زيادة قوتها وتوسيع نفوذها في سوريا خلال السنوات السبع الأخيرة، وحماية نظام الأسد من السقوط، كما خلقت حالة من الهدوء بشكل عام، وقللت من حدة الاشتباكات بين الأطراف المختلفة بما فيها الميليشيات التابعة لتركيا والميليشيات الكردية. وعلى الرغم من أن بعض المراقبين يعتقد أن بقاء إسرائيل على الحياد في الحرب الأوكرانية قد انتهى عمليا بعد تصريحات لافروف، إلا أن المكالمة الهاتفية التي جرت بين بوتين وبينيت مساء الخميس الماضي تدل على حرص كل من الطرفين على احتواء الموقف، وعدم السماح للعلاقات بينهما أن تتدهور بدون أي كابح، وهو ما يضع كل منهما في اختبار صعب خلال الأسابيع المقبلة.

وإذا كانت الولايات المتحدة قوة آفلة عسكريا في الشرق الأوسط، فإن حاجة إسرائيل إلى الدور الروسي من المرجح أن تزيد في السنوات المقبلة، لضمان الهدوء على الجبهة السورية، وفتح قنوات لضبط إيقاع الصراع مع إيران، خصوصا وأن الطريق يكاد يكون مفتوحا أمام طهران لكي تصبح قوة نووية جديدة في المنطقة والعالم. ولذلك فإن إسرائيل سيكون من مصلحتها عدم السماح بتدهور العلاقات مع روسيا، لأنها في تلك الحالة ربما تجد نفسها تدفع وحدها أخطاء الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، في الوقت الذي استطاعت فيه إيران إقامة تحالفات أقوى مع كل من روسيا والصين، ووسعت مجالات نفوذها الإقليمي.

Volume 34 - Issue 10617 Sunday 8 May 2022

«مطبات هوائية» تحكم علاقات روسيا وإسرائيل وصدى ارتجاجاتها متوقعٌ في سوريا

رلى موفّق

ظنَّ «القيصر» أن لديه قدرة الاستيلاء بيسر على أوكرانيا، وتلقينها درسا، وتنصيب نظام حليفٍ له. أغلب الظن أنه تيَقَّنَ من السقوط في الفخ الأميركي. لن يكون بإمكانه، في احتفال عيد النصر على ألمانيا النازية في التاسع من أيار/مايو، أن يُعلن النصر مجدداً على «النازيين الجُدد» في أوكرانيا، حتى إن جيشه لم ينجح في فصل الشرق الأوكراني لتقديمه كـ«نصر مُنجز» بعدما كان الهدف قلب العاصمة. فالمعارك في الدونباس مستمرة، والمعلومات الروسية تُقدِّر أنه لا يزال هناك ما يزيد على مئة ألف من الجيش الأوكراني في دونتيسك، وتقول إن الخطة العسكرية تقضي بمحاصرتهم حتى استسلامهم. الحال في أوديسا ليست أفضل، بعدما تكشَّف أن الحسابات الزمنية لإسقاطها خاطئة.

يُدرك فلاديمير بوتين أن الغرب يحشدُ كل إمكاناته خلف أوكرانيا، ويُقدِّم لها شتى أنواع الدعم. يعلم أن واشنطن تُجنِّد ما أمكنها من الدول المؤثرة في خدمة هزيمته، وفي مقدمتها إسرائيل التي كانت تُصارع لعدم الانغماس في هذه الحرب والاضطرار إلى تأييد طرف على حساب الطرف الآخر. حاول رئيس الوزراء، نفتالي بينيت، البقاء في موقع الوسط عبر لعب دور الوسيط بين روسيا وأوكرانيا، لكنه دورٌ لا يُرضي أي من الطرفين، فكلاهما يضغطان عليه.

ثمّة علاقة معقدة بين روسيا وإسرائيل. البعض يعزو الإرباك الإسرائيلي إلى حاجة تل أبيب للحفاظ على الترتيبات المتعلقة بسوريا وحرية حركتها فيها. هذه مسألة حيوية، غير أن كثراً من المراقبين يرون أن المسألة تتخطى سوريا وأوكرانيا، ولها ارتباط قوي بالأوليغارشية الروسية التي تُحيط ببوتين، وغالبية هؤلاء من أصول يهودية يحملون الجنسية الإسرائيلية، وتُشكّل إسرائيل ملاذاً ضريبياً آمناً لهم. وقد قصدَ كثر منهم تل أبيب بعد الحرب الروسية على أوكرانيا، وبعدما بدأت أميركا وأوروبا بفرض عقوبات عليهم.

لكن في ظل الحديث عن ضغوط تتعرَّض لها تل أبيب من قبل واشنطن، يرتفع منسوب الهجوم الروسي على إسرائيل. منبع ذلك هو الاقتناع بدور دولتين في حسم اتجاهات الحرب، هما تركيا وإسرائيل. من هنا يمكن فهم ما تتعرَّض له العلاقات الروسية – الإسرائيلية ووصف ما تمر به بـ«مطبّات هوائية» ذات ارتجاجات شديدة القوة، وهي مطبّات ستقوى وتخفّ على وتيرة الحرب الدائرة بين موسكو وكييف. لكن في نهاية المطاف ستُسوَّى الأمور، بحسب أحد منظري «محور إيران» الذي يُبدي الكثير من الحذر حيال رهانات على تحوُّل كبير في الموقف الروسي تجاه إسرائيل.

في المعلومات أن روسيا قامت، في سوريا، بعملية إعادة انتشار في مناطق حيوية عدة، من بينها مطار تدمر ومحيطه. وقد ملأت الميليشيات الإيرانية الفراغ. أتت هذه الخطوة نتيجة الحرب في أوكرانيا، ويمكن إدراجها في إطار إجراءات الحذر وإعادة التموضع على ضوء المتغيّرات والظروف، ويمكن أن تُقرأ على أنها رسالة تحذير إلى إسرائيل، أو أنها نتاج تطوُّر إيجابي في مترتبات العلاقة الروسية – الإيرانية على خلفية الملفات المفتوحة والمتشعبة، من أوكرانيا، إلى الاتفاق النووي، إلى وضع الإقليم.

ما هو أكيد أن الساحة السورية ستكون «صندوق بريد» ومسرح عمليات مرتبط بقوة بالمشهد الأوكراني، سواء لجهة تركيا أو إسرائيل، أو حتى أميركا، حيث ارتفعت فرص الاحتكاك الأميركي – الروسي فوق تلك الساحة. ولا يزال من غير الواضح كيفية ترجمة انعكاسات التأزم بين موسكو وتل أبيب على قواعد الاشتباك في سوريا، وعلى جملة مسائل حيوية، تبدأ من مصير المصالحات في المنطقة الجنوبية، وتمر بحرية حركة الطيران الحربي الإسرائيلي وضرباته لمواقع عسكرية للنظام والميليشيات الإيرانية وشحنات الأسلحة الإيرانية، ولا تنتهي عند تخفيف الضوابط التي كانت تُقيِّد تحرّكات النظام، وعند الحضور الإيراني الذي كان خاضعاً للتوازنات التي فرضتها روسيا.

الانطباع السائد أن روسيا بدأت تتصرَّف في سوريا على أن الحرب في أوكرانيا هي حرب استنزاف طويلة، وهي تفهم مغزى إقفال تركيا البحر والجو أمامها، بحيث منعت أنقرة في بداية الحرب – بموجب تطبيقها «اتفاقية مونترو» – السفن الروسية من عبور مضائقها بين البحر المتوسط والبحر الأسود، فيما أعلنت قبل أسابيع عن إغلاق مجالها الجوي أمام الطائرات الروسية المدنية والعسكرية التي تُقل جنوداً، والمتوجهة إلى سوريا. سيلجأ الجميع إلى استخدام ما لديه من أوراق قوة وأوراق ضغط في الساحات المؤثرة، وسيلجأ كل طرف إلى الإفادة من خلق وقائع جديدة وتحسين مواقعه ونفوذه.

تذهب الحسابات القريبة من إيران إلى توقع حصول «حدث ما» في سوريا في حال تفاقم التوتر الروسي– الإسرائيلي. الحديث عن حدث يزعج تل أبيب، ولا يحدث انقلاباً. فموسكو لا تريد ولا تستطيع أن تقفل الأبواب على إسرائيل، حتى لو جنحت الأخيرة صوب أوكرانيا، التي يميل إليها الرأي العام الإسرائيلي، والتي تحصد تل أبيب من خلالها مكاسب على أقله في إبعاد كأس صفقة الملف النووي الإيراني بين أميركا وإيران.

كيف ينظر حلف الناتو إلى تطور العداء بين روسيا وإسرائيل

برلين ـ «القدس العربي»: علاء جمعة

بالرغم من إعلان إسرائيل أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين اعتذر لرئيس الوزراء الإسرائيلي نفتالي بينيت عن تصريحات وزير خارجيته سيرغي لافروف التي قال فيها إن لأدولف هتلر «دما يهوديا» وفق بيان لمكتب بينيت. بيد أنه وخلافا لبيان رئاسة الوزراء الإسرائيلية خلا البيان الذي أصدره الكرملين بشأن المكالمة الهاتفية من أيّ إشارة إلى أيّ اعتذار قدّمه بوتين لبينيت. وقال مكتب بينيت إنّ «رئيس الوزراء قبل اعتذار الرئيس بوتين عن تصريح لافروف وشكره على توضيح موقفه بشأن الشعب اليهودي وذكرى المحرقة».

وتأتي هذه التهدئة لو صحت ضمن سلسلة من التصعيد الروسي بحق إسرائيل وتصريحها بأنها لا تعترف بالسيادة الإسرائيلية على الجولان، وذلك ردا على تصريحات إسرائيلية داعمة للناتو والحرب الأوكرانية.

والحقيقة أن إسرائيل نفسها وقعت في مأزق كبير نتيجة هذه الحرب ولعل ذلك يظهر في تأخرها في إصدار أي بيان أو موقف واضح لغاية لقاء بينيت ببوتين في آذار/مارس الماضي. وترى وسائل إعلام ألمانية أن إسرائيل لن تستطيع إلا في النهاية الوقوف مع حليفتها الولايات المتحدة وبالتالي الناتو وأوكرانيا، وذلك مهما حاولت نفي ذلك. بيد أن إسرائيل هي أيضًا موطن لأكثر من مليون يهودي روسي هاجروا إلى الدولة اليهودية في السنوات الخمس عشرة الماضية. هم الآن أكبر أقلية في البلاد، كما أنهم يشكلون أكثر من 12 في المئة من السكان. ويرى خبير أمريكي في تصريحات خص بها وكالة الأنباء الألمانية أن الحكومات الغربية سوف تواصل هدف «إذلال وتدمير روسيا». والأمر المهم هو أن حديثه يشير إلى أن التهديد سوف يتزايد، وهو يتوقع «إحياء الأفكار النازية في أوروبا» وذلك من ناحية نتيجة وصول أعداد كبيرة من اللاجئين الأوكرانيين إلى أوروبا. ويشير إلى أن هؤلاء «المتطرفين وجدوا بالفعل لغة مشتركة مع الأوروبيين المعجبين بهتلر».

ويقول سيستانوفيتش، الذي عمل في وقت سابق مستشارا خاصا لوزير الخارجية الأمريكي وكان كبير مسؤولي الوزارة بالنسبة للسياسة تجاه روسيا وغيرها من دول الاتحاد السوفييتي السابق، إنه مهما كان الذي سوف تتكشف عنه الحرب، تفترض الدائرة المقربة لبوتين أنه لا تهاون في مواجهة روسيا الأوسع نطاقا مع أوروبا والولايات المتحدة.

ويتساءل سيستانوفيتش عن كيف سوف تتعامل روسيا مع هذه الظروف الدولية والعقوبات الاقتصادية المستمرة، وغيرها من الحملات العسكرية، والعداء السياسي والتخريب الأيديولوجي؟ ويقول إن الإجابة على ذلك واضحة، وهي أن الدولة تحتاج إلى ضوابط داخلية تهدف لعزلها عن الاتصالات والتأثيرات الخارجية. فالنموذج الضمني (وأحيانا الصريح) لهذا التشديد هو النموذج السوفييتي للاكتفاء الذاتي، وهي محاولة وطنية تؤثر على كثير من المجالات، بما في ذلك التجارة والسياسة النقدية، والتعليم، ودعم العلم، وتنظيم الإنترنت.

هذه الأقوال تدعمها تصريحات رئيس مؤتمر ميونخ الدولي للأمن، كريستوف هويسغن، الذي صرح لصحف مجموعة «فونكه» الألمانية الإعلامية الصادرة السبت أن الغرب متفق الآن على أن التعاون مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بعد انتهاء الحرب في أوكرانيا بات مستحيلا. وقال «أي تعاون مع بوتين مستحيل. الرئيس الروسي ودع العالم المتحضر» مضيفا أن بوتين خرق جميع الاتفاقيات التي تحمل اسمه، ومصيره إلى محكمة دولية لمحاسبته على جرائم الحرب التي ارتكبتها روسيا.

وحسب صحيفة «زود دويتشه تسايتونغ» فيبدو أن روسيا تتصدى الآن للعالم الغربي بأسره وتتعمد استفزاز الحوادث الدبلوماسية والذي يقوم على الأكاذيب، تمامًا كما فعل هتلر نفسه مع العالم المتورط في ذلك الوقت.

ويبدو أن الناتو أخذ قراره مسبقا بشيطنة بوتين مهما فعل، وبالرغم من هذه التهديدات الروسية لإسرائيل لا يرى البعض أن الأمر بهذه الخطورة، وهناك تصورات رفعها توماس دي ميزير، وزير الدفاع الألماني السابق والأمين العام لحلف الناتو ينس ستولتينبيرغ تتمثل في دور أكبر لإسرائيل في الناتو. وحسب هذه التصورات التي اطلق عليها رؤية الناتو 2030 فإن دور إسرائيل مهم للغاية. يتراوح التعاون بين الدفاع السيبراني وجهود مكافحة انتشار الصواريخ وأسلحة الدمار الشامل والمعلومات الاستخبارية المتعلقة بمكافحة الإرهاب. وهو ما أكده قائد القيادة البحرية لحلف الناتو الأدميرال كيث بلونت «لقد كانت إسرائيل شريكًا مهمًا لحلف الناتو لأكثر من 20 عامًا بالإضافة إلى كونها عضوًا نشطًا في الحوار المتوسطي».

قوات من حلف الناتو

السنة الرابعة والثلاثون العدد 10617 الأحد 8 أيار (مايو) 2022 – 7 شوال 1443 هـ

روسيا وإسرائيل و«النازيون الجدد» في كييف عندما لا ترضي سياسة اللعب على الحبلين العدو أو الصديق

إبراهيم درويش

أوكرانيون يهود

اندلع نقاش حاد وغير عادي من ناحية مضمونه وتداعياته بين روسيا وإسرائيل، فهو وإن كان من متركزا على الحرب في أوكرانيا وغضب روسيا الواضح مما ترى أنه دعم إسرائيلي لحكومة «النازيين» في كييف وتوفير الإسرائيليين المرتزقة لها وقتالهم في كتيبة اسمها أزوف، إلا أن اللغة التي استخدمت فيه مثيرة للاهتمام والدهشة، فكما قلل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين من الحقيقة التاريخية لوجود أوكرانيا في مقاله الشهير تموز/يوليو 2021 وأكد على الرابطة الوجودية بينها وروسيا الأم، حاول وزير خارجيته سيرغي لافروف نقل المواجهة إلى منطقة حساسة بالنسبة لإسرائيل ووجودها عندما اتهم اليهود أو بعضهم بأنهم أشد عداء للسامية، ممن ترمى عليهم التهمة في الغرب وحول العالم من إسرائيل وأنصارها، بل وذهب لافروف أبعد عندما قال إن هتلر نفسه الذي أقام محرقة اليهود في الحرب العالمية الثانية كان يحمل دماء يهودية.

وتصريحات كهذه تعتبر في سياق مختلف نارية وذات تداعيات خطيرة على من يتفوه بها، لكنها جاءت من دولة صديقة ومهمة لوجود إسرائيل من ناحية الدعم المستمر لها منذ الحقبة السوفييتية وحتى اليوم وحقيقية ان نسبة 15 في المئة من سكان إسرائيل هم من أصول روسية وأوكرانية، ولا يزالون رغم هجرتهم منذ عقود يحتفظون بعلاقات عاطفية ومادية مع البلاد التي جاءوا منها. وردت إسرائيل بغضب على تصريحات لافروف من الرئيس اسحق هيرتزوغ ورئيس الوزراء نفتالي بينيت ووزير الخارجية يائير لابيد وغيرهم، إلا أن وزارة الخارجية الروسية واصلت الهجوم.

وجاءت المعركة الكلامية تعبيرا عن غضب روسي متصاعد من إسرائيل سواء شجب دبلوماسييها للاتهامات الروسية بارتكاب جرائم حرب وما اقترحه سفير تل أبيب في كييف من إطلاق أسماء ضحايا الهولوكوست على شوارع في كييف واستدعاء موسكو السفير الإسرائيلي الكسندر بن زئيف الأسبوع الماضي للاحتجاج على هذه التصريحات. وقبل ذلك عنف وزير الخارجية الروسي نظيره الإسرائيلي لابيد على التصويت في الأمم المتحدة لتجميد عضوية روسيا في مجلس حقوق الإنسان واقتراحه ان القوات الروسية ارتكبت جرائم حرب في مدينة بوتشا الشهر الماضي.

مشكلة اللعب على الحبلين

وتعبر هذه المعركة الكلامية عن فشل في الإستراتيجية التي اتبعها بينيت من الحرب الروسية في أوكرانيا واللعب على الحبلين، فهو يقوم بدور الوساطة المحايد والوسيط بين أوكرانيا وروسيا ولابيد يتولى الجبهة الإعلامية ويصدر تصريحات ناقدة وأحيانا عنيفة لما تقوم به روسيا من غزو لأوكرانيا. فالحكومة الإسرائيلية حرصت منذ البداية على عدم إغضاب حليفتها الأمريكية التي تولت مهمة تعبئة دول الناتو والعالم ضد الرئيس بوتين وأصبحت جزءا من الحرب فيها نظرا للدعم العسكري المباشر والأموال التي أعلنت عن تخصيصها للجهود الحربية، ومن جهة أخرى الحفاظ على العلاقات القوية مع موسكو التي نمت بشكل قوي خلال السنوات الماضية واستفادت منها إسرائيل أثناء فترة حكومة بنيامين نتنياهو في سوريا التي تحولت فيها روسيا اللاعب الرئيسي. ولم تنجح إسرائيل في البقاء على عارضة الجمناز والحفاظ على توازنها، وبدأت تميل كفتها نحو الغرب كما رأت صحيفة «الغارديان» (2022/5/3) وأن تعليقات لافروف عن هتلر هي محاولة لزيادة الضغط عليها كي تتخلى عن موقفها المحايد من الحرب الروسية في أوكرانيا، وهو موقف أغضب حلفاء إسرائيل التي كانت واحدة من الدول القليلة الحليفة لأمريكا التي امتنعت عن فرض عقوبات مشددة على موسكو، فمنذ بداية الحرب ركزت تل أبيب على الجهود الدبلوماسية والإنسانية لدعم حكومة أوكرانيا التي يترأسها فلودوميمير زيلينسكي، وامتنعت في الوقت نفسه عن تقديم الأسلحة العسكرية الثقيلة مثل نظام القبة الحديدية التي ذكرت صحف إسرائيلية وغربية أن إسرائيل رفضت بيعه لأوكرانيا إلى جانب أجهزة تجسس لاختراق الهواتف الروسية. مثل برنامج بيغاسوس الذي صنعته الشركة الإسرائيلية «أن أس أو غروب» وأصبحت في مركز فضيحة دولية لاستخدامه في اختراق هواتف المعارضين للأنظمة الديكتاتورية. واكتفت إسرائيل، على الأقل، علنا بمساعدات إنسانية مثل بناء مستشفى ميداني في غرب أوكرانيا وستر واقية وخوذ للجيش الأوكراني. كل هذا في محاولة للحفاظ على علاقاتها الحساسة مع روسيا وعدم تأثر وضعها العسكري في سوريا. ورأت الصحيفة أن الحرب الكلامية المتبادلة والنقد الإسرائيلي المتزايد للغزو يؤشر لتحول تدريجي نحو الموقف الغربي، وأشارت صحيفة «هآرتس» (2022/5/3) إلى أن المؤسستين السياسية والعسكرية تفكران بزيادة الدعم لأوكرانيا في أعقاب الخلاف الدبلوماسي. وقالت إن قائمة المعدات العسكرية المقترح إرسالها ستتم مراجعتها قبل إرسالها. ومع ذلك، نقلت الصحيفة عن مصدر قوله إن الدعم العسكري المقترح سيظل رمزيا ولن يشمل أنظمة صاروخية متقدمة طلبها زيلينسكي من الكنيست في خطابه الذي ألقاه في آذار/مارس الماضي. وقال المصدر إن إسرائيل ستواصل موقفها الحالي وهو تجنب إغضاب موسكو. وأضافت أن حلفاء إسرائيل الغربيين قلقون من موقفها الحذر ورفضها دعم الموقف المعارض للحرب، كما وأعرب مسؤولون عن تأثر صناعة السلاح من خلال إرسال رسالة وهي جلوس إسرائيل على الهامش في نزاعات مستقبلية. وتعلق الصحيفة أن تصريحات لافروف النارية هي صورة عن الحالة «الراديكالية» التي وصلت إليها السياسة الخارجية الروسية والتي فقدت تماسكها في وجه الغزو ولم تعد تدري ما هي الأهداف التي يجب تحقيقها من هذه العملية. وبحسب المحلل السياسي الروسي ألكسندر بونوف وهو دبلوماسي سابق أن مهارات وفن الدبلوماسية انهارت مثل كل شيء مع الغزو. فلم يعد هناك قواعد، وفقدت المؤسسة الخارجية الروسية توازنها كما يقول. وباتوا يركزون جميعا على المهمة الوحيدة وهي تبرير أمر لم يسر حسب المخطط له، أي غزو أوكرانيا، ولكنهم مضطرون لتبريره.

أعتذر لم يعتذر

وظل النقاش الدبلوماسي يدور بدون تدخل من بوتين، ثم أعلن المسؤولون الإسرائيليون أنه اعتذر لبينيت عن التعليقات التي أطلقها لافروف واعتبرت معادية للسامية. وجاء اعتذار بوتين في مكالمة هاتفية مع رئيس الوزراء الإسرائيلي التي تزامنت مع احتفالات إسرائيل بذكرى إنشائها. وبالمقارنة لم يذكر بيان الكرملين يوم الخميس في فحوى المكالمة أي اعتذار وركز على الاحتفالات بيوم النصر في 9 أيار/مايو والذي عادة ما يتم فيه الاحتفال بهزيمة الجيش الأحمر للنازية الألمانية في عام 1945 وأنه يوم له «أهمية خاصة لشعبي البلدين اللذان حفظا الحقيقة التاريخية حول الأحداث خلال كل هذه السنوات وشرفوا ذاكرة الذين سقطوا بمن فيهم ضحايا الهولوكوست».

يوم النصر

ولم يبتعد اليوم عن الحرب في أوكرانيا، وما يجب عمله لإحيائه أم إلغائه. ورأت ليلي غاليلي في موقع «ميدل إيست آي» (2022/5/5) أن روسيا تتوقع من إسرائيل إظهار التضامن معها وتحيي يوم النصر، ولكنها تواجه في الوقت نفسه ضغوطا من أوكرانيا للامتناع، مما يضعها وسط أزمة سياسية. فإسرائيل هي واحدة من عدد قليل من الدول التي تحتفل باليوم في 9 أيار/مايو بدلا من 8 أيار/مايو الذي تحتفل به الدول الغربية بـ«يوم النصر في أوروبا». وأشارت إلى أن يوجين كورنشوك، السفير الأوكراني في إسرائيل التقى بوزيرة الهجرة والاستيعاب بنينا طمونا- شطة وكتب في أعقاب اللقاء منشورا على فيسبوك قال فيه إن إسرائيل ستتجنب الاحتفال بيوم النصر نظرا لتعرض أوكرانيا للعدوان. ثم عاد وصحح كلامه قائلا إن اليوم سيتم إحياؤه في الكنيست لإحياء ذكرى 250.000 يهودي في الجيش الأحمر. ولكن الاحتفالات لن تكون مثل سابقتها من ناحية دعوة السفراء ومنح المحاربين السابقين شارة القديس جورج، وهو التكريم الروسي العسكري الذي يقدمها عادة القنصل الروسي.

ويحظى يوم النصر باهتمام كبير في روسيا باعتباره نقطة تحول في التاريخ الروسي الحديث، وهناك تكهنات تقول إن هذا اليوم الذي يحرص عليه بوتين وجزء من تأكيده على القومية الروسية سيكون مهما هذا العام، لأنه يأتي وسط حرب في أوكرانيا، وربما أعلن فيه عن عملية عسكرية كبيرة. وفي عام 2018 دعا بوتين نتنياهو لحضور الاستعراض العسكري في الساحة الحمراء. وتطلق روسيا على المعركة ضد النازيين بأنها الحرب الوطنية العظمى وليس الحرب العالمية الثانية. ومثلما أكد بوتين على أهمية هذا اليوم، فقد أصبح جزءا من احتفالات إسرائيل السنوية والتي يعيش فيها محاربون سابقون حصلوا من خلاله على اعتراف إسرائيلي ببطولتهم. وقبل وصول موجة المهاجرين من الاتحاد السوفييتي السابق بداية التسعينات من القرن الماضي تم محو دور الجيش الروسي الأحمر من ذاكرة النصر في الحرب العالمية الثانية، بل وتم تشويه الذكرى بعدما قطع الاتحاد السوفييتي علاقته مع إسرائيل في أعقاب حرب 1967. وظل أعضاء الحزب الشيوعي، من فلسطينيين ويهود يحيون اليوم في غابة الجيش الأحمر قرب القدس. ولكنه اليوم أصبح جزءا من تقاليد المهاجرين من الاتحاد السوفييتي ذوي الميول اليمينية والذين أصروا على نقل تقاليدهم إلى إسرائيل. وفي عام 2017 مرر الكنيست قانونا اعتبر يوم 9 أيار/مايو جزءا من الاحتفالات الرسمية. وكان بوتين عاملا مهما في الحفاظ على علاقة الشتات الروسي في إسرائيل بمواطنهم الأصلية حيث كشف الستار في رحلة له عام 2020 عن لوحة طولها 8.5 أمتار تخلد ضحايا وذكرى المدافعين عن لينينغراد. ومن هنا فإسرائيل تواجه معضلة الاحتفال بيوم جعله بوتين يوما لروسيا وإسرائيل.

ومنذ البداية ارتبط الموقف الإسرائيلي من الحرب باعتبارات الأمن والتطورات في المنطقة، فرغم التصريحات الشديدة من الطرفين، إلا أن الغضب الإسرائيلي تركز على لافروف وليس بوتين، فما على المحك أهم، فلولا روسيا لما شنت إسرائيل ومنذ عام 2012 مئات الغارات ضد أهداف قالت إنها للحرس الثوري الإيراني أو حزب الله أو الميليشيات الشيعية في العراق. فقد تحولت إسرائيل اليد الطويلة لأمريكا ترامب في سياسته المتشددة ضد إيران. وفي رحلته السرية إلى موسكو طرح بينيت الملف الإيراني مع بوتين باعتبار بلاده من الموقعين على الاتفاقية. وتخشى إسرائيل أنها لو اتخذت موقفا من الحرب أن ترد موسكو بعمليات انتقامية. وراقبت بحذر زيادة الاتصالات بين موسكو والفلسطينيين. وبحسب صحيفة «جيروزاليم بوست» فأول اتصال جاء مع رئيس السلطة الوطنية، ثم قام لافروف بحوار مع اسماعيل هنية، المسؤول البارز بحماس. وقاد المسؤول البارز موسى أبو مرزوق وفدا يوم الأربعاء لزيارة موسكو. وبدأت العلاقات بين روسيا وحماس في عام 2006 بعد فوزها في الانتخابات البرلمانية، وأصبح النزاع الفلسطيني– الإسرائيلي في مركز اهتمام الروس. وتساءلت الصحيفة عن فرص استخدام بوتين تأثيره على السلطة الوطنية في الضفة وحماس في غزة. ورأت أنه في حالة عدم احتواء الأزمة الحالية فإن الكرملين قد يفعل إيران، سوريا أو حماس بدون اعتبار للتداعيات، حسب عباس غاليموف، كاتب خطاب الرئيس بوتين في السابق فـ«بوتين لا يقيم وزنا أو يفكر بالتداعيات، فلديه ميل للانضمام إلى أي قتال حتى يخرج منتصرا». ويقلل المحللون في الوقت الحالي الدول الغربية بـ«يوم النصر في أوروبا». وأشارت إلى أن يوجين كورنشوك، السفير الأوكراني في إسرائيل التقى بوزيرة الهجرة والاستيعاب بنينا طمونا- شطة وكتب في أعقاب اللقاء منشورا على فيسبوك قال فيه إن إسرائيل ستتجنب الاحتفال بيوم النصر نظرا لتعرض أوكرانيا للعدوان. ثم عاد وصحح كلامه قائلا إن اليوم سيتم إحياؤه في الكنيست لإحياء ذكرى 250.000 يهودي في الجيش الأحمر. ولكن الاحتفالات لن تكون مثل سابقتها من ناحية دعوة السفراء ومنح المحاربين السابقين شارة القديس جورج، وهو التكريم الروسي العسكري الذي يقدمها عادة القنصل الروسي.

ويحظى يوم النصر باهتمام كبير في روسيا باعتباره نقطة تحول في التاريخ الروسي الحديث، وهناك تكهنات تقول إن هذا اليوم الذي يحرص عليه بوتين وجزء من تأكيده على القومية الروسية سيكون مهما هذا العام، لأنه يأتي وسط حرب في أوكرانيا، وربما أعلن فيه عن عملية عسكرية كبيرة. وفي عام 2018 دعا بوتين نتنياهو لحضور الاستعراض العسكري في الساحة الحمراء. وتطلق روسيا على المعركة ضد النازيين بأنها الحرب الوطنية العظمى وليس الحرب العالمية الثانية. ومثلما أكد بوتين على أهمية هذا اليوم، فقد أصبح جزءا من احتفالات إسرائيل السنوية والتي يعيش فيها محاربون سابقون حصلوا من خلاله على اعتراف إسرائيلي ببطولتهم. وقبل وصول موجة المهاجرين من الاتحاد السوفييتي السابق بداية التسعينات من القرن الماضي تم محو دور الجيش الروسي الأحمر من ذاكرة النصر في الحرب العالمية الثانية، بل وتم تشويه الذكرى بعدما قطع الاتحاد السوفييتي علاقته مع إسرائيل في أعقاب حرب 1967. وظل أعضاء الحزب الشيوعي، من فلسطينيين ويهود يحيون اليوم في غابة الجيش الأحمر قرب القدس. ولكنه اليوم أصبح جزءا من تقاليد المهاجرين من الاتحاد السوفييتي ذوي

Volume 34 - Issue 10617 Sunday 8 May 2022

نتيجة صفقات الأسلحة إسرائيل حائرة أمام غموض الرؤية الجيوسياسية لروسيا في الشرق الأوسط

منظومة الدفاع الجوي إس 400

لندن– «القدس العربي»: حسين مجدوبي

تردد السؤال التالي في أكثر من عاصمة غربية وآسيوية وفي مراكز التفكير الاستراتيجي: لماذا تلتزم إسرائيل الحذر في الحرب الروسية– الأوكرانية؟ أو: لماذا لا تريد تل أبيب إغضاب الكرملين؟ يسود الاعتقاد أن الموقف الإسرائيلي الحذر يعود إلى سياسة موسكو في الصفقات التي توقعها مع دول الشرق الأوسط ومنها مصر وتركيا، وقد يكون المنعطف هو تسليح سوريا بأسلحة متطورة.

ومنذ بدء شن روسيا هجوما ضد أوكرانيا يوم 24 شباط/فبراير الماضي، نهجت إسرائيل مواقف حذرة للغاية تجاه الصراع تتناقض منطقيا أو على الأقل نظريا مع توجهها الغربي وانخراطها في السياسة الأمريكية، علما أن واشنطن الآن هي التي تقود الغرب في إضعاف الجيش الروسي في هذه الحرب. ومن ضمن التفسيرات التي قدمها المهتمون بعلاقات إسرائيل الخارجية نجد: أولا، وجود نسبة هامة من اليهود من أوكرانيا وروسيا في إسرائيل، وبالتالي يجب تفادي تأييد دولة ضد أخرى لتجنب وقوع مواجهة داخلية في إسرائيل بين اليهود الروس واليهود الأوكرانيين قد تحمل انعكاسات سلبية للغاية على وحدة الإسرائيليين. ثانيا: سعي إسرائيل إلى لعب دور الوساطة بين كييف وموسكو، وقد طرحت هذه الوساطة في أكثر من مناسبة غير أنها لم تنجح بسبب الموقف الروسي الرافض لمنح إسرائيل أي مصداقية في هذا الشأن. ورغم حدة لهجة روسيا ضد موسكو سواء فيما يخص تورط اليهود في معاداة السامية ومن ضمن ذلك الحديث عن يهودية هتلر ثم اتهام موسكو لتل أبيب بوجود مقاتلين إسرائيليين في أوكرانيا، أو الرفع من مستوى التواصل مع حركة حماس، تستمر إسرائيل في الالتزام بالحذر التام.

وإلى جانب السياسة والدبلوماسية، من ضمن العوامل الرئيسية التي دفعت بإسرائيل إلى التريث في الحرب الأوكرانية هو قلقها من الغموض الذي يكتنف الرؤية الجيوسياسية لروسيا تجاه منطقة الشرق الأوسط. ويبقى الجواب: فتش عن الأسلحة.

باستثناء سوريا التي عادة ما تشتري سلاحها من روسيا، هيمنت الولايات المتحدة خلال الثلاثين سنة الأخيرة على صفقات الأسلحة لكل دول الشرق الأوسط خاصة تركيا ومصر. وكانت إسرائيل مرتاحة لتفوقها النوعي في السلاح على جيرانها. غير أن الحديث الذي وقع هو بدء روسيا تكسير هذه المعادلة خلال السنوات الأخيرة، وكانت البداية مع مصر وتركيا وقد تنتقل إلى باقي الدول العربية ومنها العربية السعودية.

في هذا الصدد، ورغم اتفاق السلام والعلاقات التي تبدو متينة، ترى إسرائيل بقلق كبير مساعي مصر في تحديث ترسانتها الحربية. وخلال السنوات الأخيرة، لم تعد مصر تعتمد على سوق السلاح الأمريكي بل تراهن على الصناعة الحربية الروسي. في هذا الصدد، اقتنت مصر مروحيات وخاصة مقاتلات متطورة من «عائلة سوخوي» مثل سوخوي 30 ثم صفقة بشأن سوخوي 35 المتطورة، كما اقتنت مقاتلات رافال الفرنسية. وتخلت مصر عن اقتناء المقاتلات الأمريكية. ويبقى المثير هو قرار واشنطن خلال آذار/مارس الماضي بيع مصر مقاتلات إف 15 بعد انتظار طال قرابة 40 سنة وضغطها على القاهرة للتخلي عن سوخوي 35. في الوقت ذاته، وقعت مصر خلال الصيف الماضي صفقة أولية لشراء 200 دبابة روسية متطورة 90MS-T وقد تقتني 300 أخرى مع ميزة التركيب وتصنيع بعض الأجزاء في مصر. ويجري الحديث عن احتمال شراء إس 400 مستقبلا.

وتعتبر إسرائيل الخاسر الأكبر لأن السلاح الروسي لمصر بل حتى رافال الفرنسية تتم بدون شروط مسبقة سواء بالنسبة للاستعمال أو الحد من بعض المميزات. والفارق مع الأسلحة الأمريكية هي الشروط ونوعية السلاح. وعندما تبيع واشنطن السلاح إلى مصر يكون بشروط من ضمنها عدم مهاجمة إسرائيل، كما أن هذه الأسلحة الأمريكية ذات مميزات محدودة للغاية وخاصة في ضرب الأهداف بحكم أن المقاتلات التي تقتنيها مصر أو أي دولة عربية محدودة للغاية مقارنة مع النسخ الحقيقية الأمريكية التي يستعملها الجيش الأمريكي بل وحتى إسرائيل.

وما يحدث مع مصر بدأ يتكرر مع تركيا التي تعتبر عضوا في منظمة شمال الحلف الأطلسي، وفضلت اقتناء منظومة الصواريخ إس 400 الروسية، الأمر الذي عرض الحلف لهزة لم يشهدها من قبل. وبدأت الدول العربية وعلى رأسها العربية السعودية تفكر في عقد صفقات عسكرية مع روسيا للحصول على أسلحة متطورة ومنها منظومة الدفاع إس 400 والتفكير في اقتناء مقاتلات بعدما جمدت واشنطن صفقات مهمة. ويبقى التخوف الإسرائيلي الكبير هو من قرار روسيا منح سوريا أسلحة متقدمة ومتطورة مثل أنظمة إس 400 وصواريخ دقيقة من نوع إسكندر التي باعتها للجزائر لأن ذلك يعني وضع جديد في الشرق الأوسط. والمعادلة العسكرية واضحة: منظومة الدفاع الجوي إس 400 لدول الشرق الأوسط يعادل انهيار التفوق الجوي الإسرائيلي.

كما أن مصالح الدول تتغير ولا تعد ثابتة، وهذا يعني تغيير المواقف السياسية والتحالفات. وعمليا، تعد إسرائيل من الكيانات التي لا تثق في العرب رغم اتفاقيات السلام والحديث عن أنظمة عربية عميلة للغرب وإسرائيل أساسا، فهي تدرك مدى تعرض المجتمعات العربية للتغيير الاجتماعي والسياسي، وعليه، انتظار مفاجآت ومنها عسكرية. ومن الأسئلة التي تطرحها الاستخبارات ومراكز التفكير الإستراتيجي الإسرائيلي: الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي ورث اتفاقية السلام وتقرب لإسرائيل ولكن لماذا تخلى عن السلاح الأمريكي وفضل السلاح الروسي الذي لا يخضع لشروط الاستعمال؟ ثم: ماذا لو كان خليفة السيسي مختلفا في التفكير تجاه إسرائيل وتكون رهن إشارته ترسانة عسكرية متطورة؟ خلال الخمسة عقود الأخيرة، غيرت مصر من مواقفها، كانت تابعة لموسكو وأصبحت في فلك واشنطن ووقعت السلام مع إسرائيل، والآن تبحث عن وضع جديد في الساحة الدولية على شاكلة تركيا وإيران، وبالتالي هي مهيئة للتغيير لاسيما في ظل التطورات التي يشهدها العالم وعلى رأسها تقدم الصين لمنافسة الولايات المتحدة على قيام المنظم الدولي.

لقد انتصرت إسرائيل في حروبها ضد العرب بفضل التفوق العسكري الذي ضمنته لها الولايات المتحدة. غير أن هذا التفوق بدأ يتراجع خلال السنوات الأخيرة بسبب التطور الحاصل في الأسلحة. فمن جهة، رهان حزب الله على استراتيجية الصواريخ، ومن جهة أخرى بسبب سياسة موسكو المستعدة لتزويد بعض الدول العربية بل ودول الشرق الأوسط بأسلحة متطورة وشرعت في هذه السياسة مع مصر وتركيا. وينتج عن هذا فقدان إسرائيل للتفوق العسكري النوعي ومعه لسياسة الردع العسكري، ويكفي تأمل كيف لم تعد إسرائيل تجرأ على مهاجمة إلى لبنان منذ الهزيمة النسبية في حرب تموز/ حزيران 2006.

الحذر الإسرائيلي في حرب أوكرانيا والحذر في التعاطي مع روسيا يعود أساسا إلى تخوف تل أبيب من استراتيجية جديدة لموسكو في الشرق الأوسط تقوم على عدم التردد في تسليح بعض دول المنطقة بأسلحة متطورة مثل مصر، الأمر الذي يعني نهاية التفوق النوعي الإسرائيلي في الشرق الأوسط. إن السؤال الشائك الذي لم تجد له إسرائيل جوابا شافيا وهو: ما هي الرؤية الجيوسياسية الحقيقية لروسيا في الشرق الأوسط؟

حوار

أستاذة القانون في الجامعة التونسية والمناضلة الحقوقية د. حفيظة شقير:

انتقلنا من مرحلة «المحاصصة الحزبية» إلى الحكم الانفرادي وشخصنة السلطة

حوار: روعة قاسم

حفيظة شقير أستاذة القانون العام في كلية الحقوق والعلوم السياسية في تونس، ولها مسيرة تمتد على مدى 40 سنة في النضال الحقوقي والنقابي. انخرطت في الحراك الحقوقي من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان كما ساهمت في تأسيس العديد من منظمات المجتمع المدني التي تُعنى بحقوق الإنسان والمرأة، وكانت من مؤسسي نادي «الطاهر حداد» الثقافي. كما ساهمت في تأسيس لجنة المرأة في الاتحاد العام التونسي للشغل وشغلت عدة مناصب هامة، فكانت في سنة 2011 عضوة في هيئة الخبراء في الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة والإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي. وفي سنة 2014 تبوأت منصب خبيرة لدى المجلس الوطني التأسيسي لمراجعة الدستور. وفي سنة 2016 شغلت منصب نائبة رئيس الفدرالية الدولية لحقوق الإنسان وهي عضوة مؤسسة للجمعية التونسية للنساء الديمقراطيات.

تطرقت د. حفيظة شقير في هذا الحديث مع «القدس العربي» لواقع الحريات والحقوق في تونس في ظل التحولات الراهنة، مشيرة إلى ان مكاسب حقوق الإنسان في تونس باتت مهددة اليوم وانه لا سبيل سوى مواصلة النضال من أجل حماية الحقوق والحريات.

يشار إلى أن د. شقير لديها عديد البحوث والدراسات المنشورة، إضافة إلى العديد من المقالات والمحاضرات، والمؤلفات والبحوث. وهنا نص الحوار.

○ كيف ترين واقع الحقوق والحريات في تونس في ظل الوضع الراهن وماهي التهديدات التي تواجه ملف الحريات باعتقادك؟

● بصراحة لستُ متفائلة بالوضع الراهن، لقد ناضلنا كثيرا من أجل الحقوق والحريات ومن أجل أن يلعب المجتمع المدني دوره الحقيقي في الضغط على سياسات البلاد وفي مراقبة مدى تطبيق واحترام حقوق الإنسان. وكنا قد ناضلنا من أجل أن يتمّ التنصيص على عديد الحقوق وان تكون لها قيمة دستورية. فقد سعينا بكل جهد من أجل إدراج مبدأ المساواة بين الجنسين في الدستور ومن أجل ضمان الحقوق والحريات العامة والفردية ومن أجل الاعتراف بالحقوق السياسية والمدنية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية وكل الحقوق بمختلف أشكالها، وناضلنا من أجل حماية الحقوق من مظاهر التضييق بفعل الإحالة في القانون مثلما كان موجودا في دستور 1959 وتحديدا الضوابط التي يمكن استعمالها للتضييق على مجال الحقوق والحريات. كنا في عهد بن علي نعيش تحت مظلة الديكتاتورية وناضلنا من أجل الحقوق ولكن للأسف بعد الثورة سواء قبل 25 تموز/يوليو أو بعده وجدنا أنفسنا نعيش النضال نفسه. منذ 2011 ومع حكم الترويكا كنا في ظل نظام يكاد يتراجع في مجال حقوق الإنسان بفعل الاختيارات الايديولوجية وإدخال الدين في السياسة. وكل مرة كان يجب علينا كحقوقيين أن نكون يقظين من أجل حماية الحقوق سواء بالخروج إلى الشارع أو بالكتابة لكي لا يتم التراجع عن كل مكتسباتنا. مثلا نرى حاليا عودة لطرح مسألة الزواج العرفي. وأتذكر كيف تقدم أحد النواب قبل سنوات بمشروع قانون من أجل إرساء «المأذون الشرعي» لأنه مدخل للزواج العرفي وتعدد الزوجات.

وهناك في الحقيقة عدة محاولات لتقييد حرية المعتقد وهذه مسائل تخيف أكثر مما تطمئن خاصة أن المؤسسات المُناط بعهدتها ضمان الحقوق والحريات ليست قادرة على أن تقوم بدورها. لأن هناك مشكلة في استقلالية القضاء وهناك فساد ورشوة، وكل هذا يحدّ من استقلالية القضاء. ومن جهة ثانية، المؤسسات الضامنة للحقوق والحريات لم تظهر رغم انه وقع تكريسها وإقرارها في الدستور، مثل المحكمة الدستورية وهيئة حقوق الإنسان وكل الهيئات التي كان من المفروض ان تكون موجودة. ومع الأسف لم يتم انتخاب أعضائها لأن المجلس النيابي إلى حد 25 تموز/ يوليو كان خاضعا للمحاصصات الحزبية التي دمرّت المؤسسات. وبعد 25 تموز/يوليو عام 2021 انتقلنا من مرحلة المحاصصة الحزبية التي كانت مسيطرة ومهيمنة على المجلس النيابي والحياة السياسية إلى الحكم الإنفرادي وشخصنة السلطة. ففقدت المؤسسات كل وجود لها ولم تعد هناك امكانية لتواصل المؤسسات. وهنا أشير إلى المنشور عدد 20 الصادر من قبل رئيسة الحكومة الذي يمنع كل وزير من التفاوض مع النقابيين في إطار قطاعهم، وهذا كله يجعلني أفكر في أن هناك تراجعا كبيرا وتضييقا لكل المجالات والحريات العامة والفردية، وشيئا فشيئا نجد أننا مهددون بفقدان كل المكاسب التي حققناها منذ سنة 2011. ونحن نؤمن بأن الحقوق كاملة غير قابلة للتجزئة وغير مقبول بان يعترف بحق دون البقية.

○ إذن إلى أي مدى ما يحصل في تونس ينسف مكاسب حقوق الإنسان التي أوجدها دستور 2014 أو حتى قبله؟

● بالفعل هناك مكاسب تحققت قبل دستور 2014 مثلا في سنة 2011 تمّ إصدار المرسوم عدد 35 لسنة 2011 وتمّ إقرار التناصف في القائمات الانتخابية. وهو مكسب مهم وكنا قد ناضلنا من أجله لأننا كنا متواجدين في الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة وضغطنا من أجل إقرار التناصف في المؤسسات. وكنا نتصور ونحلم بان هناك ثورة في العقليات وليس فقط في القانون وفي السياسات. ولكن عندما خرجت القوائم الانتخابية وجدنا ان 7 في المئة فقط منها تترأسها نساء ولم نصل لتحقيق المساواة في المجلس النيابي الثاني. كنا نطالب بإرساء التناصف الأفقي والعمودي في الانتخابات الجهوية والمحلية ولكن سنة 2017 تم تنقيح القانون الانتخابي المتعلق بإرساء التناصف العمودي والأفقي في القوائم الانتخابية ومرة أخرى وجدنا أنفسنا أمام استراتيجيات لتكبيل وتجاوز التناصف. مثلا القوائم المستقلة ليست مُطالبة باحترام التناصف العمودي والأفقي وفي الانتخابات وجدنا ان أكثر القوائم مستقلة.

○ هناك اليوم إشكال دستوري في ظل التدابير الاستثنائية فكيف يمكن الخروج من هذا الوضع وانت المختصة بالدساتير والقوانين الدستورية؟

● الإشكال ان رئيس الجمهورية لا يستمع لأحد. قال انه سينظم استفتاء في 25 تموز/يوليو ولكن لا أحد يعرف على أي أساس ووفق أية مرجعية سيكون الاستفتاء. فالعلوم انه طبقا للقانون الانتخابي يجب دعوة المواطنات والمواطنين قبل شهرين من موعد الاستفتاء أي قبل يوم 25 أيار/ مايو. والاستفتاء في أوروبا مثلا يتمّ حول الموافقة أو عدم الموافقة بنعم أو لا، ولكن لا أحد يعرف مضمون وشكل الاستفتاء المرتقب في تونس. ولا نفهم هنا كيف يمكن دعوة عامة المواطنين للاستفتاء على شكل الدستور مثلا ونحن نعلم ان غالبية الشرائح الشعبية غير مطلعة وغير مؤهلة للحكم بشأن شكل الدساتير أو شكل الحكم ولا تعرف الفرق بين النظام الرئاسي أو البرلماني أو المجلسي وسلبيات وإيجابيات كل طريقة من طرق الاقتراع سواء الفردي أو على القوائم. فالدستور لا يتم تعديله أو وضعه باستفتاء شعبي أو باستشارة إلكترونية نسبة المشاركة فيها تكون متدنية.

هنا أريد أن أشير إلى أن الاقتراع على الأفراد الذي يدعو إليه رئيس الجمهورية يُطبّق في الدول التي لديها تقاليد ديمقراطية وتفترض وجود دوائر انتخابية صغيرة. لكن في عاداتنا وتقاليدنا الراسخة التي يهيمن عليها النظام الأبوي ونظرة الدونية للمرأة، سيتم اختيار الرجال على النساء والأثرياء على الفقراء والوجاهات ولن يختار الناخب مرشحا غير معروف وهذه مشكلة حقيقية. وأعتقد أن الأزمة في تونس ليست في شكل النظام سواء الرئاسي أو البرلماني أو المجلسي، بل في كيفية تحقيق التوازن بين السلط وإرساء عادات وتقاليد ديمقراطية. لقد درّست مادة القانون الدستوري في الجامعة التونسية لأعوام طويلة وكنت أقول لطلابي بأن النظام البرلماني يعني «حزب في الحكم وحزب في المعارضة والمواطن يختار» وهنا المشكلة ان لدينا 250 حزبا نسبة الأحزاب الفاعلة بها قليلة وليست لدينا عادات ديمقراطية لأننا عشنا لعقود تحت سطوة الديكتاتورية ولم نتعود على هذه الممارسات الديمقراطية. في خطاب الرئيس الأخير تحدث عن «جمهورية جديدة» وهذا يعني دستورا جديدا مما ينسف كل الأحكام التي جاءت في دستور 2014 والتي ناضلنا من أجلها. صراحة هناك غموض وليس هناك وضوح في الأفق. وأنا طالبت مرارا ودعوت لتطبيق الدستور وترك زمام الأمور للعبة الديمقراطية وترك المواطنين ليختاروا ما يناسبهم.

○ ماذا عن الحوار الوطني الذي دعا إليه رئيس الجمهورية ويضم المنظمات الوطنية الكبرى مثل عمادة المحامين والاتحاد العام التونسي للشغل ومنظمة الأعراف والرابطة التونسية لحقوق الإنسان، في غياب الأحزاب هل يمكن ان يكون ناجعا برأيك؟

● لا أعتقد انه سيكون ناجعا بغياب ليس فقط الأحزاب بل النساء أيضا، إذ ليس هناك أي تمثيل نسائي في الحوار وليس هناك تمثيل لأية منظمة نسائية. أما فيما يتعلق بالأحزاب السياسية فهي عنصر مهم في المجتمع السياسي فمن يمارس السلطة هي الأحزاب السياسية عادة. وإذا تمّ إلغاء الأحزاب السياسية ولاحقا إلغاء منظمات المجتمع المدني حينها كل النضالات التي قمنا بها من أجل ان يلعب المجتمع المدني دورا فاعلا في مجتمعا سنُتسف. فهذه المنظمات التي يسيمها رئيس الجمهورية بالأجسام الوسيطة، لا يمكن ان نتصور أي شكل للمجتمع من دونها، وحتى البناء القاعدي أو البديل القاعدي الذي يتحدث عنه رئيس الجمهورية غير مفهوم.

○ كيف ترين اليوم وضع الصحافة والإعلام خاصة ان دوره مهم جدا في المجتمع الديمقراطي، فما التهديدات التي تواجهه في تونس؟

● التهديدات تخصّ حرية الإعلام والتراجع عن المرسومين اللذين جاهدنا من أجل إقرارهما أي المرسومان عدد 115 و 116 وهما اللذان يخصّان حرية الإعلام. والهيئة العليا للإعلام السمعي والبصري «الهايكا» والتي من المفروض ان تكون هيئة تعديلية تلعب دورا مهما ولكنها حاليا لا تلعب دورا حقيقيا، وإلى حد الآن قانون الهايكا لم يخرج بعد. المشكلة الأساسية أيضا ان هناك محاكمات لمدونين واعتداء على الصحافيين بسبب تدوينات. وكل ذلك يشكل خطرا داهما وحقيقيا على الإعلام.

○ اليوم في خضم هذا الواقع ما هي الآليات لمجابهة التهديدات التي تواجه حقوق الإنسان والحريات في تونس بشكل عام؟

● لا بديل اليوم عن مواصلة النضال من أجل حماية الحقوق والحريات التي كسبناها بعد سنة 2011. ويجب على المنظمات غير الحكومية –وهي عديدة –ان تلعب دورا في تكوين تحالفات وشبكات لمنظمات غير حكومية وتكون سندا منيعا. ويجب ان نرفع صوتنا ونناضل من أجل الحقوق والحريات ونطالب بإيجاد مؤسسات وهيئات دستورية مكلفة بحماية الحقوق. ونطالب بإحداث المحكمة الدستورية التي لم تتكون منذ سنة 2014 بسبب المحاصصات الحزبية.

○ إلى أين يسير الوضع في تونس؟

● بصراحة الوضع غير مفهوم وما يخفيني اليوم، إضافة إلى الوضع العام، هو ظاهرة هجرة العقول والأدمغة والكفاءات التي تهدّد البلاد وليس فقط الجامعة التونسية، خاصة إذا علمنا ان 90 في المئة من الأطباء المتخرجين حديثا قد هاجروا، وهناك 9000 مهندس هاجر بسبب انعدام الأفق وغياب الرؤية، كل ذلك يجعل تونس مهددة أكثر من أي وقت مضى.

نؤمن بأن الحقوق كاملة غير قابلة للتجزئة

حريات

علاقة تصاعدية بين زيادة الانتهاكات بحق الفلسطينيين ومحاولات إسكاتهم على شبكات التواصل الاجتماعي

رام الله – «القدس العربي»:
سعيد أبو معلا

صادف الثالث من أيار/مايو، اليوم العالمي لحرية الصحافة والإعلام، وهو اليوم الذي اختارته منظمة «اليونسكو» إحياء لذكرى اعتماد إعلان «ويندهوك» التاريخي لتطوير صحافة حرّة ومستقلّة وتعدديّة، الذي صدر خلال اجتماع للصحافيين الأفارقة في ناميبيا عام 1991.

وثمة إحساس متزايد لدى المهتمين بالعمل الإعلامي الرقمي على المنصات وشبكات التواصل الاجتماعي أن هذا النوع من الاحتفالات يرتبط بشكل كبير بالصحافة الكلاسيكية أو التقليدية، فيما يغيب الحديث عن سياسات القمع الممنهج وإسكات الأصوات في البيئات الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي.

يؤكد هذا الإحساس نديم الناشف، مدير المركز العربي لتطوير الإعلام الاجتماعي «حملة» حيث يشير إلى أن هناك شعورا عاما مفاده أن الاحتفالات الخاصة بحرية الصحافة تقتصر غالبا على الصحافة الكلاسيكية، حيث يتزايد الحديث عن وضعها وسياسات التأثير عليها وممارسات منعها وقمعها، أما الجانب الرقمي فبالكاد يتم التطرق إليه رغم تأثيره وقوة حضوره في حياة المواطنين، حيث تتزايد محاولات إسكات الأصوات من الحكومات وانصياع وتواطؤ شركات التقنيات الرقمية معها.

غياب الحديث عن الشبكات

ويرى الناشف أن هذا المشكل الكبير يظهر بوضوح في الحالة الفلسطينية. «وللأسف لا يترافق هذا الوضوح مع أداء المؤسسات الصحافية النقابية التي لا تتعامل كما يجب مع سياسات القمع الرقمي، وهو ما يدلل عليه غياب الحديث عن شبكات التواصل في مثل هذه الاحتفالات».

ويشدد أنه في السياق الفلسطيني هناك ضغط كبير على الشركات والمنصات من الطرف الإسرائيلي وكذلك الفلسطيني،

حذف موقع «القسطل» بسبب تغطيته لأحداث القدس والمسجد الأقصى

وهناك جهود للسيطرة على سرد أو قول القصة، وهناك تعاون وتفهم من الشركات على مستوى الحديث، لكن ما نراه رقميا يشير إلى تزايد حالات تنزيل المواد والصفحات على شبكات التواصل الاجتماعي.

ويضيف أن الجهد الفلسطيني يحاول أن يركز على أن نصل إلى حالة تتوقف فيها أي عملية تنزيل للصفحات والمواد التي ينشرها النشطاء.

يضرب الناشف مثالا يتعلق بصفحة «القسطل الإخبارية» التي قامت شبكة فيسبوك بإنزالها عن المنصة، وهو أمر اعترفت به إدارة الشبكة وبإنها قامت به عن طريق الخطأ، حيث لم تكن هناك أي مخالفة من القائمين على الصفحة.

ويؤكد الناشف أن الجهد الفلسطيني يريد أن يصل لحالة أن تعمل الصفحات الإخبارية بحرية، وألا يتحكم بعملها تقرير ترفعه جهة إسرائيلية يترتب عليه تنزيل أو شطب صفحة أو تقييد المحتوى الفلسطيني.

يعترف الناشف: «أمامنا عمل طويل في هذا الجانب».

وكانت فيسبوك قد قامت بشكلٍ مفاجئ بتاريخ 16 نيسان/ابريل الماضي بحذف موقع «القسطل الإخباري» وهو أمر رده القائمون على الصفحة بسبب تغطيتها لأحداث القدس المحتلة والمسجد الأقصى.

تغول القمع الرقمي

«نمارس رقابة ذاتية على أنفسنا» و«أشعر أنني تهجرت بعد أن حذف فيسبوك حسابي» و«عاجزون عن معرفة ما هي الكلمات التي تتعارض مع سياسة فيسبوك» و«عدد الكلمات التي نقوم بتقطيعها تتزايد يوميا» و«الحذف أصبح يتم من دون تبليغات وعلى منشورات قديمة جدا» و«قاموس الكلمات التي تصنفها ميتا مخالفا لسياستها في إطار القضية الفلسطينية يتزايد».. هذه نماذج من الجمل التي سيسمعها المهتم عند أي محادثة يجريها مع أي صحافي أو ناشط فلسطيني مهتم بقضية النشر على المنصات الرقمية.

وتعكس هذه الجمل المفتاحية حجم التغول والقمع الرقمي الذي تمارسه المنصات الرقمية على المحتوى الفلسطيني، هو أمر يعتبر امتدادا لأكبر عملية قمع للحقوق الرقمية عاشتها فلسطين المحتلة في رمضان عام 2021.

فخلال شهر رمضان الماضي والهبة الجماهيرية داخل القدس على إثر الاقتحامات الإسرائيلية المتكررة للمسجد الأقصى تزايدت حدة إجراءات القمع الرقمي وتحديدا على المنصتين اللتين تتبعان شركة ميتا وهما فيسبوك وانستغرام، إضافة إلى تزايد الحظر على منصة تيك توك.

عدي جعار، من القائمين على شبكة «القسطل» قال في حديث خاص إن تنزيل الصفحة تم من «دون أي مقدمات أو بلاغات عليها، ورغم التزامها الدقيق بمعايير النشر».

وأكدت الشبكة في بيانها الصحافي أنّ الحذف تم بطلب من الاحتلال لإخفاء جرائمه بحقّ الفلسطينيين وعدم ظهورها للعالم. واعتبرت ما قامت به الشبكة سعي من الاحتلال لتغييب صوت القدس خاصة، وجرائمه في فلسطين عامة، من خلال التواطؤ مع إدارة مواقع التواصل الاجتماعي التي تنصاع في كلّ مرة لأوامره وإملاءاته.

وأضاف جعار أنهم أطلقوا حملة لاستعادة الصفحة وهو ما تمكنوا من تحقيقه بعد إغلاق استمر لأكثر من 12 ساعة.

وغرّد الناشطون على وسم «#فيسبوك_يحجب_القدس» مُعبرين عن رفضهم لسياسة إغلاق الصفحات التي تنشر الرواية الفلسطينيّة، والحذف الذي يستهدف صفحات وحسابات الإعلاميين والصحافيين الفلسطينيين، لنقلهم الأخبار المتعلقة بالجرائم والانتهاكات الإسرائيلية.

ويؤكد جعار أن انتهاكات المنصات الاجتماعية تتزايد يوما بعد يوم وبشكل

خاص في شهر رمضان ومع إيقاع الأحداث بحق المدينة ومقدساتها.

ولا تعتبر هذه المرة الأولى التي تتعرض لها شبكة «القسطل» للقمع والإسكات الرقمي حيث خسرت الشبكة صفحة مليونية في شهر تشرين الثاني/نوفمبر من عام 2021 كما تم تقييد النشر على الصفحة مرات عدة.

ويؤكد جعار أنه ليست هناك سياسة واضحة ترتبط بالنشر على المنصات، «لقد أصبحنا عاجزين عن معرفة الكلمة التي ترى فيها ميتا، فيسبوك أنها تستحق أن نحجب بسببها».

وأضاف: «اليوم أصبحنا نقوم بعملية تقطيع الكلمات بشكل متزايد، حتى تلك الكلمات التي لا تستوجب التقطيع، لكننا فعلا لا نعرف كيف يتصرف فيسبوك».

وأكد: «الاستراتيجية التي نلجأ إليها من أجل إيصال صوت القدس أصبحت تتعلق بتنويع المنصات التي نستخدمها في النشر، إضافة إلى عدم نشر بعض المنشورات والأخبار على بعض الصفحات في حال كان لدينا توقع أننا سنحذف بسببها، وتحديدا أخبار العمليات الفدائية».

ويقول جعار أن فيسبوك يشبه انستغرام في القمع الرقمي، كما ان «تيك توك» دخل على خط المنع والحظر أيضا.

ميدان القدس

وفي مطلع العام الجاري أعلنت شبكة «ميدان القدس» عن وقف عملها بشكل نهائي وذلك بعد محاربتها من قبل إدارة فيسبوك وإغلاق صفحتها المليونية وحذف صفحتها البديلة من دون سابق إنذار؛ وتقييد حسابات محرري الشبكة بالإضافة إلى تقييد وصول منصة انستغرام والبث المباشر فيها بعد حذفها وإعادتها مرة أخرى.

وجاء في بيان لها أنه «ولظروف قاهرة خارجة عن إرادة الشبكة، تعلن الشبكة آسفة عن إنهاء عملها، بعد عام ونصف من التغطية الإخبارية الشاملة داخل مدينة القدس، كنا فيها مع المقدسي في رحلة ألمه وأمله، في قصص صموده ونجاحاته، سلطنا الضوء على مشاريع التهويد، ومجازر التهجير والتشريد، ورفعنا صوت القدس والأقصى عاليًا».

وختمت «ميدان القدس» بيانها «لقد نقلنا لكم أحوال الميدان كأنكم فيه، لكننا حظرنا وقيدنا على مواقع التواصل الاجتماعي، لكن الوصال والاجتماع على القدس لا تحده منصة».

ويعتبر إغلاق ميدان القدس نموذجا لجملة من التقييدات التي فرضتها فيسبوك على أغلب المنصات الرقمية التي تهتم بشأن القدس وهو أمر يعتبر امتدادا لجملة من ممارسات القمع في رمضان عام 2021.

علاقة تصاعدية

أحمد القاضي من المركز العربي لتطوير الإعلام الاجتماعي «حملة» يرى أن مستوى التقييد والحذف على المنصات ما زال كما هو، حيث أن مفاهيم ومصطلحات وآليات إدارة المحتوى الفلسطيني عبر برامج الذكاء الاصطناعي تتطور لدى شركة «ميتا» وهو ما ينعكس على سياسات القمع والحذف والتقييد.

ويؤكد القاضي أن الانتهاكات الرقمية هي انعكاس للانتهاكات التي يتعرض لها الفلسطينيون على أرض الوقع، «فكلما أصبح الميدان ساخنا كلما انعكس ذلك على منصات النشر، وكلما تزايد النشر كلما ترافق ذلك مع زيادة سياسات محاصرة هذا النشر، حيث تتزايد آليات الحظر التي تعمل بشكل تلقائي».

ويشير القاضي في حديثه أن المحتوى الذي يتعرض للحظر والتقييد والحذف ليس المحتوى الجديد فقط بل تمتد يد الحظر إلى المنشورات القديمة قبل سنوات، وهذا يعني أن هناك جهدا يقوم على الذكاء الاصطناعي يعمل على ملاحقة المحتوى الفلسطيني إضافة إلى الجهد الذي يبذل في تنفيذ التقارير والشكاوى الإسرائيلية بحق المنشورات الفلسطينية.

ويتابع: «نلاحظ من طبيعة الشكاوى التي تصلنا أن قاموس المصطلحات المحظورة الخاص في شركة ميتا يزداد ويتعامل مع أرشيف النشطاء والصفحات أيضا».

يذكر أن «حملة» التي تعتبر مؤسسة أهلية غير ربحية تعمل على مناصرة الحقوق الرقمية الفلسطينية بهدف الوصول إلى فضاء رقمي آمن وعادل وحر، قد أطلقت في تشرين الثاني/نوفمبر من عام 2021 المرصد الفلسطيني لانتهاكات الحقوق الرقمية «حر» هو أول منصة إلكترونية مفتوحة لرصد وتوثيق ومتابعة انتهاكات الحقوق الرقمية للفلسطينيين، تتيح أداة للتبليغ عن الانتهاكات، وأداة بحث في قاعدة بيانات انتهاكات الحقوق الرقمية.

ويؤكد أن القمع الرقمي وحظر وإدارة محتوى يعبر عن الحقوق الفلسطينية يتزايد بشكل أكبر خلال شهر رمضان مقارنة عن الشهور التي سبقته.

ويرى القاضي ان هناك ثباتا في ممارسات القمع، مشددا أنه ليس هناك أثر إيجابي كبير في الجهود التي تبذل في سبيل تراجع القيود المفروضة على المحتوى الفلسطيني.

ويضيف: «منصات ميتا هي الأكثر استخداما في فلسطين، وهي الأكثر ممارسة للسياسات القمعية، تضييق الخناق على الصفحات الفلسطينية في ازدياد، وهناك تصاعد عام في تطوير طرق الحظر وتقييد المحتوى».

ويرى القاضي أن المؤسسات الأهلية لوحدها لا يمكنها الضغط بفعالية على شركة تعتبر أقوى من بعض الدول.

ويرى أن موجة الحديث عن المعايير المزدوجة التي تصاعدت بعد الحرب الروسية على أوكرانيا لم تؤثر على تراجع سياسات المنصات الرقمية بحق المحتوى الرقمي الفلسطيني.

شكوى رسمية

يذكر أنه في أواخر شهر شباط/فبراير من العالم الحالي قامت شركة Bindmans أحد أكبر مكاتب المحاماة في لندن بتكليف من قبل المركز الدولي للعدالة للفلسطينيين «ICJP» بتوجيه شكوى رسمية إلى فيسبوك نيابة عن مركز «صدى سوشال» وعدد من الصحافيين والكتاب ووكالات الأنباء الفلسطينية بشأن إجراءات الرقابة التعسفية التي تتم ممارستها من فيسبوك ضد المحتوى الفلسطيني وكذلك تعليق الحسابات على المنصة.

وتطالب الدعوى «ميتا» بمراجعة إجراءاتها بتعليق وإغلاق الحسابات الفلسطينية، وإذا ما كان قد تم استخدام خوارزمية أو ترك التقدير للموظفين باتخاذ قرارات إغلاق الحسابات الفلسطينية.

وحسب مركز «صدى سوشال» فإن هذه الدعوى تأتي إثر تعنت إدارة فيسبوك في التعامل مع الشكاوى التي تصله من المركز وجهات فلسطينية أخرى مهتمة بالحقوق الرقمية، وأصحاب الحسابات وجهات إعلامية ومؤسسات صحافية.

وعلى الرغم من الالتزامات التي تعهدت بها إدارة فيسبوك، في رسالتها المرسلة في حزيران/يونيو 2021 إلا الرقابة على المحتوى الفلسطيني ظلت قائمة. ويكشف التوثيق الذي أجراه المركز، أن الرقابة التي يمارسها فيسبوك على المحتوى المرتبط بالفلسطينيين تمثل مشكلة أوسع نطاقًا وبعيدة المدى وذات طبيعة منهجية.

منشورات قديمة جدا ازيلت من صفحات نشطاء فلسطينيين من دون تبليغات

كتب

غريتشن هندرسون في «التاريخ الثقافي للقباحة»: تحديات أمام الذوق العام والمفاهيم الجمالية

نزار صالح

عن هذا الكتاب نشر «ملحق التايمز الأدبي» مراجعة جاء فيها إن تاريخ غريتشن هندرسن الثقافي لمفهوم القباحة «ينزلق بسرعة عالية ممتعة عبر قطاعات واسعة ـ ثقافية وتاريخية وبيولوجية ـ وهو كتاب ساحر لأن وجود القبيح وصراعه هو تذكير (عاجل وقوي وضروري) أن العالم ليس ملكنا وحدنا فقط». ومن جانبه كان الناقد ومؤرخ القراءة الأرجنتيني ـ الكندي المعروف ألبرتو مانغويل قد اعتبر أن الكتاب «مستفز من خلال سبر أغوار علاقتنا بما نصمه على أنه قبيح (أو جميل)، وهندرسن تجبرنا على التمعن بأذواقنا ومخاوفنا وقناعاتنا الاجتماعية ومفهومنا اليومي للعدالة».

ومنذ السطور الأولى في مقدمة كتابها تعتبر هندرسن أن الجميل/ القبيح سؤال ثقافي أساساً، ومفهوم القباحة «ينطوي على جينيالوجيا طويلة تسكن خيالنا الثقافي»، ابتداء من غرغولات العصور الوسطى الغروتسكية، إلى وحش ماري شيللي المصنوع من أشلاء الجثث، ومن حكاية هانز كريستان أندرسن عن فرخ البط الأسود إلى معرض «الفن المنحط» النازي. وهذا يعني أن القباحة طرحت على الدوام مجموعة تحديات أمام الذوق العام، وأمام المفاهيم الجمالية، ودفعت الفلاسفة إلى الانهماك في أسئلة شاقة تخص وضع الإنسان والعالم الواسع الذي يعيش فيه.

وغرتشن آرنستر هندرسون أكاديمية أمريكية تدرّس الإنسانيات الثقافية في جامعة تكساس، ولها كتابات متميزة حول الفنون البيئية تُرجمت إلى لغات عديدة، ولفتت الانتباه إلى الزوايا الخاصة غير المنتظرة التي تمنحها لظواهر عديدة على صلة بالآداب والفنون وعلم الجمال. وفي كتابها الذي تتناوله هذه السطور، تقتفي هندرسون الروابط ما بين المعايير الجمالية السائدة وما بين التوترات الثقافية منذ العصور القديمة حتى يومنا الحالي. الجمال يقوم بما هو أكثر من الإغواء لأنه يقنّع ويعطّر ويجمّد التصنيفات الأخلاقية في مكانها. غير أن القباحة، وعبر إبراز جميع طبقاتها، هي «الأقرب إلى الحقيقة دائماً» كما تقول مجلة نيويورك في امتداح كتاب هندرسون.

والمؤلفة تحذّر من أننا إذا سرنا خلف رأي أرسطو، بأن الجميل ينطوي على التجانس في مجمله، والإحساس بالشكل المثالي مع حدود واضحة قطعية تفصله عن العالم، فإن القباحة ومفرداتها الكثيرة سوف تحمل شيئاً ما «أكثر غموضاً وأقلّ تجانساً»: المشوّه، الغروتيسكي، المسخ، الوحشي، المنحطّ، البهيمي، غير المتناظر، الأعوج، المسخ، الناشز، غير المتناسق، المعاق...

قائمة طويلة من المفردات المترابطة التي رافقت تطور مفهوم «القبيح»، والتي انبثقت وازدهرت في مصطلحات وحقب وثقافات مختلفة. أين يجب أن تنتهي قائمة المفردات التي تداني «القبيح»، تتساءل هندرسون قبل أن تقترح اللجوء إلى قاموس أوكسفورد الإنكليزي الذي يصنّف جينيالوجيا الـ Ugly، مع جذور من اللغة الإسكندنافية القديمة والإنكليزية الوسطى، تتمّ تهجئتها بصياغات مختلفة تزيد عن ثمانية أشكال. وفي المقابل، «إسأل علجوماً ما هو الجمال»، كتب فولتير، و«سيجيبك بأنه أنثاه، بعينيها المدوّرتين الجاحظتين من رأسها الصغير». أميرتو إيكو لم يستطع توصيف القباحة على نحو كمّي واضح، فكتب: «الجمال، هو على نحو ما مملّ. رغم أن مفهومه يتبدل عبر العصور، لكن على الشيء الجميل دائماً أن يتبع قواعد معينة. القباحة غير متوقعة وتقدّم مجالاً لانهائياً من الاحتمالات. الجمال محدود، أما القباحة فلانهائية».

في الفصل الأول من كتابها تناقش هندرسون سلسلة من الأفراد الذين يُفترض أنهم في صفّ القباحة، بسبب من «تشوهات مزعجة» حسب تعبيرها. القائمة تشمل بوليفوموس، الرجل ـ الوحش؛ ودايم راغنيل، التي قيل عنها «كم كانت قبيحة»؛ والعجوز الغروتسكية، أو الوقة القبيحة؛ ثمّ وليام هاي، الذي أعلن أنه لم يكن يوماً، ولن يكون، عضواً في نادي القبيحين؛ وجوليا باستراني، التي نُسب إليها توصيف «أقبح امرأة في العالم»؛ وأورلان، تلك «المرأة الجميلة التي تتقنع عمداً».

الفصل الثاني يتناول الجماعات القبيحة، ولكن من زاوية مقاومة التصنيف: الوحوش والوحشية، أي تأطير القبيحين؛ والمنبوذون بسبب من سمات المظهر، وهي حالة وصم القبيحين؛ والبدائيون مقابل الفينوسات، أي «استعمار القبيحين» حسب تعبير هندرسون؛ ثمّ الوجوه المكسورة والأجساد المنحطة، أي «عسكرة القبيحين»؛ والاتّجار بالجماعات القبيحة، حيث يتحد القبيحون.

الفصل الثالث يذهب إلى الحواسّ القبيحة، أي انتهاك الحدود المحسوسة، مبتدئة من مطلع عام 2005 حين اقترح رئيس المعهد الملكي للمهندسين المعماريين البريطانيين قائمة وطنية سوداء تضمّ المباني القبيحة بهدف هدمها. «هدفي هو عدم التسامح مع الأسوأ علناً والمطالبة بالأفضل»، أعلن جورج فيرغوسون، ومتابعاً: «المباني البغيضة هي إهانة لحواسّنا»، متهكماً على «المباني السخيفة التي تدمّر ما يحيط بها»، ومقترحاً أن الأبنية القبيحة تنقل عدوى القباحة إلى ما يجاورها ويجب اقتلاعها كما يُقتلع ضرس مصاب بالتسوس وإلا ستخرّب بقية الأبنية. ولقد جاء الردّ المضاد من المؤرخ المعماري غايفن ستامب، الذي كتب: «من الصعب تخيّل رئيس المجمع الملكي للآداب وهو يقترح قائمة من الكتب الجديرة بالحرق».

هندرسون من جانبها تساجل بأنه إذا كانت الهندسة المعمارية قادرة على تحريض «إهانة لحواسّنا» كما يدعي فيرغوسون، فهذه البنى كما هو واضح «قادرة على توجيه ما يحدد القباحة بعيداً عن البصر: إلى الصوت والرائحة والطعم واللمس». القبيح، بالتالي، هو «ما نخافه ونخشاه»، لذلك تطغى إحدى الحواس على البقية عندما تحدد مفردة القبيح تجربة حسية بعينها: ضجة مزعجة، رائحة قذرة مقرفة، طعم عفن، ملمس الطين المتعفن.

وفي هذا الفصل الثالث مطارحات حول البصر القبيح، لجهة أننا نصدّق ما نراه؛ والصوت القبيح، بمعنى هل تسمع ما أسمعه؟؛ والروائح القبيحة، لجهة أنف يشمّ المشاكل؛ والمذاق القبيح، ضمن سؤال: هل أنتَ ما تأكله؟؛ واللمسة القبيحة، تحت فعل الأمر: لا تلمسْ؛ وصولاً إلى الحاسة السادسة، وتصديق المرء ما يشعر به.

وترى هندرسون أن الفصل بين الحواس الجسدية قد ينحدر إلى لعبة عقلية بحتة «تنشئ تصنيفات سيئة ومفزعة، تتنامى معتمدة على عين ـ أذن ـ أنف ـ فم ـ أصابع من يمرّ بالتجربة الحسية». كل فئة حسية يمكن أن تتراكم إلى مستويات فائضة «قبيحة، تمثل عادة تكديس الأشياء، والتي يمكنها أن تحوّل أي شيء إلى قبيح. وفصلها الثالث لم يقلب القباحة والجمال، ولم يقدّم مجموعة إضافية من المعايير، لكنه قدّم خريطة للسياقات الثقافية المتغيرة والحالات الأشمل المتعلقة بمفهوم الحواس القبيحة. وفي خاتمة الكتاب تتوقف هندرسون عند مجازات أفلاطون التي تقترح احتمالاً مشابهاً بالنسبة إلى القباحة، وكيف يتوصل المرء إلى معرفة القباحة.

هل تُبنى القباحة على نحو مماثل درجة درجة، من شخص إلى شخص، من المؤسسة إلى التعليم العام، وصولاً إلى معرفة أكبر؟ أم أنها تتراكم أكثر فأكثر مثل جبل سلمن القبيح أو ككومة قمامة متحركة تهدد إما بأن تدفن حاملها تحتها أو أن تنهار؟ أم لعلها تسقط عوضاً عن الصعود، كأن تسقط عن شجرة «قبيحة» وتُرمى في النهر «القبيح» وتتحطم على الصخور «القبيحة» وتُجرّ عبر الغابة «القبيحة» وتُرمى في النهر «القبيح» الذي يجرفها نحو البحر «القبيح»، أو ربما تنحدر أكثر فأكثر إلى مكان يشبه جحيم دانتي وتغوص أعمق فأعمق عبر طبقاته؟

وأكثر من كونهما مجرد ثنائية، تكتب هندرسون، فإن القباحة والجمال أشبه بمنظومة النجم التوأم، حيث ينضوي كلّ منهما ضمن حقل جاذبية الآخر ويدور حوله، لكنهما في الوقت نفسه يشكلان جزءاً من مجموعة نجمية أكبر. وبواسطة بناء مجموعة، بل وحتى من خلال «إدغام الحدود بين القباحة والجمال»، لا تحاول المؤلفة تقديم كل نجمة في كون القباحة على أنها جميلة، ولا تحاول القيام بالعكس، وتصرّح: «لو فعلتُ، ستفقد كلّ من المفردتين معناها كما لو أنهما تحوّلتا إلى نوع من التراكم تتساوى فيه قيمة الحصى والماس. المفهومان يستوطنان فضاءً رمادياً أوسع، وتحجبهما الاستحواذات الثقافية المتغيرة، كلّ منهما يتبدل باستمرار لا من خلال التراكم فقط، بل كذلك عبر النفي».

فإذا كانت القباحة هي ما ليس جميلاً، فإن خلف ذلك النفي ما يضللنا فيه التضادُّ التقليدي بين الجميل والقبيح، ويوقعنا في حلقة دائرية بحيث نركض حولها، لكننا لا نصل أبداً إلى تضادهما الحقيقي.

غريتشن هندرسون: «التاريخ الثقافي للقباحة»
ترجمة: د رشا صادق
دار المدى، بغداد 2020
252 صفحة.

تيموثي برينان في «حياة ادوارد سعيد»: مسارات ومواقف في الأدب والسياسة والاجتماع والفلسفة

سمير ناصيف

لعل أفضل مَنْ بإمكانه تخليد ذكرى مفكر كبير كان له التأثير الفاعل على شعبه والشعوب المهتمة بمصير ذلك الشعب هو أحد تلامذته من الذين استقوا معرفتهم منه وأحبوه كإنسان في الوقت عينه.

هذا ما ينطبق على كتاب صَدَرَ مؤخراً بعنوان: «مواقع العقل: حياة ادوارد سعيد» كتبه تيموثي برينان، أحد تلامذة سعيد، الذي يحاضر حالياً في الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة مينيسوتا الأمريكية وله مؤلفات عديدة في هذا المجال.

يمكن اعتبار كتاب برينان، الذي يتعمق في بحثه ودراسته لنتاج سعيد حول القضية الفلسطينية ويعرض مواقف سعيد إزاء نظريات وأفكار مفكرين آخرين في الأدب والسياسة والاجتماع والفلسفة من الذين عاصرهم أو من الذين سبقوه في ذلك الحيز وتأثر بهم سلباً أو إيجاباً، نموذجاً في هذا المجال.

حسب هذا الكتاب، بدأ نشاط سعيد الفاعل بالنسبة لفلسطين في مطلع سبعينيات القرن الماضي عندما زار لبنان في رحلة أكاديمية كأستاذ زائر ولدى بداية حياته الزوجية مع زوجته الثانية مريم قرطاس عام 1970 التي تنتمي إلى عائلة لبنانية مناضلة فكرياً واجتماعياً وسياسياً. وفي بيروت تعرف سعيد على عدد من كبار قادة الثورة الفلسطينية عبر صديقه المسؤول في منظمة التحرير الفلسطينية هناك شفيق الحوت. وبين هؤلاء، التقى سعيد بخليل الوزير «أبو جهاد» وصلاح خلف «أبو أياد» وكمال ناصر وغيرهم قبل لقائه الهام جداً مع ياسر عرفات «أبو عمار» في مناسبة زيارة عرفات لمقر الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك ولإلقائه خطابه الشهير عام 1974.

يقول برينان إن صديق سعيد المقرب منه شخصياً وفكرياً في تلك المرحلة كان المفكر السوري الراحل صادق العظم، الذي تشارك معه في لقاءات القادة الفلسطينيين الكبار ومحاولة إقناعهم بتطوير هيكلة قيادتهم وعملها وتوجهاتها الفكرية (ص 132). غير أن خلافاً وقع بعد صدور كتاب «الاستشراق» أشهر كتب سعيد، وبعد انتقاد صادق العظم لإدراج سعيد كارل ماركس بين المستشرقين السلبيين ما أدى إلى ردة فعل عنيفة من سعيد تطورت إلى سجال وتبادل آراء حاد وصل إلى حدود قصوى وأدى إلى تباعدهما من دون عودة (ص 199 و200).

ومن الجدير بالذكر ان سعيد (حسب الكتاب) كان قد أجرى مقابلة مطولة مع كمال ناصر مباشرة قبل استشهاد ناصر على أيدي زمرة إسرائيلية عسكرية بقيادة إيهود باراك اخترقت شوارع بيروت عبر البحر ووصلت إلى منطقة فردان في رأس بيروت حيث اغتالت ناصر وكمال عدوان وأبو يوسف النجار في العاشر من نيسان (ابريل) عام 1973.

يحاول برينان في هذا الكتاب التركيز على الدور الهام الذي وصل إليه ادوارد سعيد كمستشار للقائد ياسر عرفات بعد مساهمته الفعالة في تنقيح الخطاب الذي ألقاه عرفات أمام الجمعية العامة، ويشير بأن سعيد أضاف الجملة المؤثرة التي قالها القائد في نهاية خطابه عن كونه يحمل البندقية في يد وغصن الزيتون في يد أخرى، كما أضاف مقاطع أخرى هامة. وبعدما تأثر عرفات إيجاباً بمساهمة سعيد في تلك المناسبة انتقل الأخير من دور المستشار إلى دور أحد أركان القيادة وصار يقوم باتصالات لتأمين التواصل بين القيادات الفلسطينية والأصوات المسموعة في أمريكا بين كبار المثقفين والأكاديميين وقادة مؤسسات الأبحاث الذين يستمع إليهم السياسيون والإعلاميون (ص 147). كما تكررت زيارات سعيد إلى بيروت حيث كان يقابل عرفات والقيادات الفلسطينية، وظلت العلاقة متينة بينه وبين عرفات والقيادات حتى توقيع «اتفاقيات أوسلو» التي عارضها سعيد بقوة، واعتبر منذ صدورها، بأنها ستساهم في التمهيد لتطبيع دول عربية مع إسرائيل ولن تحقق مشروع الدولتين الذي تعهدت بتحقيقه.

وهنا يفسر برينان ما قصده سعيد وحلفاؤه في شجبهم لاتفاقيات أوسلو ودعوتهم للدولة الفلسطينية الواحدة.

يقول برينان في الصفحة (316) من الكتاب إن سعيد ونعوم تشومسكي اعتبرا أن أي مشروع لدولتين يجب التوجه إليه بحذر في سبيل التوصل إلى مشروع الدولة الواحدة وليس مشروعاً يُفرض بعجلة في اتفاقيات متسرعة يصعب تنفيذها، كما حدث لاحقاً بالنسبة لاتفاقيات أوسلو التي فُرضت بعجلة وبدون مراجعة، ثم تم استخدامها لاختراق الأراضي الفلسطينية بواسطة المستوطنات الإسرائيلية وتحويلها إلى جزر منفصلة عن بعضها. وبالتالي، كان سعيد يتنبأ بهذه نظره خطورة ما حدث لاحقاً وما يحدث حالياً، وتحققت توقعاته.

ولكن، يقول برينان، سعيد (كعادته) كان حاداً في مواقفه، حتى بالنسبة لأشخاص ولجهات كان مقرباً منها ولكنها اتجهت في مسار مختلف عما يعتقد بأنه المسار الصحيح. وهذا الأمر أدى إلى غضب الرئيس عرفات منه ومنع انتشار كتبه ونتاجه الفكري في الضفة الغربية وغزة (ص 320). كما اتهمته بعض الجهات بالخيانة خصوصاً عندما انتقد اعتماد السيارات المفخخة وغيرها من وسائل المقاومة المؤدية إلى مقتل بعض الأبرياء برغم تأييده العنف الدفاعي في مجالات أخرى. وطبعاً، استفادت الجهات الإسرائيلية المتطرفة من خلافات سعيد مع عرفات وصارت تضخم هذا التوجه في وسائل إعلامها وفي وسائل الإعلام العالمية المؤيدة لها.

ففي مرحلة من المراحل الأخيرة من حياة سعيد قبل وفاته بسبب مرض السرطان، توجه حسب ما ورد في الكتاب، برفقة صديقه الكاتب فواز طرابلسي إلى جنوب لبنان بعد تحريره من الاحتلال وزارا معتقل بلدة الخيام المحرر حيث رمى سعيد حجرة صغيرة باتجاه السياج الفاصل بين الأراضي اللبنانية وأراضي الكيان الإسرائيلي، واتّهم بسبب ذلك بالعداء للسامية وبعدم الاعتراف بوجود إسرائيل وقاطعته جهات أكاديمية ووسائل نشر في أمريكا وأوروبا بحجة تشجيعه على الإرهاب.

أما من أسوأ الأمور برأي برينان في المرحلة الأخيرة من حياة سعيد، فكانت انقلاب بعض المفكرين الذين كانوا يدعون انهم مقربون منه عليه وعلى أفكاره، وبينهم الكاتب البريطاني كريستوفر هيتشنز الذي تحول حسب المؤلف إلى مروّج للسياسات الأمريكية في العالم والذي أساء فهم كتاب «الاستشراق» وإدعى بانه يؤدي إلى صراع للحضارات الغربية والشرقية بينما هدف سعيد فيه لم يكن بنظر برينان دق الاسافين بين قيم الغرب والشرق ولا إدماج جميع المستشرقين في سلة واحدة، بل عكس ذلك تماما، علماً أن سعيد لم يكن سلبياً إزاء انتقادات له وردت من مفكرين محترمين أشاروا إليه ببعض الملاحظات حول كتاب «الاستشراق» كالمفكر الفرنسي مكسيم رودنسون.

في هذه المراجعة، تم التركيز على ما كتبه برينان بالنسبة لمواقف سعيد السياسية، ولكن المؤلف أثبت أيضاً بانه ضالع في مواقف معلمه الفكرية والأدبية والنقدية، ففي معظم فصول الكتاب ينتقل من عرض مواقف سعيد السياسية ليربطها بمواقفه الفكرية والأدبية وبحياته الشخصية.

ولا يتورع برينان عن الإشارة إلى أن شخصية سعيد كطالب شاب في المراحل الأولى من حياته عبّرت عن خلفية العائلة المرتاحة مادياً التي نشأ فيها بحيث كان يركز على مظهره الخارجي وعلى الدقة في خياراته للمواد الاستهلاكية كسياراته وما يدخنه ويشربه، وان سعيد انتقد نفسه حول هذا الأمر في نهاية حياته.

ويتحدث برينان عن علاقة سعيد مع والدته ووالده واخوانه وزوجته الأولى والنساء اللواتي ارتبطن به عاطفياً مؤكداً ان والدته هيلدا كان لها الدور الرئيسي في التأثير عليه في خياراته في هذا المجال وانها في أكثر من مناسبة دفعته في شبابه إلى التخلي عن بعض العلاقات العاطفية مع فتيات لكونها لم تجد بان الفتاة التي ارتبط فيها هنا أو هناك كانت في مستواه الفكري والاجتماعي.

ولكن برينان يعتبر ان زوجة سعيد الثانية مريم قرطاس كانت الرفيقة الأقوى والأوفى لادوارد سعيد التي ظلت تتمسك بشدة بعلاقتها به وأمسكت يده حتى الرمق الأخير. كما ينتقد إحدى اللبنانيات التي ارتبط بها سعيد في منتصف تسعينيات القرن الماضي والتي استخدمت علاقتها العاطفية معه للترويج لنفسها بعد وفاته. وهي كانت وما زالت تعمل في حقل الكتابة والنشر.

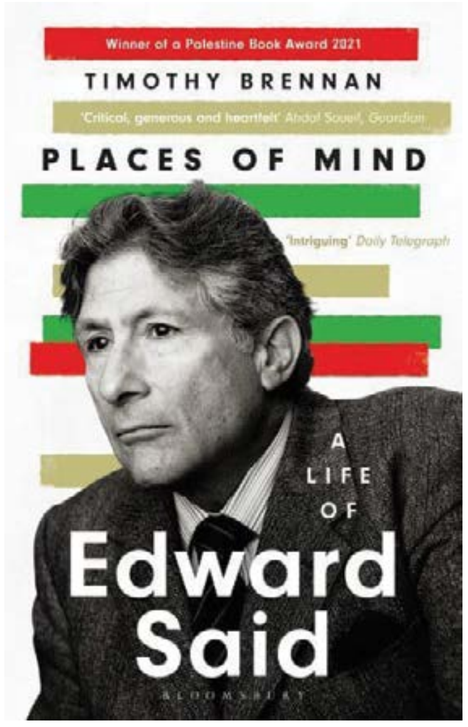

ومن الأمور اللافتة أيضاً في الكتاب، إدراك برينان لطبيعة علاقة سعيد الفكرية والشخصية مع مفكرين إثنين من كبار أساتذة الجامعة الأمريكية في بيروت ومن الذين احتلوا مناصب سياسية وفكرية عالية بارزة أيضاً، وهما الدكتوران شارل مالك وقسطنطين زريق.

علاقة سعيد بمالك كانت حسب برينان علاقة إعجاب وكره في الوقت عينه. فمالك الذي احتل مناصب عليا في منظمة الأمم المتحدة وساهم في كتابة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وأصبح وزيراً لخارجية لبنان كان أحد أبرز فلاسفة الشرق الأوسط، ولكنه كان أيضاً متعلقاً بانتمائه المسيحي على حساب بعض مواقفه بالنسبة للأديان الأخرى. ومالك وبسبب العلاقة العائلية بين زوجته ووالدة سعيد ساهم في دعم دخول ادوارد أبرز الجامعات وتحاور معه في أهم القضايا، ولكن سعيد كره مواقفه إزاء قضايا عربية وإسلامية ورأى في قسطنطين زريق الوجه الآخر للمفكر العربي الملتزم. ولكن هذين العملاقين الفكريين بالإضافة إلى عدد من أساتذة الجامعة الأمريكية في بيروت وضعوا جداراً فاصلاً بين سعيد وبين دخوله كأستاذ دائم في تلك الجامعة لأسبابهم الخاصة. كما وضع آخرون حاجزاً منيعاً لدخوله في مجلس إدارة «مؤسسة الدراسات الفلسطينية» في بيروت في إحدى المراحل.

ويتساءل برينان إذا كانت وراء هذه الحواجز دوافع سياسية أو عوامل شخصية أو الاثنان معاً.

والمؤسف في هذا الأمر أن معظم محاولات إبقاء سعيد «خارج المكان» حسب عنوان مذكراته، استمرت حتى بعد وفاته. فلم يُدفن في فلسطين في القدس في مكان ولادته، ولا في بلدة ضهور الشوير في لبنان حيث أمضى شبابه وعلاقاته العاطفية والعائلية المُفرحة، بل في مدفن تابع لطائفة «الفرينديز» (الكويكرز) في بلدة برمانا مسقط رأس آل قرطاس ومكان انتماء عائلة زوجته مريم قرطاس.

وربما يرى الكاتب أن هذا المدفن اللبناني لا يرتقي إلى مستوى ادوارد سعيد الفكري والسياسي والإنساني، ولكن الذين يعرفون سعيد كإنسان محب لرياضة كرة المضرب والموسيقى والحياة عموماً قد يخالفونه الرأي، إذ أن برمانا قد تكون من أقرب البلدات إلى شخصيته، فهي تطل على فلسطين، عبر موقعها الجغرافي في أعالي منطقة المتن اللبنانية ذات النافذة نحو البحر الأبيض المتوسط ولو عن بُعد، وشكلت هي وجوارها دائماً موقعاً لكبرى دورات كرة المضرب والمناسبات الفنية والموسيقية التي كانت جزءاً هاماً من حياة ادوارد.

Timothy Brennan: «Places Of Mind; A Life of Edward «Said
2022 Bloomsbury, London
.Pages 437

المقال

عبدالباسط سيدا

سنجار ضحية الجغرافيا وتناقض المشاريع

الـ PKK قوة فاعلة ومهيمنة في سنجار

منطقة سنجار، وتسمى بالكردية شنكال، هي من المناطق المتنازع عليها، وفق المصطلح المستخدم للإشارة إلى المناطق التي لم يتقرر بعد ما إذا كانت إداريا ستتبع إقليم كردستان، أو تكون محافظة مستقلة، أو تتبع المحافظات العراقية المجاورة لها، التابعة لبغداد، وهي كغيرها من المناطق المتنازع عليها، تنتظر تطبيق المادة 140 من الدستور العراقي، وهي المادة التي ما زالت معلقة في الفضاء. وقد تعرضت هذه المنطقة لهجوم وحشي من قبل تنظيم داعش بعد سيطرته على الموصل عام 2014، وكان ذلك بفعل مقدمات وأسباب أصبح بعضها معروفاً، في حين أن بعضها الآخر ما زال يثير الأسئلة حول دور السلطات العراقية في ذلك الحين والقوى الخارجية في المآسي التي كانت، وتبعاتها المستمرة إلى يومنا هذا.

وقد استغل حزب العمال الكردستاني «PKK» في سياق علاقاته الأمنية العسكرية مع النظامين الإيراني والسوري مأساة الإيزيديين في ذلك الحين، وتمكن من الاستفادة من الأخطاء التي ارتكبها بعض مسؤولي الإقليم على صعيد إدارة المنطقة، والتعامل مع الهجوم الداعشي، ووجه كل ذلك، وبالتعاون مع الحشد الشعبي الموالي لإيران، ضد الحزب الديمقراطي الكردستاني تحديدا، بل اتخذ من منطقة شنكال بالتعاون مع الحشد الشعبي الموالي لإيران قاعدة لتهديد أربيل، وإطلاق الصواريخ الناسباتية من حين إلى آخر عليها. وذلك في إطار لعبة الضغط، وطريقة إرسال الرسائل التي يعتمدها النظام الإيراني في التعامل مع مختلف أطراف العملية السياسية العراقية، لا سيما تلك التي لا تلتزم بمسارات سياسات التوسع والهيمنة الإيرانية في العراق وفي المنطقة.

منطقة سنجار/شنكال لها أهمية استراتيجية سياسية عسكرية، فهي محاذية للحدود السورية العراقية، كما أنها قريبة من المثلث الحدودي بين العراق وتركيا وسوريا. وهي تشكل عمقا للتواصل بين العراق والمحافظات الشرقية السورية، لا سيما الحسكة ودير الزور؛ كما أنها قريبة كما أسلفنا من أربيل، وتدخل ضمن إطار خطة التطويق والضغط التي تمارسها إيران في التعامل مع أربيل بغية دفع المسؤولين فيها نحو الالتزام بالسياسات التي تقوم على اعتبار العراق مجرد حديقة خلفية للإمبراطورية الإيرانية التي يتطلع نظام ولي الفقيه إلى إعادة بنائها.

وقد كان من الملاحظ معارضة فصائل الحشد الولائية للاتفاق الذي تم في تشرين الأول (أكتوبر) 2020 بين الحكومة العراقية الاتحادية وحكومة إقليم كردستان حول دخول الجيش العراقي إلى منطقة سنجار، لضبط الأمن فيها، وإخراج المسلحين منها. وتولي الحكومة العراقية الاتحادية مسؤولية الأمن فيها بالتعاون مع إقليم كردستان؛ وعلى أن تتشكل لجنة ثلاثية مكونة من ممثلي الحكومة الاتحادية والإقليم ومحافظة نينوى، لتقديم الخدمات للمنطقة بهدف تمكين المهجرين من سكانها الذين يقدر عددهم بـ 350 ألفا من العودة إلى منازلهم.

وقد تحركت قوة من الجيش العراقي الاتحادي في الأيام الأخيرة في المنطقة، ودخلت مدينة سنجار، غير أن هذه الخطوة جوبهت بالرفض والقتال من قبل قوات «PKK» وبعض الميليشيات المحلية الدائرة في فلكها أو التابعة لها، وحتى من جانب بعض فصائل الحشد الولائية التابعة لإيران، الأمر الذي أدى إلى وقوع ضحايا.

وفي خطوة تؤكد العلاقة العضوية التي تربط بين حزب الاتحاد الديمقراطي «PYD»و«PKK»، تحركت مجموعات مما تسمى بـ «قوات سورية الديمقراطية» (قسد)، وهي القوات التي يتحكم فيها في واقع الأمر «PKK»، نحو الحدود السورية العراقية من أجل التدخل، والإسهام في عملية منع قوات الجيش العراقي من تطبيق الاتفاق المشار إليه بخصوص تطبيع الأمور في شنكال، وتهيئة المقدمات لعودة أهلها إلى ديارهم. وهذا ما يؤكد أن الولاء الأساس لهذه القوات هو لـ«PKK» وقيادته القنديلية التي تلتزم بتوجيهات وتعليمات النظامين الإيراني والسوري منذ بدايات ثمانينات القرن المنصرم، وذلك بناء على اتفاقيات أمنية أشرف عليها عبد الله أوجلان بنفسه أيام وجوده في سوريا في ذلك الحين.

أما تنسيق «قسد» مع الأميركان في موضوع منطقة شرقي الفرات فهو يدخل في إطار التكتيكات الأمنية التي تخدم حاجة الطرفين بناء على اعتبارات أمنية عسكرية، وإعلامية، ومقتضيات الاستهلاك المحلي. فإلى جانب التنسيق المذكور، ينسق الحزب المعني هنا مع سلطة بشار الأسد نفسها؛ وكذلك مع الروس حول حدود التواصل والتفاصيل، ومجالات التعاون والتفاهم، وذلك في انتظار مآلات تطور الأحداث على مستوى الإقليم وفي سوريا.

أما حديث بعض المعارضين السوريين حول امكانيات التفاهم مع «قسد» أو «مسد»، فهو إما يدخل في باب الجهل بطبيعة وأبعاد مشروع «قسد» والقوى التي تتحكم فيه؛ أم أنه يندّ عن توجه تجريبي عبثي، بدأ يتشكل بعد الإخفاقات الكبرى التي تسببت بها المعارضة السورية الرسمية، وهي المعارضة التي باتت راهنا مجرد حالة هلامية تعبر عن توجهات وأولويات القوى الإقليمية والدولية، ومنفصلة بصورة شبه كاملة، عن أولويات السوريين.

وفي سياق آخر، لم يعد سراً أن «PKK» قد تحول بفعل الجهود الإيرانية، ونتيجة الخلافات بين الأحزاب الكردية في إقليم كردستان خاصة بين الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، ونتيجة السلبيات وحالات الفساد، إلى لاعب فاعل في الإقليم على المستوى الشعبي ناهيك عن العسكري. ومن الأسئلة التي طُرحت، وتُطرح، باستمرار حول بواعث تنامي قوة الحزب المعني في الإقليم: ما هي الحكمة من غض النظر عن تمركز الحزب المعني في منطقة قنديل وغيرها من المناطق داخل إقليم كردستان؟ ومن هي الجهة أو الجهات التي تقف وراء ذلك؟ وإلى متى سيستمر وجود الحزب المعني في تلك المنطقة، وهو الأمر يفتح المجال أمام التدخلات الإقليمية سواء الإيرانية أم التركية، ويشكل ضغطاً مستمراً على الإقليم، بل يؤثر أيضاً في الحالة السورية؟

فقوات الحزب المذكور دخلت المناطق الكردية السورية قادمة من إقليم كردستان عام 2011، وكان ذلك في بدايات الثورة السورية، وبالاتفاق مع النظام السوري، ومع الجانب الإيراني، وبالتعاون مع بعض قيادات الاتحاد الوطني الكردستاني من الذين وجدوا أن الحزب المذكور سيساعدهم في توسيع دائرة التأثير سواء على مستوى إقليم كردستان العراق أم على مستوى المناطق الكردية السورية؛ وقد انعكس هذا التوجه سلباً على واقع الإقليم نفسه، وعلى الأوضاع الكردية السورية، وتسبب في هجرة أكثر من مليون كردي سوري من الذين حاولوا إنقاذ أبنائهم وبناتهم من سياسة التجهيل المتعمدة التي اعتمدها الحزب المذكور تحت شعار التعليم باللغة الكردية. هذا إلى جانب التجنيد الإجباري الذي تفرضه السلطة التابعة لـ«PKK» على شباب المنطقة، وهي سلطة لا تمتلك أي مشروعية وطنية أو دولية، وإنما هي سلطة أمر واقع تؤدي مهام الشركة الأمنية المستعدة لتلبية مطالب الزبائن، مقابل الأموال والسلاح والامتيازات. هذا في حين أنها تمارس سياسة التحكم وقمع الحريات بحق سكان المنطقة خاصة الكرد منهم. وتستخدم أبناء وبنات المنطقة وقوداً في المعارك التي تعهدت بها لصالح الآخرين، وتستولي على موارد المنطقة، كما تستنزف مداخيل أهلها على ضآلتها ومحدوديتها. وهي تفعل كل ذلك تحت شعارات «المقاومة والبطولة والشرف»؛ وعبر تخوين المخلصين من أبناء المنطقة ممن يلتزمون بمصالح شعبهم وبلدهم الحقيقية بعيداً عن الأجندات الإقليمية والمهمات الدولية المدفوعة الأجر، والحسابات المافياوية.

قضايا تدخلات حزب العمال الكردستاني في كل من إقليم كردستان ومنطقة شرقي الفرات، والتدخل في سنجار/شنكال، لن تحل بسهولة من دون توافق كردي كردي على مستوى الإقليم، وتوافق عراقي عراقي على المستوى الوطني العراقي.

كما أنها لن تحل من دون ضغط أمريكي يدفع باتجاه فك العلاقة بين حزب العمال الكردستاني وحزب الاتحاد الديمقراطي، ليتحول الأخير إلى حالة كردية سورية. كما أن الإسهام الأمريكي في محاولة إقناع الحكومة التركية بضرورة العودة إلى العملية السلمية مع مختلف الأطراف الكردية في تركيا، ومنها حزب الشعوب الديمقراطي، وأعضاء البرلمان التركي الكرد من ممثلي حزب العدالة والتنمية، وذلك لحل القضية الكردية بصورة عادلة في تركيا، سيساعد كثيراً في استقرار الأوضاع في كل من تركيا والعراق وسوريا، ويمكّن من توفير المقدمات والشروط اللازمة للتعامل مع الاضطراب العام الذي تتسم به الأوضاع الدولية والإقليمية نتيجة الحرب الروسية على أوكرانيا، وانعكاساتها على واقع الاصطفافات والاستقطابات الحاصلة، أو التي ستحصل في منطقتنا.

وهي استقطابات من شأنها أن تؤدي إلى تعقيد الأوضاع، وتوسيع دائرة النزاعات والحروب، وزيادة حدتها، ما لم تبذل جهود من أجل التهدئة والمعالجة حتى تتمكن شعوب المنطقة من التقاط أنفاسها، وتتفرغ للتركيز على عمليات إعادة البناء والتنمية، وتوفير فرص التعليم والعمل للأجيال المقبلة، وهذا كله يستوجب القطع مع جهود إثارة وتجييش العصبيات البغيضة، سواء الدينية المذهبية منها أم القومية.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: فهد

كورونا وتبعاتها الثقافية

نادية هناوي

تركت جائحة كورونا آثاراً كبيرة شملت قطاعات الحياة بدون استثناء ومن ضمنها واقعنا الثقافي، وتفاوتت تلك الآثار في حدتها على هذا القطاع أو ذاك، ولكن المؤشر العام لتركاتها يشير إلى أنها في العموم كانت أوسع مما أُعد لمواجهتها وأشرس مما هُيئ للقضاء عليها.

وبمرور الوقت ويوما بعد يوم ازدادت ظاهرة الطافين ثقافيا وتنوعت أساليبهم وسلوكياتهم الطفيلية تارة بكتابة تعليقات مغرضة يتوفهون بها إزاء كُتّاب جادين ومتخصصين وتارة أخرى بقص السطو على ما ينشره المتخصصون ليقوم هذا الطافي بتدليس ما يقرأه نسخاً وتجميعاً ثم ينشره باسمه كمقالة أو بحث أو حتى كتاب بدلا من أن يفيد من ذوي الشأن في تطوير ثقافته والتزود بما هو معرفي.

ولا يقتصر الأمر في ما خلفته كورونا من تركات الطفو الثقافي التحذلق بالنشر والتنطع بالثقافة والمعرفية حسب، بل قد يتمادى الأمر إلى ممارسة أفعال التطفل بشكل احترافي مترقبين كل فعالية افتراضية أو وجاهية يُعلن عنها هنا أو هناك– في شكل ندوات أو ملتقيات أو جلسات وهي في الأساس متنوعة الموضوعات والقضايا ومتفاوتة المستويات والتخصصات– كي يسجلوا فيها أو يحضروها لا من أجل الانصات والافادة بالاستعلام والسؤال، وإنما هَمّهم أن يكون لهم صوتٌ فيما يجري، بالهش على هذا والنش على ذاك مدحاً وقدحاً، تملقاً ومقتاً، تزلفاً ورياء.

أما إذا كانت مطامعهم أكثر من الحضور الفارغ والظهور المغرض، فعندها سيستغلون ما لديهم من أساليب وبعضها لا كرامة فيها متوسطين المسؤولين عن الفعاليات، متمسحين بأكتافهم كي يعطوهم فرصة الظهور على منصة افتراضية أو برنامج تلفزيوني أو ندوة حضورية، طاردين بمكر ودهاء غيرهم، طافين يتكلمون فيما هو ليس من اختصاصهم. ولا يهمهم بعد ذلك ما يقال عن سذاجة فهمهم وسماجة طرحهم وسوء ما خلفته كورونا وتسببت في صعودهم الطارئ والمشين.

وقد يتعدى الأمر عند بعض الطافين إلى الظهور في قنوات فضائية وبرامج إذاعية أو تلفزيونية يمثلون فيها أيضاً أدواراً زائفة، متقمصين صورة كاتب أو ناقد، متنطعين بجمل لا يفقهون معناها، مرددين ببغاوية جملاً أو عبارات مرت بمسامعهم أو أغاروا عليها ساطين على غيرهم محورين ومعدلين في بعض كلماته مقدمين مسرحية، يطنونها ندوة أو محاضرة خصوصاً إذا كان المضيف نفسه غير دار بطبيعة الموضوع الذي يريد الطافون الحديث عنه.

إن سلوك الترقب بقصد الظهور السريع والطارئ والمشاركة غير المستحقة والا المنطقية في الندوات والمهرجانات لأناس لم يكن المشهد الثقافي قد عرفهم قبل كورونا، له مضاره ومخاطره على الباحث الأصيل والجاد صاحب المشروع الثقافي الذي يلحقه حيف كبير من جراء تطفل هؤلاء الطافين الذين يريدون ثماراً من دون عناء ويبغون مراكز من دون اجتهاد، ويسعون إلى غاياتهم بوسائل ماكرة.

فماذا يفعل الباحث الجاد؟ هل يشغل نفسه بهؤلاء متابعا ما يكتبون من تعليقات مغرضة وتخرصات واهية وعقيمة أو يتركهم وشأنهم وهو يعلم أن غرض الطافين هو سحبه من مشروعه وإشغاله بما لا يسمن ولا يغني من جوع؟ وكيف يمكن مناقشة الطافين وهم لا دراية عندهم ولا يعرفون معنى الموضوعية، وإلا قالوا وأغربوا ووضحوا في وسائل افتراضية أو ورقية تضمن لهم الثبات على الرأي والمناقشة التي فيها تتوضح النوايا بدل الارتكان إلى التعليقات البالية والتخرصات الواهية بلا مسؤولية أو وازع من ضمير؟ وإذا كان التوسع مستقبلاً في مساحات الشبكة العنكبوتية متوقعاً وبوتيرة أعلى فهل يعني ذلك قراءة الفاتحة على الثقافة الحقيقية ليضيع الجاد والأصيل في خضم المزيف والطارئ وغير العلمي؟ ومتى يمكن للباحث أن يتم مشاريعه والطافي يتطفل على تلك المشاريع ولا يألو جهداً من وضع العراقيل ملاحقاً إياه بالتعليقات السمجة والمشاكسات المحرجة؟

بالطبع ليس للكاتب الجاد أن يتابع كل ما يكتبه هؤلاء الطافون، كما أن لا طائل له من مقارعتهم والتصدي لأساليبهم بكل ما فيها من ضعة نفس وخواء وابتذال وهدر ماء الوجه، كما لا إمكانية لديه لمعرفة كل من يسطو على كتاباته وينسبها لنفسه ولكنه في الوقت نفسه لا يستطيع التغاضي أو غض الطرف عما يجري من تشويه أو تعد أو تحريف أو تزييف يطال جهوده.

إن ما يجري اليوم بسبب كورونا من تزييف ثقافي غيّب بالمقابل طرائق الجدل والمناقشات المعرفية التي عرفتها أجيال سابقة من مثقفينا العرب والتي عليها انبنت حركة نقدية كبيرة. وسيزداد هذا الغياب إن نحن تركنا آثار كورونا تشوه ثقافتنا فيظهر الجاهل عالماً، والصفيق مثقفاً، والشعور شاعراً، والجبان صنديداً.

إن تركات كورونا الثقافية لها مخاطرها التي لا ينبغي تهوينها أو التقليل من شأنها وأن الباحثين والنقاد الجادين مدعوون إلى أن تكون لهم وقفة حقيقية توكيداً للمسؤولية ودفاعاً عن الأصالة إزاء هؤلاء الطافين من المتنطعين بالعلمية ومدعي الإبداع، تشخيصاً لهم داخل مؤسساتنا الرسمية وغير الرسمية، أكاديمية أو غير أكاديمية، وكشفاً لسطوهم وتعرية لاختلاساتهم. ومن الضروري تسخير كل ما لدى المثقف الحقيقي من منهجية وأدوات معرفية من أجل التصدي لهؤلاء الذين ساعدت كورونا في طوفهم الثقافي ممن لا سلاح لديهم سوى التعليقات والتخرصات الهامشية والباشة هنا وهناك وبنوايا سيئة وكيدية أحيانا.

وتظل قوانين الحوكمة الإلكترونية والحفاظ على الحقوق التأليفية ومسائل الملكية في النشر عندنا بحاجة إلى إعادة نظر وبشكل يتلاءم مع تركات كورونا وآثارها على الحياة والسلوكيات كي لا يتمادى الطارئون فيضرون أجيالا من القراء قادمة لا تعرف خطرهم وتجهل من ثم حقيقتهم وطبيعة مآربهم.

كاتبة من العراق

سريلانكا بعد إعلان حال الطوارئ

ساد الهدوء شوارع كولومبو العاصمة التجارية لسريلانكا السبت بعد أن أعلن الرئيس حال الطوارئ في أعقاب تصاعد الاحتجاجات المناهضة للحكومة.
وأثار إعلان حال الطوارئ للمرة الثانية من قبل الرئيس السريلانكي جوتابايا راجاباكسا خلال ما يزيد قليلا على شهر واحد إدانة من المعارضة والعديد من الدول الغربية.
وأطلقت الشرطة يوم الجمعة الغاز المسيل للدموع على عشرات المتظاهرين خارج البرلمان، في أحدث حلقة من احتجاجات عنيفة مناهضة للحكومة مستمرة منذ أكثر من شهر وسط نقص في المواد الغذائية والوقود والأدوية المستوردة.

آداب وفنون

«وأحبُّها وتُحبُّني/ ويُحبُّ ناقتَها بَعيري»: مفهوم الحب في تراث الشعوب

عبدالواحد لؤلؤة

يختلط مفهوم الحب مع مفهوم الصداقة عند كثير من الشعوب، والقديمة منها بشكل خاص، إلى حد أنه قد يُساء فهمه ويُساء استعماله. ففي ملحمة كَلكَامش نجد العلاقة بين كَلكَامش وصديقه إنكيدو توصف بأنها حُب في أعلى درجاته يُمثله رثاء كَلكَامش عند موت إنكيدو. وفي التراث الإغريقي القديم نجد مفهوم الحب يتجلّى في شعور سافو أقدم شاعرة إغريقية معروفة تجاه زوجها وابنتها، كما نقرأ في بعض جُذاذات قصائدها المئة والأربع. ربما كان أهم وصف لشعور الحب مشهد الشاعرة وهي تستعطف أفروديته ربّة الحب والجمال وابنة زيوس كبير أرباب الإغريق، لكي تكون إلى جانبها في حب امرأة قد يكون اسمها أناكتوريا، فتنزل ابنة زيوس من عليائها وتقوم بمواساة الشاعرة العاشقة وتَطمَئنها أن حبيبتها ستعود إليها. لكن بعض مؤرخي الأدب الإغريقي في أواخر القرن التاسع عشر، وبخاصة في أمريكا، فهموا أن هذه العلاقة بين الشاعرة وحبيبتها هي علاقة شذوذ جنسي اخترعوا له إسم «اللزبية» إشارة إلى جزيرة ليزبوس بلد الشاعرة. ولكن الشعراء والمؤرخين الإغريق المعاصرين للشاعرة،مثل آلكائيوس وميليلاكر لم يذكروا شيئاً من هذا القبيل عن سافو. وكان أفلاطون يعتقد أنها ربة الفنون العاشرة.

ومن أمثلة الصداقة– الحب في العالم القديم ما يروى عن أحد ملوك الإغريق القدامى أنه كان له يومان: يوم نَحس ويوم سَعد، فاذا جاءه زائر يوم نحسه قتله وإن جاءه يوم سعده أجزل له العطاء. فجاءه صديقان يوم نحسه هما ديمُن وبثياس فأراد أن يقتل أحدَهما فتدخل الثاني وقال: أقتلني بدله فأنا أحب صديقي ومستعدٌ أن أُقتل بَدَله فأعفى الملك عنهما وألغى يوم النحس ويوم السعد. ومثل ذلك ما يروى عن النعمان بن المنذر.

ولكن التراث العربي يروي أمثلةً من الحب أكثر قبولا للعقل ولو أن بعضها فيه من المبالغة ما يدعونا إلى الشك في رواياتها. فهذا عنترة بن شداد يصف حُبّه غَيلة، وهو الفارس المغوار البطل الذي «يغشى الوغى ويعفّ عند المَغنم» ولكنه يسجل على نفسه:

ولَقد ذكرتُك والرِماحُ نواهلٌ/ منّي وبيضُ الهند تقطر من دمي
فَوَدَدتُ تقبيل السيوف لأنها / لَمعت كبارق ثغرِكِ المُتَبَسِّمِ

والشاعر البدوي صريح في التعبير عن الحب:

«وأحبُّها وتُحبُّني/ ويُحبُّ ناقتَها بَعيري».

وفي العهد الأموي نجد الشعراء العذريين يصفون الحب بما يصعب قبوله من الأوصاف في زماننا هذا اللا يوصف.

«أمُرُّ على الديار ديار ليلى/ أُقبِّلُ ذا الجدارَ وذا الجدارا
وما حُبّ الديار شغلنَ قلبي / ولكن حُبّ من سَكن الديارا

وفي العصر العباسي كان التعبير عن الحب أكثر بروزاً، حتى عند الخلفاء. يروى أن هارون الرشيد، الذي كان يغزو سنةً ويحجّ السنة الثانية، كان يعشق ثلاث من النساء، فنظم الشاعر العباس بن الأحنف (ت. 806 م.) على لسان الرشيد هذه الأبيات:

ملكَ الثلاثَ الآنساتُ عناني / وحَللنَ من قلبي بكلّ مكانِ
مالي تطاوعُني البَريّةُ كلُّها / وأطيعُهنَّ وهُنَّ في عصياني؟
ما ذاك إلاّ أن سلطانَ الهوى / وبِهِ قَوينَ أعزُّ من سُلطاني

وكان الخليفة الأندلسي الحَكَم الأول (ت. 822م.) معاصراً لهارون الرشيد، ولا يقصّر عنه في التعبير عن لواعج الحب كما فهمه:

ملّكتني ملكاً ذلّت عزائمُه / للحب ذلّ أسيرٍ موثقٍ عاني

ثم يتوسع في هذا الموقف فيقول:

ظلّ من فرط حُبّه مملوكا / ولقد كان قبل ذاك مَليكا
إن بكى أو شكا الهوى زيدَ ظُلما/ و بعاداً يُدني حِماماً وَشيكا

وفي الأندلس يكاد الحب أن يكون الموضوع الرئيس في كل قصيدة أو موشّح أو زجل. والأصول المشرقية في معنى الحب وفي الموقف منه نجدها في كل قصيدة تقريباً حيث أن بعض الشعراء والوشاحين يُضمّنون أعمالهم من مقتطفات من الشعر المشرقي. وبعض الشعر الأندلسي يسمّي الأشياء بأسمائها دون موارَبة أو تورية. هذا لسان الدين بن الخَطيب:

جاءت مُعذبتي في غَيهب الغَسَق/ كأنها الكوكبُ الدُّرّي في الأفق
فقلتُ نُوّرتني يا خيرَ زائرة / أما خَشيت من الحُرّاس في الطُرُق؟
فجاوبتني ودمعُ العين يسبقُها / من يركبِ البحرَ لا يخشى من الغرق!

هذا المفهوم عن الحُب بهذه التعبيرات بدءاً من عنتره وشعراء الجاهلية وامتداداً إلى شعراء الأندلس لم يكن يتبع قاعدةً أو توجيهاً وإنّما كان يَدَهيّاً وعفوَ الخاطر. ولم يكن للحب تعريفٌ مُحدّد، كما نفهم من روايةٍ الأصمعي أنه وجَدَ جاريةً مُعلّقةً بأستار الكعبة تُنشد شعرَ غزل وتستغفر فسألها: ما الحب؟ فقالت: «هيهات! جلّ والله عن أن يُحصى وخفيَ عن أن يُرى. فهو كامنٌ كمونَ النار في حَجَرها، إن قدَحته ورى، وإن تركته توارى». ولكن كان علينا أن ننتظر ظهور أبي بكر محمد بن داوود الأصبهاني (ت. 909م) ليكتب ببغداد عام 890 كتاباً بعنوان «الزُهرَة» يضم في جُزئه الأول 50 باباً في كل باب 100 بيت شعر تصوّر فنونَ الحُب وقوانينَه. وهذه المختارات مُشتقات من «حماسة» أبي تمّام و «حماسة» البُحتري، ومن أشعار بشار بن بُرد وأبي نواس وأبي العتاهية وعمر بن أبي ربيعة والعبّاس بن الأحنف وابن الرومي... وأعقب ذلك كتاب «طوقُ الحمامة» لإبن حَزم الظاهري (993– 1064) الذي ألّفه في حدود عام 1028م ويحتوي كتاب الطوق على ثلاثين باباً في تفسّر الحب مفهوماً مع أمثلة واقعية. ثم جاء آندرياس كابيلانُوس، كاهن بلاط الكونتيسة ماري ده شامبين وكتب كتاباً باللغة اللاتينية بعنوان «عن الحب» يكاد يكون نقلاً حرفياً عن كتاب ابن حزم، ويرفع فيه من شأن الحب ويعدّه سبب رفعة الرجل عندما يُحب. وانتشر الكتاب بين مثقفي ذلك العصر لكنه كان يتضارب مع التراث الكلاسي الإغريقي والروماني كما يتعارض مع تعليمات الكنيسة المسيطرة بعلى الثقافة. فهذا خطيب أثينا ديموستينيس يهاجم المرأة ويحط مَن قدرها. وهذا أوفيد في كتابيه «فن الحب» و «علاج الحب» لا يقل هجوماً على المرأة واستخفافاً بها. لكن التراث المشرقي العربي كان الأساس في الثقافة الأندلسية وكانت أمثلة الشعر فيه على النقيض من الموروث الكلاسي. ولأن المجتمع الأندلسي يقوم على التفاهم بلغتين العربية و «لطينية» الأندلس كان من السهل انتقال مظاهر أدب الغرب الذي اتخذ طابعاً أندلسياً وظهرت أول بوادره مع أول شاعر من أهل البلاد من إقليم بروفانس في الجنوب الغربي من فرنسا الحالية. كان ذلك الشاعر كَيوم التاسع (1071– 1127) الذي أعجب بما سمع من الموشحات الأندلسية والأزجال ولم يكن ذلك صعباً لتوفر المتكلمين باللغتين. وقد ترك لنا هذا الشاعر 11 قصيدة باللغة البروفنسية وهي إحدى اللهجات المنسلخة عن اللاتينية. نلاحظ في هذه القصائد استعمال القافية وهي أول مرّة تظهر فيها القافية بشعر أوروبي لأنها لم تكن معروفة في التراث الكلاسي. ثم إن موضوعات هذه القصائد هو الحب الدنيوي الذي يُعلي من شأن المرأة مما أثار عليه جميع المعنيين بالثقافة، لأن موقفه كان ضد الأعراف السائدة وضد التعاليم الكنسية بالدرجة الأولى. ومن هنا انتشر هذا الشعر الجديد والموقف من المرأة والحب الدنيوي بتأثير مباشر من الثقافة العربية المشرقية في صيغتها الأندلسية.

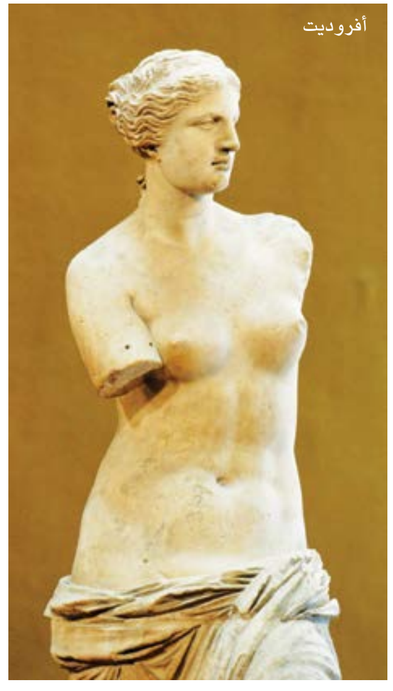
أفروديت

الرسام العراقي مؤيد محسن: ابتكار التآلف والتنافر بين عناصر اللوحة

مروان ياسين الدليمي

«التصوير شعر صامت، والشعر صور ناطقة» هذا ما عبر عنه منذ وقت مبكر الكاتب اللاتيني سيدونيوس (430 –485 م) في محاولته توصيف العلاقة التي تجمع الرسم بالشعر. وإذا ما أقدَمْنا على تناول تجربة الرسام العراقي مؤيد محسن (مواليد مدينة الحلة 1964) فلن نجد صعوبة في العثور على هذه العلاقة مطروحة في جميع ما أنتجه من لوحات أقرب ما تكون في صياغة العلاقات القائمة بين مفرداتها إلى الصور الشعرية، من حيث ما تشي به من غرابة للوهلة الأولى، فهي تبدو محلقة بمسافة عالية وبعيدة عن كل ما هو مألوف وطبيعي في سياق ما نبصره وما اعتادت عليه حياتنا من سيرة الأشياء وتواريخها الاجتماعية، بالإضافة إلى الكثافة الجمالية التي يوفرها أسلوبه في ابتكار وشائج تقنية تحقق وحدة العناصر المتنافرة داخل اللوحة.

والمخيلة لدى مؤيد محسن وهي تلتقط الايحاءات من الواقع تعمل على إحالتها إلى رموز، بمعنى انها تنتقل بها من الصورة إلى العلامة، وهنا يكمن سر الفرادة التي تتوفر في مخيلة الفنان، وهذا لأنه يمنح تلك الايحاءات الخارجية ما يتفجر في داخله من أحاسيس ومشاعر وأفكار عندما يستدعيها إلى مشغله، بمعنى انه يعيد تشكيل الواقع ولكن في إطار الانزياح الفني البعيد عن رتابة الواقع وأيقونية دلالاته، على اعتبار ان الإبداع الفني عملية خلق تنهض على إعادة صياغة العلاقات بنموذج جديد يحمل عنصر التجاوز، فالتجربة الفنية لن تلامس ضفة الإبداع إذا لم تنفصل ذات الفنان في لحظة الخلق عن العناصر الواقعية التي يستلهم منها مادته، لتبدأ حركية الفعل الإبداعي في عملية توقيع جديدة وهي تنشئ التجربة الفنية.

مؤيد محسن شديد الصلة بالواقع العراقي في أعماله، وربما يقف في مقدمة الرسامين العراقيين الذين لا تستطيع ان تفصل الواقع عن موضوعات لوحاتهم، ولكنه يقف في مكانة خاصة في انشغاله وتعامله مع تراجيديا الواقع العراقي، وما يلفت الانتباه إليه أن أي فكرة يتصدى لها في هذا السياق مهما كانت على درجة كبيرة من راهنيتها أو واقعيتها اليومية، فإنه يدفعنا إلى الإحساس بتداخل عناصرها مع دلالات الجذور الرافدينية، مستبعدا في أسلوبه فكرة المحاكاة عند استعادته تلك الإشارات من الحضارات العراقية القديمة، بل نجده ينتقل بها إلى منطقة فنية لا أثر فيها للاستنساخ أو المشابهة أو تمثيل الواقع، بقدر ما يدفع بها إلى تحقيق حالة من الصدمة الجمالية والذهنية، نتيجة ما تحمله عناصر اللوحة بعلاقاتها الغريبة من رؤية إزاء الواقع المعاصر الذي يعيشه العراق من بعد ان نالت منه الحروب والأنظمة القمعية والاحتلالات الأجنبية.

التجاوز والانتماء في النص البصري

تعيدنا لوحاته إلى طرح السؤال الجوهري: ما العلاقة التي تجمع التجربة الفنية بالواقع؟ ومع ان هذا السؤال ليس بجديد، إلا أن مؤيد محسن يرغمنا على استعادة طرحه، رغم طغيان عناصر الدهشة والغرابة والتخييل في كل ما يصدر عن مشغله الفني، وهنا تكمن جمالية هذه التجربة وخصوصيتها، في كونها تحمل فكرة التجاوز والانتماء، وفي انها تقدم أثرا فنيا يحفز مخيلة المتلقي على ان تنشط وتنتج هي الأخرى صورا بصرية من وحي الأفكار التي تثيرها كل لوحة من لوحاته، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى أن أسلوبه في صياغة الأفكار يستند إلى طريقة حسية قائمة على تجسيمها وتصويرها، قاصدا بذلك استثارة وعي المتلقي بما يقدمه من استعارات جريئة أقرب في تشكيلها وكناياتها إلى الصور الغرائبية في النص الشعري الحديث، وتتجلى قيمتها وأهميتها والأضواء والرموز القديمة والمعاصرة التي تحتشد فيها، بل في انها عبارة عن نصوص بصرية تتمرد في تركيبة علاقاتها وانزياحاتها عن الموروث الصوري المستند والمستهلك في مجمل النصوص المنضوية تحت اشتراطات القواعد الكلاسيكية شعرا ورسما.

وكثيرا ما تناولت كتابات نقدية تجربة مؤيد محسن باعتبارها منخرطة بكليتها شكلا ورؤية وأسلوبا وتقنية في مسار السريالية، وبتقديرنا ان وجهة النظر هذه كانت على درجة واضحة من الاختزال والتبسيط لعمق وخصوصية هذه التجربة وفرادتها، لأن محسن لم يكن مهووسا بكل ما هو غريب وقريب إلى الأحلام والكوابيس أو ما له صلة بالدوافع الجنسية، أيضا لم تكن ستراتيجيته في الرسم تعتمد الآلية والتلقائية بمعنى تغييب الوعي وسلطة العقل في التأسيس والتكوين كما هو حال الإرث المتراكم في تاريخ السريالية منذ انطلاقتها بعد العقد الثاني من القرن العشرين، انما كان منشغلا في استدعاء راديكاليتها الشكلية وما يمكن ان تحققه من صدمة للمتلقي في سياق تأملاته للواقع العراقي، وهو بذلك قد اقترب منها من حيث «الإحساس المتزامن بالبهجة والكارثة الوشيكة، والذي يعكس الظروف المضطربة للحياة» حسب تعليق الفيلسوف الماركسي الأمريكي مارشال بيرمان (1940–2013) وقد افترق محسن عن السريالية من حيث التوظيف والمعالجات، ونرى ان انحيازه إلى ناحية ما يتركه الأسلوب السريالي من حافز الاستكشاف والاستقصاء العقلي، يعود في جوهره إلى إحساسه العالي بالمسؤولية الأخلاقية إزاء ما يتعرض له بلده من تدمير ممنهج، تقف خلفه همجية السياسة الأمريكية، فوجد نفسه معنيا بإعادة تشكيل الفوضى الناجمة عن هذه الحرب التي شنها الجيش الأمريكي، وتبيان موقفه الرافض للقوى اللاعقلانية التي تحكم العالم وتتحمل مسؤولية خراب وطنه، وفي هذا المنحى الفني نجده يتفق مع ديفيد هوبكنز(1945– 2000) أستاذ تاريخ الفن بجامعة غلاسكو في كتابه الذي تناول السريالية والدادائية، حيث أشار بأن «الراديكالية الاجتماعية والسياسية ينبغي ان ترتبط بالابتكار الفني، وان مهمة الفنان أن يتجاوز المتعة الجمالية ويؤثر على حياة الناس وأن يحملهم على رؤية وتجربة الأشياء بشكل مختلف».

بذور التمرد والوظيفة الجمالية

ان تجربة محسن باعتبارها ظاهرة مميزة في الرسم العراقي والعربي تشير إلى متانة العلاقة التي يرتبط بها هذا الرسام مع العالم المحيط به، وقدرته على إمعان النظر في تمظهرات أعماقه عبر ما أنتجه من لوحات، فهو على تماس وجداني مع البيئة العراقية بكل تجلياتها الاجتماعية والإنسانية والسياسية، وهذا ما لن تخطئه عين المتلقي وهو يقف أمام لوحاته، حيث يجد نفسه معبأ بأحاسيس تختلط فيها مشاعر الدهشة والحسرة والثورة واللوعة والغضب والاحتقار، وأستطيع ان أجزم بأن لوحاته في ما لو عرضت بمكان عام يرتاده بسطاء الناس من العمال والكسبة والأميين أو في صالة لا يصل إليها إلاّ علية القوم والنخب المثقفة، فإن عملية التلقي ستفضي في محصلتها النهائية للجمهورين إلى الإحساس بالانبهار والتفاعل مع لوحاته، وهذا لانه قد امتلك وعيا حادا وأسلوبا ذاتيا ورؤية فنية في قراءة الأفكار والموضوعات، ما مَكّنه من ترسيخ انطباع مؤثر لدى الجميع على اختلاف مستويات المتلقين الثقافية، والوصول إلى مثل هذه النتيجة يعد إنجازا كبيرا، خاصة من يرى ان الفنان لابد له من ان يكون منتميا إلى الإنسانية ويحمل في داخله بذور الجرأة والتمرد على القوى التي تتسبب في الحروب وتدمير المجتمعات هذا إضافة إلى مسؤوليته في ترسيخ وظيفته الجمالية.

تقنية المفارقة

هناك مفارقة درامية على درجة عالية من الاستثارة تستهدف وعي المتلقي وذاكرته البصرية تتضمنها معظم لوحاته، تكتمل فيها تجليات لعبة التماثل والاختلاف ما بين العناصر المؤسسة لانشائية اللوحة وشكلها النهائي، تنطوي هذه المفارقة بتقاطع مفرداتها وتداخلها على فكرة مفادها إحداث قدرٍ من التواصل والتفاعل التأملي مع المتلقي عبر استفزازه جماليا، وإذا ما غادر صالة العرض فمن غير الممكن إلاّ أن يدخل في حالة من اضطراب لذيذ يدفعه إلى إعادة التفكير بطبيعة التجربة الفنية التي وقف أمامها، خاصة وان ما فيها من رموز وإشارات وعوالم لها حضور كبير ومؤثر في الحياة الإنسانية وعلى وجه خاص لدى المتلقي العراقي.

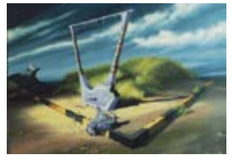

تحقيقات

روسيا استثمرت حرب أوكرانيا للتمدد في الساحل والصحراء

قوات الجيش المالي

رشيد خشانة

الأرجح أن تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية ستؤثر تأثيرا كبيرا في منطقة تبدو بعيدة جغرافيا عن ذلك الصراع، هي منطقة الساحل والصحراء. ولوحظ في الفترة الأخيرة تكثيف للحضور الروسي في عدة بلدان أفريقية، بالرغم من انشغال الكرملين بتطورات الحرب في أوكرانيا.

وزاد عدم الاستقرار الأمني وتوالي الانقلابات في بلدان الساحل من تصميم الدول الأوروبية على السحب التدريجي لقواتها العاملة في إطار قوة «مينورسو» وبعثات عسكرية أخرى، ما ضاعف من الفرص المُتاحة لتعزيز الوجود الروسي، على جميع الأصعدة. ويُعزى عدم الاستقرار إلى كثرة الانقلابات العسكرية في السنتين الأخيرتين، إذ استحوذ الجيش المالي على الحكم في آب/اغسطس 2020 ثم في انقلاب ثان في أيار/مايو 2021.

«فاغنر» الشاغل الأول

كان الاتحاد الأوروبي يُتابع تلك التطورات عن كثب، وما شغل باله في المقام الأول، هو الحضور المتزايد لعناصر المجموعة الأمنية الروسية «فاغنر» في مالي، استجابة لدعوة من المجلس العسكري الحاكم. وتعاونت تلك العناصر مع ضباط الجيش المالي، الذين تلقوا تكوينهم في بلدان أوروبية. وكانت دول الاتحاد الأوروبي انتدبت مئات من العسكريين والخبراء في مهمتين تدريبيتين في مالي، واحدة موجهة إلى العسكريين والثانية إلى رجال الشرطة. وتم تمديد فترة المهمة الأولى إلى 18 أيار/مايو 2024 فيما مُددت الثانية إلى أواخر كانون الثاني/يناير 2023.

وقرر الاتحاد الأوروبي في الحادي عشر من شهر نيسان/أبريل وقف جميع برامج التكوين والتدريب العسكري في مالي، مع البقاء في منطقة الساحل ومعاودة الانتشار في البلدان المُجاورة لمالي، بحسب ما أعلنه مفوض العلاقات الخارجية والسياسة الأمنية في الاتحاد الأوروبي جوزيب بورال. واعتبر بورال أن تطور الأحداث هو الذي «أكره» دول الاتحاد على اتخاذ ذلك القرار، لكونها لم تحصل على ضمانات من الحكام الجدد. وكان هذا الموضوع محور اجتماع وزراء خارجية الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي، أخيرا في لوكسمبورغ. وفي تلك المناسبة أكد الأوروبيون أنهم لن يوقفوا دورات تكوين الضباط المحليين على قوانين الحرب وقواعدها.

وضوح ألماني

وكان الألمان أكثر وضوحا إذ أبدوا رغبتهم في سحب قواتهم من مالي، وهي بـ«مقاتلين أجانب» لم تُحدد الشهادات جنسياتهم، ولكن يُعتقد أنهم من شركة «فاغنر» الروسية. أما الأمم المتحدة فقالت إنها فتحت تحقيقا في ما تعرض له سكان مورة، التي تُصنف على أنها أحد مواطن الجماعات العنيفة في منطقة الساحل والصحراء، من دون الافصاح عن نتائج التحقيق حتى اليوم.

وهذا يعني احتمال التصادم بين عناصر «فاغنر» والقوات الأوروبية، التي استدعتها دولُ الساحل لمساعدتها على احتواء الجماعات المسلحة وشبكات التهريب في المنطقة. وقد أرسل الاتحاد الأوروبي مئات من العسكريين والخبراء إلى مالي، في إطار الدورات التدريبية للجيش والشرطة المحليين. مع ذلك رفضت السلطات التعاون مع الأمم المتحدة، بل ومنعت المحققين من الوصول إلى مدينة مورة.

حُماة الرؤساء

ويزداد انزعاج الغربيين من التمدد الروسي في المنطقة، مع تواتر معلومات عن دور عناصر «فاغنر» في حماية بعض الأنظمة الأفريقية، وهو تمدُّدٌ لم يُخف الأمريكيون إصرارهم على احتوائه. والأرجح أن الأدوار التي باتت تلعبها عناصر «فاغنر» في الساحل والصحراء، على أيدي قوات مالية كانت مرفوقة ستُلقي بظلالها على علاقة واشنطن بالجنرال المتقاعد خليفة حفتر. فبعدما كانت واشنطن تُجامل القائد العسكري للمنطقة الشرقية، ولا تنتقد علنا اتكاله على قوات «فاغنر» الروسية، ستجد نفسها مضطرة لمحاصرة الانتشار الروسي، في سياق لعبة العقوبات والعقوبات المضادة في الحرب التي تشنها على أوكرانيا.

وتؤكد غالبية التحاليل الأوروبية لمجريات الحرب في أوكرانيا أن التقليل من الاعتماد على الغاز الروسي يشكل أولوية لدول الاتحاد. وهم يطرحون، تعويضا لشراء الغاز الروسي، فكرة تشكيل «المجموعة الأوروبية المتوسطية للطاقة» مثلما اقترح ذلك جان لوي غيغو مؤسس «معهد الدراسات الاقتصادية المستقبلية للعالم المتوسطي» ومقره في مدريد. ويرى غيغو أن الحرب الراهنة تقتضي إيجاد استراتيجيا سياسية واقتصادية تُحرر أوروبا من التبعية للغاز والنفط الروسيين، وتجعلها تلتفت إلى أفريقيا، التي تعاني من تفاوت كبير بين الزيادة السريعة في عدد السكان ونمو اقتصادي متواضع. ومن ضمن هذه الاستراتيجيا ينظر الأوروبيون إلى الدور المحوري للجزائر وفرنسا على أنه صنوُ المحور الألماني الفرنسي في الاتحاد الأوروبي.

وهذا المشروع، الذي يُضايق روسيا كثيرا، ليس بالجديد. ففي العام 2011 دعت المفوضية الأوروبية والممثل الأعلى للسياسة الخارجية والأمن إلى إنشاء مجموعة الطاقة بين الاتحاد الأوروبي وجنوب المتوسط، «الذي يبدأ بالبلدان المغاربية، ثم يتوسع إلى بلدان المشرق» على ما قال.

الأنبوب الأول

ويقول الإيطاليون إنهم من المنخرطين الأوائل في هذا المشروع الإقليمي، منذ مد أنبوب الغاز «ترانسميد» في العام 1985 الرابط بين الجزائر وإيطاليا، عبر تونس والبحر المتوسط. وهو ما أكده رئيس مجلس الوزراء الإيطالي ماريو دراغي خلال زيارته الأخيرة إلى الجزائر. وتُقدر طاقة الأنبوب، الذي أطلق عليه اسم رجل الدولة الإيطالي الراحل أنريكو ماتيي، بـ32 مليار متر مكعب، لكنه لا ينقل حاليا أكثر من 22 مليار متر مكعب فقط. وسيرتفع حجم الصادرات بـ3 مليارات متر مكعب إضافية، بناء على اتفاق جديد بين مجموعتي «سوناتراك» و«إيني» مع تعهد الجزائريين بعدم الترفيع في الأسعار. وتؤمن الجزائر حاليا 27 في المئة من حاجات إيطاليا للغاز الطبيعي.

وتسعى بلدان أوروبية أخرى، بينها فرنسا وإسبانيا والبرتغال، للنسج على منوال الإيطاليين، لكن الخبراء يرون أن طاقة التصدير الجزائرية لا تسمح حاليا بالاستجابة لطلبيات ضخمة بشكل يُعوض الغاز الروسي. ويُشير الخبراء أيضا إلى أن احتمال تحوُّل الجزائر إلى مُصدر محوري للطاقة في المتوسط، من شأنه أن يُزعج حليفا مُبجلا هو روسيا، خصوصا في ظل تخصيص الجزائريين استثمارات ضخمة لتطوير قطاع إنتاج المحروقات. وأتى التعبير عن حرص الطرفين الجزائري والروسي على استمرار التحالف بينهما من خلال المكالمة الأخيرة بين الرئيسين عبد المجيد تبون وبوتين، والتي استمرت أكثر من ساعة.

في غضون عشر سنوات

وقدر الخبير غيغو ان الضفة الجنوبية للمتوسط (الجزائر وليبيا) قادرة، في غضون عشر سنوات، على التعويض عن الغاز المستورد حاليا من روسيا، بواسطة المحروقات في مرحلة أولى، ثم بالاعتماد على الطاقات المتجددة لاحقا. أما أنبوب الغاز الجزائري الإسباني فتوقف عن الضخ، بعد ما قررت الجزائرعدم تجديد عقد استغلال الخط، في أعقاب قطعها العلاقات مع المغرب في آب/اغسطس الماضي.

ويميل بعض المحللين الغربيين إلى اعتبار التأخير في إقامة مجموعة الطاقة الأوروبية المتوسطية خسارة للطرفين. ويعتقدون أن مثل هذا الرهان قابل للتجسيد في غضون السنوات العشر المقبلة، بما يُحقق الاستغناء عن الغاز الروسي، بواسطة المحروقات في مرحلة أولى، ثم بالطاقات النظيفة بعد ذلك. وتتعهد أوروبا وفقا لهذا السيناريو، بتزويد بلدان شمال أفريقيا من المغرب إلى مصر، بالقمح، مع الالتزام بمساعدتها على معاودة هيكلة قطاع إنتاج القمح المحلي.

الأمم المتحدة فتحت تحقيقا في ما تعرض له سكان مورة

جيش بانغي

التحدي الأمني

بالاضافة إلى هذا التحدي الاقتصادي تُواجه بلدان المنطقة تحديات من نوع آخر، تتعلق بالأمن والاستقرار الإقليميين، فقد تحدثت الأنباء الآتية من مالي عن تزايد عناصر «فاغنر» في منطقة تومبوكتو، إذ ما أن سحبت فرنسا في كانون الأول/ديسمبر الماضي قواتها، التي كانت منتشرة في شمال مالي، حتى انتشر الروس في قاعدة تومبوكتو، حيث تولوا تدريب القوات المحلية. وأكد ناطق باسم الجيش المالي أن قرابة خمسين من المُدربين الروس وصلوا أخيرا إلى شمال مالي واستقروا في العنابر التي كانت تشغلها القوات الجوية المالية، وليس في العنابر التي كان يُقيم فيها الجنود الفرنسيون.

وحذرت باريس، المُغتاظة بشدة من الانتشار الروسي في إحدى مناطق نفوذها الهامة في أفريقيا، وكذلك حُلفاؤها الأوروبيون، سلطات باماكو من السماح لعناصر «فاغنر» بالانتشار في أراضيها. لكن الأخيرة أكدت أن الأمر يتعلق بجنود نظاميين روس أتوا بموجب اتفاقات دفاعية سابقة بين الحكومتين. وشملت تلك الاتفاقات بيع طائرات وأسلحة ومعدات حربية روسية لمالي. وقالت السلطات إن التدريب على الأسلحة الجديدة «أقل كلفة هُنا مما هو هناك (في روسيا)».

ومن المُتغيرات المتوقعة جراء تداعيات الحرب الأوكرانية، وما رافقها من احتداد في الخلافات بين واشنطن وموسكو، تأثُر علاقات أمريكا باللواء المتقاعد خليفة حفتر، الذي بات في موقف حرج بعد الهجوم الروسي على أوكرانيا. فقد كانت واشنطن على استعداد لغض الطرف عن الدعم الروسي للرجل القوي في المنطقة الشرقية واستدعائه عناصر «فاغنر» إلى ليبيا، لكن مصادر عليمة تؤكد أن واشنطن وحلفاءها باتوا يعتبرون رحيل هذه القوة الروسية أولوية الآن، وهم لن يغضوا الطرف عن هذه العلاقة، إذا ما استمرت بالزخم نفسه مستقبلا.

محاولة اغتيال زيلينسكي؟

ونقلت وسائل إعلام غربية عن قوات «فاغنر» المرابطة في بانغي عاصمة أفريقيا الوسطى أن عيونها تتطلع حاليا إلى أوكرانيا حيث تدور رحى الحرب توقعا لاستدعائها إلى هناك. ووضع عناصر «فاغنر» على حسابهم في تطبيق «تليغرام» صورا تتحدث عن «انتصارات» الجيش الروسي في أوكرانيا، بما فيها المُعدات الحربية المدمرة أو التي وقعت بأيدي الروس. وأوردت صحيفة «ذي تايمز» أن مقاتلين من مجموعة «فاغنر» تم نقلهم من بانغي إلى ساحة الحرب في أوكرانيا، وتم تكليفهم باختراق دفاعات الأوكرانيين. وهناك من ذهب إلى حد القول إن المهمة التي كُلفوا بتنفيذها هي اغتيال الرئيس فلودومير زيلينسكي.

لا يقتصر التوغل الروسي على أفريقيا الوسطى ومالي، بل إن رئيس المجموعة إيفغيني بريكوجين، رجل الأعمال المقرب من بوتين، يتردد باستمرار على الخرطوم، حيث يحتفظ بعلاقات متينة مع كبار رجال النظام. وهو الذي كان وراء المصالحة التي تمت في العاصمة السودانية، بين رئيس أفريقيا الوسطى تواديرا وست حركات تمرد تُعارضه. وحسب الباحث ماتيو أوليفيي فإن الذي يقود فريق الحماية الشخصية للرئيس تواديرا ليس سوى فيتالي برفيلاف قائد عمليات «فاغنر»، كما أن المستشار الأمني للرئيس هو فاليري زخاروف، الذي أشرف على بناء مقر القيادة والتدريب في مدينة بيرينغو، وهي مقر إقامة السلاطين السابقين.

ليست روسيا القوة الوحيدة التي تتوغل في الجغرافيا الأفريقية، على أنقاض الإمبراطوريات الاستعمارية السابقة، وإنما تُنافسها، في صمت، كل من الصين وإسرائيل وتركيا وحتى إيران. وستتم معاودة تشكيل الخريطة الإقليمية في المستقبل، بما فيها ليبيا، في ضوء مآلات ذلك الصراع الدولي.

انسحاب فرنسا من مالي

الجزائر وليبيا قادرة، في غضون عشر سنوات، على تعويض الغاز الروسي

ميديا

محمد مرسي يعود إلى صدارة اهتمام المصريين بسبب «الاختيار» وتصريحات السيسي

لندن – «القدس العربي»:

عاد الرئيس الراحل محمد مرسي إلى صدارة الاهتمام في مصر بعد أن شغل مسلسل «الاختيار3» الرأي العام طوال شهر رمضان المبارك، فيما جاءت تصريحات الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي التي دافع فيها عن المسلسل لتشعل موجة واسعة من الجدل على شبكات التواصل الاجتماعي وتُجدد الحديث عن مرسي وعن الأحداث التي شهدتها مصر في العام 2013.

وتحدث السيسي الأسبوع الماضي عن مسلسل «الاختيار3» ضمن فعاليات احتفالية أبناء الشهداء بعيد الفطر المبارك قائلا: «شفتوا قد أيه العمل الدرامي بألف كتاب، وأنتم متعرفوش عملوا أيه. وكل ما حدث في المسلسلات حقيقة وتم نقله بكل شفافية» كما حرص السيسي على توجيه التحية إلى أبطال المسلسل قائلا: «مش هتمشوا.. وفرصة أن في يوم العيد إن إحنا أولا نقولكم كل سنة وأنتم طيبين.. ونشكركم».

وأضاف: «اللي عملتوه كان جزء كبير منه لصالح الأبطال والشهداء اللي ضحوا علشان خاطر مصر تعيش.. عاوز أقولكم على حاجة تاني.. ليكم ولكل الناس.. قولنا التاريخ مش نسيبه لحد.. والله والله إحنا كنا حريصين على ألا يحصل تصادم» في إشارة إلى الانقلاب العسكري الذي حدث في الثالث من تموز/يوليو 2013.

وسرعان ما عاد اسم الرئيس الراحل محمد مرسي إلى صدارة الاهتمام على شبكات التواصل الاجتماعي في مصر، حيث أعادت تصريحات السيسي الجدل حول ما حدث في منتصف العام 2013 وتداول المصريون روايات مختلفة بين من يؤيد ومن يعارض رواية السيسي للأحداث.

وكتب الناشط أحمد بحيري مغرداً على «تويتر» يقول: «السيسي واضح إنه محروق قوي من رد فعل الناس على مسلسل الاختيار، وازاي ماهماش مصدقينه، فتقمص روح صفاء أبو السعود النهاردة، وراح يحتفل بالعيد مع الأطفال، عشان يكلم الناس برضه عن المسلسل، ويحلفلهم إنه مش فشر والله ما حكم عسكر».

أما السياسي والحقوقي الدكتور أسامة رشدي فغرد قائلاً: «السيسي موقف ممثلين الاختيار3 على المسرح، ويقول لهم دراماتكم بألف كتاب، ويؤكد أنه لم يذكر في بيان 3 يوليو عزل الرئيس! الراجل غارس في لحظة خيانته، ولم يتمكن من تجاوز هلوساته وضلالاته، ويصرعلى احتكار الرواية والحقيقة، عن علاقته بالرئيس مرسي رحمه الله وخيرت الشاطر ويكذب عليهم كما يتنفس».

وكتب شريف عثمان ساخراً: «نظراً للحضور الجماهيري الطاغي، أطالب بإعادة مسلسل الاختيار 3 على جميع القنوات، طوال أيام العيد 24/7». فيما قال حسام حملاوي: «كأنه طالع بيسمع المنهج للطلبة ليلة الامتحان».

ونشر ناشط يُطلق على نفسه اسم «المهندس باشا» صورة لمرسي وكتب معلقاً: «لنا الشرف ان يكون هذا زعيمنا، الرئيس الشرعي، الرئيس الشهيد الدكتور محمد مرسي، رضي الله عنه وأرضاه».

وكتب الناشط أحمد البقري: «اللهم ارحم عبدك الرئيس محمد مرسي واجعل دمه لعنة على من خانه وتآمر عليه.. اذكروه بدعوة في هذه الليلة المباركة».

ونشر المجلس الثوري المصري تغريدة على حسابه يقول فيها: «في اليوم العالمي لحرية الصحافة، نذكر السنة الواحدة التي حكم فيها الرئيس الشهيد محمد مرسي كانت بقعة ضوء ومساحة نور لم تكتمل وسط عتمة امتدت 60 عاماً، لم يمنع مقالاً، ولا يرسل تحذيراً ولا تهديداً بل ألغى عقوبة الحبس في جرائم النشر. فمتى سينصفه الصحافيون المصريون الذين أخرسهم الجنرال؟».

وفي السياق ذاته غرد محمد الفقي: «بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة، سيكتب التاريخ أن أفضل أعوام الحريات الصحافية في مصر والعالم العربي هو عام المنتخبين.. عام الرئيس الشهيد مرسي».

وكتب الكويتي أحمد محمد الكندري: «رحم الله الرئيس الشهيد محمد مرسي، ولعنة الله على القتلة الغادرين.. اللهم انتقم من القتلة الغادرين وانزع ملكهم وأهلكهم وانتقم منهم».

وفند محمود جمال ادعاءات المسلسل، وقال: «ما تم في تموز/يوليو 2013 انقلاب عسكري مكتمل الأركان على رئيس مدني منتخب، المنفذون يعلمون حقيقة ما فعلوه، التاريخ سجل الحقائق بأعين من عاصروا وشاهدوا تلك الأحداث الدامية مهما حاولوا تزييف الأحداث، يحاولون أن يبرروا أفعالهم المشينة وسيظلون يبررون مهما مرت السنين».

أما الحقوقي هيثم أبو خليل فقال: «أفرجوا عن الرهائن في المعتقلات! ليه المحامي المحترم أسامة مرسي 36 عاما، ليسانس حقوق – جامعة الزقازيق، معتقل منذ 6 سنوات وتحديداً منذ 8 كانون الأول/ ديسمبر 2016 في سجن العقرب في زنزانة انفرادية، هل هي تهمة كونه نجل الرئيس المنتخب الدكتور محمد مرسي رحمة الله عليه؟».

وغردت سمر: «سنوات من الاعتقال ومنع الزيارة لنجل الرئيس محمد مرسي رحمه الله، 10 سنوات من الظلم والتهمة نجل أول رئيس مدني منتخب. الحرية لأسامة مرسي».

أما إبراهيم سويلم فغرد يقول: «من الواضح أن السيسي يعاني من أزمة.. أزمة كبيرة، أجبرته على أمرين، هو تبرئة نفسه من التآمر على مرسي رحمه الله وتهيئة مصر لوضع غير مستقر مالياً وأمنياً وسياسياً».

يشار إلى أن السيسي أكد أن كل كلمة في المسلسل صحيحة، وأضاف «كان الهدف أن نسجل بصدق وإخلاص وشرف في وقت لم يكن فيه شرف ولا حقيقة».

لكن تقريراً لجريدة «نيويورك تايمز» نقل عن معارضين مصريين قولهم إن «المسلسل بعيد عن الحقيقة، ويعيد كتابة التاريخ من خلال تملق الرئيس وشيطنة خصومه».

وأضافت الصحيفة إنه خلال ما يقرب من عقد من الزمان أنهى نظام السيسي تسامح مصر مع بعض الجدل السياسي وصولا إلى خنق كل المعارضة السياسية تقريباً.

ويروي الموسم الأول من «الاختيار» القصة الحقيقية لضابط من القوات الخاصة يقاتل مسلحا متشددا، أما الموسم الثاني فيتناول مكافحة الإرهاب، فيما يغطي الموسم الثالث الأحداث المحيطة بصعود السيسي إلى السلطة.

وفي نهاية كل حلقة من الجزء الثالث تم عرض مقطع فيديو مسجل (تسريب) لجماعة الإخوان المسلمين سجلته المخابرات المصرية على ما يبدو.

وأشارت «نيويورك تايمز» إلى أن المسلسل صور السيسي «بطلا» والإخوان المسلمين «أشرارا». كما يظهر السيسي باعتباره رجل عائلة متواضع وهادئ تحت الضغط، كما حرص المسلسل على إظهار الرئيس المصري أيضا «كرجل متدين».

49 صحافياً قتلوا في اليمن خلال سبع سنوات من الحرب

لندن – «القدس العربي»:

كشفت نقابة الصحافيين اليمنيين الأسبوع الماضي أن الحرب في اليمن أدت إلى مقتل 49 صحافيا ومصورا منذ بداياتها، وذلك بالتزامن مع دخولها العام الثامن.

وقالت النقابة في بيان لها، بمناسبة اليوم العالمي للصحافة، إنه «في الوقت الذي تثمن النقابة فيه نضالات الصحافيين اليمنيين وكفاحهم من أجل نيل حريتهم والدفاع عن الحريات العامة، لا تنسى تضحيات 49 شهيدا من الصحافيين والمصورين والعاملين في وسائل الإعلام الذين قدموا أرواحهم ثمنا للحقيقة، منذ بداية الحرب وحتى اليوم».

وعبرت النقابة عن غضبها وألمها الشديد إزاء إصرار جماعة أنصار الله «الحوثيين» على اعتقال أربعة صحافيين، وهم عبدالخالق عمران وتوفيق المنصوري وأكرم الوليدي وحارث حميد، وإصدارها حكما جائرا بإعدامهم بعد اختطافهم وإخفائهم وتعذيبهم منذ العام 2015 بحسب تعبيرها.

وأكدت نقابة الصحافيين أن الحوثيين يواجهون المطالب المحلية والدولية بـ«إطلاق سراح الصحافيين الأربعة بصلف وتعنت ورفض في آن واحد».

وتابعت النقابة: «في الوقت نفسه، لا يزال الصحافيان وحيد الصوفي ومحمد قايد المقري، مخفيين قسريا لدى جماعة الحوثي وتنظيم القاعدة في صنعاء حضرموت منذ العام 2015م في ظروف غامضة، ما يفاقم حالة القلق الشديد لمصيرهما».

وحسب النقابة اليمنية، فإن العاملين في وسائل الإعلام الحكومية في مناطق سيطرة الحوثيين يعيشون ظروفا اقتصادية غاية في السوء، جراء انقطاع مرتباتهم منذ العام 2016 الأمر الذي دفع بالكثير منهم إلى العمل في مهن قاسية لا تتناسب مع قدراتهم وإمكانياتهم.

وقالت: «الصحافيون اليمنيون يعيشون أزمات متعددة، وحالة شظف معيشية بالغة السوء، وظروفا قاسية من جوع وحرمان وقهر ومطاردة وإهمال وترهيب، بعد إغلاق عشرات الوسائل الإعلامية الأهلية والمعارضة، وفقدان مئات الصحافيين لأعمالهم، ومطاردة السلطات المختلفة والمتناحرة لأصحاب الرأي، وترويعهم، وتخلي مؤسسات الدولة عن مهامها في توفير سبل العيش الكريم، وحماية حقوق الصحافيين والموظفين والعاملين في مختلف مؤسسات الدولة».

ودعت في هذا الإطار، الحكومة المعترف بها دوليا إلى سرعة صرف رواتب العاملين في وسائل الإعلام الحكومية، وعدم ربط قضيتهم باتفاقات لا تنفذ، بينما المعاناة تكوي الزملاء الصحافيين في كل لحظة.

كما طالبت نقابة الصحافيين كافة الأطراف، وفي مقدمتها جماعة الحوثيين، إلى إيقاف سياسة العداء تجاه الصحافة والصحافيين وأصحاب الرأي، والقبول بالتعدد والتنوع وحرية الصحافة، باعتبارها خطوة ضرورية ومهمة تسهم في تحقيق السلام وتصويب الأخطاء.

مؤشر «مراسلون بلا حدود»: الحريات الصحافية في العالم العربي تتدهور

لندن – «القدس العربي»:

نشرت منظمة مراسلون بلا حدود، وتحت عنوان «عصر الاستقطاب الجديد» تصنيفها الجديد لحرية الصحافة في دول العالم، حيث أظهر المؤشر، دخول 12 دولة جديدة قائمة الدول التي تشهد أوضاع صحافة سيئة جداً.

واستند المؤشر في تصنيفه، على عوامل أبرزها: السياق السياسي لكل دولة، الإطار القانوني لعمل الصحافيين، السياق الاقتصادي، السياق الاجتماعي والثقافي، الأمان المتاح للصحافيين في عملهم، تحليل الأوضاع في الدول العربية.

ويقيم المؤشر حالة حرية الصحافة في 180 دولة ومنطقة سنوياً. وتعد منظمة مراسلون بلا حدود منظمة دولية غير ربحية وغير حكومية هدفها حماية الحق في حرية المعلومات، ويتم تقييم المؤشرات على أساس مسح كمي لانتهاكات وتجاوزات حرية الصحافة ضد الصحافيين ووسائل الإعلام، ودراسة نوعية تستند إلى ردود المئات من خبراء حرية الصحافة الذين اختارتهم «مراسلون بلا حدود» (صحافيون وأكاديميون ومدافعون عن حقوق الإنسان) على استبانة تشمل 123 سؤالا.

وضمن قائمة الدول العربية احتلت جزر القمر المرتبة الأولى عربياً (المركز83 عالمياً) وتونس ثانياً (المركز 94) وموريتانيا ثالثاً (المركز 97) وقطر رابعة (المركز 119) والأردن خامسة (المركز 120). بينما جاءت مصر (المركز 168) واليمن (المركز 169) والأراضي الفلسطينية (المركز 170) وسوريا (المركز 171) والعراق (المركز 172) في ذيل القائمة.

وتراجعت تونس 21 مرتبة لتحتل الترتيب الـ94 دوليا، وهو ما أثار القلق في أوساط الصحافيين.

كما لفتت المنظمة إلى أنّ الانقسام داخل المجتمعات الديمقراطية ازداد بشكل كبير مع توسع نموذج «فوكس نيوز» في الإعلام، وكذلك انتشار دوائر التضليل والأخبار الكاذبة التي تتضخم على وسائل التواصل الاجتماعي. لتشير بشكل أساسي كذلك إلى الحرب على أوكرانيا التي «مهّدت لها حرب بروباغندا» في إشارة إلى الدور التحريضي الذي لعبه الإعلام الروسي في التحريض على الحرب ضد كييف.

ودقّت المنظمة ناقوس الخطر مع تراجع الحريات بشكل أساسي في دول شمال أفريقيا، إذ جاء في تحليلها الخاص لأوضاع الحريات في المنطقة العربية: «لم يكن وضع الصحافة في منطقة شمال أفريقيا (باستثناء مصر) مقلقًا إلى هذا الحد أبدًا». وأشارت إلى أن الحريات الصحافية تدهورت بشكل مقلق في الجزائر (المرتبة 134) وبات سجن الصحافيين أمراً شائعاً. كذلك الأمر في المغرب (135) حيث يقبع 3 صحافيين في السجن «يتهم ملفقة» في إشارة إلى سجن كل من توفيق بوعشرين، وعمر الراضي، وسليمان الريسوني.

في شمال أفريقيا أيضاً، رأت المنظمة أن الأوضاع أقل إثارة للقلق في موريتانيا (97) حيث أتاح وجود فسحة ديمقراطية بين 2005 و2008 «إلغاء تجريم المخالفات الصحافية وتخفيف حدة الإطار القانوني القمعي».

أما في تونس، فرغم وجود هامش واسع من الحريات الصحافية منذ اعتماد دستور جديد في عام 2014 «ظهرت مخاوف جدية منذ الانقلاب الذي قام به الرئيس قيس سعيد في 25 تموز/يوليو 2021».

أما بقية الدول العربية فلا يبدو الوضع فيها أكثر إشراقاً، خصوصاً في لبنان (130) «المهدد بالغرق في دوامة العنف، حيث تتزايد الهجمات عبر الإنترنت والتهديدات بالقتل ضد الصحافيين. وفي مواجهة تقاعس السلطات، اضطر العديد منهم للفرار إلى الخارج». وفي تأكيد على تحليلها هذا، أشارت المنظمة إلى قتل الصحافي والباحث لقمان سليم العام الماضي.

وحول الوضع في اليمن (169) تحدّث التقرير الجديد عن جحيم الصحافيين في عدن «حيث لقي 3 منهم حتفهم متأثرين بجراحهم في تفجيرات وقعت أثناء تغطيتهم الصحافية، ونجا آخر هو محمود العتمي من محاولة اغتيال بسيارة مفخخة، لكن زوجته الصحافية رشا عبد الله الحرازي قتلت».

وفي إشارة إلى ممارسات الاحتلال الإسرائيلي ضد الفلسطينيين، قالت المنظمة إن الصحافيين دفعوا ثمناً باهظاً سواء خلال اعتداءات الاحتلال في القدس المحتلة عام 2021 أو خلال «العدوان العسكري الإسرائيلي على قطاع غزة (170) حيث قتل صحافيان في قصف».

أما السعودية (166) فلا تزال حسب المنظمة، جنباً إلى جنب مع مصر (168) من أسوأ السجون في العالم بالنسبة للصحافيين.

ورأت المنظمة أن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا (الدول العربية ومعها تركيا وإيران) تعتبر من بين الأسوأ، حيث يتراوح تصنيف الدول فيها بين الـ«سيئ جداً» (52.63 في المئة من الدول) والـ«سيئ» (36.84 في المئة) والـ«إشكالي» (10.53 في المئة).

مقتل 711 صحافياً في سوريا منذ 2011

لندن – «القدس العربي»:

وثقت الشبكة السورية لحقوق الإنسان مقتل 711 شخصاً من الصحافيين أو العاملين في مجال الإعلام منذ بدء الثورة في آذار/مارس من العام 2011. إلا أنها قالت في تقريرها السنوي إن هؤلاء القتلى لا يتحمل النظام وحده مقتلهم جميعاً وإن كان يقف وراء أغلب الجرائم.

وجاء في التقرير الذي أصدرته الشبكة في اليوم العالمي لحرية الصحافة إنها وثقت مقتل 711 من الصحافيين والعاملين في مجال الإعلام منذ 2011 على يد أطراف النزاع والقوى المسيطرة في سوريا، بينهم 52 بسبب التعذيب. وأشارت إلى أن الانتهاكات بحق المواطنين الصحافيين وحرية الرأي والتعبير لا تزال مستمرة منذ اندلاع الحراك الشعبي في سوريا قبل نحو 11 عاماً.

وقال التقرير إن سوريا من أسوأ دول العالم في حرية الصحافة والرأي والتعبير، مشيراً إلى أنها «في حقبة حكم حافظ الأسد وابنه بشار الأسد لم تشهد يوماً حرية في العمل الصحافي والإعلامي، وذلك منذ استيلاء حزب البعث على السلطة في مارس عام 1963 والذي حظر جميع الصحف المستقلة، وأبقى فقط على تلك الناطقة باسمه».

ووفقاً للتقرير، لم تقتصر الانتهاكات بحق الصحافيين والعاملين في القطاع الإعلامي على النظام السوري رغم أنه المرتكب الرئيسي لها، لكنّها امتدت لتشمل أطراف النزاع والقوى المسيطرة كلها، «وبوجه عام، مارست كلها سياسة تكميم الأفواه، وأصبحت سوريا نتيجة أحد عشر عاماً من هذه الانتهاكات المتراكمة والمركبة من أسوأ دول العالم في حرية الصحافة، وفي حرية الرأي والتعبير».

ومنذ آذار/مارس 2011 حتى أيار/ مايو الحالي، وثقت الشبكة مقتل 711 من الصحافيين والعاملين في مجال الإعلام، بينهم 7 أطفال، و6 نساء، و9 أجانب. وقتل 52 منهم بسبب التّعذيب، وأصيب ما لا يقل عن 1563 بجراح متفاوتة.

وحمّل التقرير النظام السوري المسؤولية عن مقتل 552 بينهم 5 أطفال وامرأة و5 أجانب، و47 بسبب التعذيب داخل مراكز الاحتجاز. وقتل 24 من العاملين في المجال الإعلامي على يد القوات الروسية، هذا يعني أنّ النظام السوري وحليفه الروسي مسؤولان عن نحو 82 في المئة من حصيلة الضحايا من الصحافيين والعاملين في مجال الإعلام، كما يتحمل النظام مسؤولية نحو 91 في المئة من حصيلة الضحايا بسبب التعذيب داخل مراكز الاحتجاز الرسمية وغير الرسمية التابعة له. ووفقاً للتقرير، قتل تنظيم داعش 64 من العاملين في الصحافة والإعلام، فيما قتل 8 بينهم 2 بسبب التعذيب على يد هيئة تحرير الشام. وقتل 25 على يد جميع فصائل المعارضة المسلحة. وقتلت قوات سوريا الديمقراطية 4 من الصحافيين والعاملين في مجال الإعلام، فيما قتلت قوات التّحالف الدولي شخصاً واحداً. وأشار التقرير إلى أنّ 33 بينهم صحافي أجنبي، قتلوا على يد جهات أخرى.

وسجل التقرير ما لا يقل عن 1250 حالة اعتقال وخطف بحق صحافيين وعاملين في مجال الإعلام على يد أطراف النزاع والقوى المسيطرة في سوريا، خلال الفترة نفسها. ولا يزال ما لا يقل عن 443 منهم قيد الاعتقال أو الاختفاء القسري. ووفقاً للتقرير، فإن 368 منهم لا يزالون قيد الاعتقال أو الاختفاء القسري على يد قوات النظام السوري.

وقال مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان، فضل عبد الغني، في التقرير، إن «النظام يحكم سوريا بقبضة من حديد، إذ حظر كافة الأحزاب السياسية، وحظر معها إنشاء وسائل إعلام معارضة أو حتى مستقلة، ولن تكون هناك حرية صحافة ورأي وتعبير طالما بقيت الديكتاتورية والاستبداد، كما أنّ المناطق الخارجة عن سيطرة النظام لم تعط أيّ نموذج ديمقراطي يحترم الصحافة والرأي والتعبير».

وأوصى التقرير، مجلس الأمن الدولي والمجتمع الدولي، ببذل جهود واضحة في إنهاء حالة النزاع في سوريا، عبر عملية سياسية تنقل البلاد من دولة شمولية إلى دولة ديمقراطية تحترم حرية الصحافة والرأي والتعبير، كما طالبه بالتنديد بالانتهاكات الممارسة من قبل أطراف النزاع بحق الصحافيين، ودعم المؤسسات الصحافية العاملة على الأراضي السورية من أجل استمرار عملها في نقل الوقائع والأحداث.

وطالب، أطراف النزاع كافة، بالإفراج الفوري عن الصحافيين والعاملين في مجال الإعلام المعتقلين تعسفياً، وكشف مصير المختفين قسرياً، وإبطال جميع «القوانين الأمنية» التي تقمع بشكل رهيب حرية الرأي والتعبير، وتحديداً تلك الصادرة عن النظام.

يذكر أن سوريا احتلت المرتبة 171 من أصل 180 بلداً في مؤشر مؤسسة مراسلون بلا حدود لتصنيف حرية الصحافة لعام 2022.

علوم وتكنولوجيا

الحياة البحرية في العالم مهددة بالانقراض وهذه هي الأسباب

لندن – «القدس العربي»:

كشفت دراسة جديدة أن انبعاثات غازات الاحتباس الحراري يمكن أن تؤدي إلى انقراض جماعي للحياة البحرية إلى مستويات لم نشهدها منذ ما قبل الديناصورات.

ووضع الباحثون في نيوجيرسي بالولايات المتحدة نماذج لمخاطر الانقراض المستقبلية للحياة البحرية في جميع محيطات العالم، في ظل سيناريوهات مناخية مختلفة متوقعة.

وإذا لم يتم كبح الانبعاثات، فإن فقدان الأنواع البحرية بسبب الاحتباس الحراري ونضوب الأكسجين يمكن أن يعكس «الموت العظيم» وهو أخطر حدث انقراض على الأرض، بحلول عام 2100 تقريبا، كما يقولون.

وشهد الموت العظيم، المعروف باسم الانقراض الأكثر دموية على الأرض، خسارة 95 في المئة من جميع الأنواع البحرية عندما حدث قبل حوالي 250 مليون سنة.

ويمكن أن تتطابق أيضا مع أحداث الانقراض الكبيرة الأخرى في تاريخ الأرض، بما في ذلك الانقراض الجماعي في نهاية العصر الطباشيري الذي قتل الديناصورات قبل 66 مليون سنة.

ووفقا للباحثين، ستواجه المياه الاستوائية أكبر خسارة في التنوع البيولوجي، بينما تكون الأنواع القطبية أكثر عرضة لخطر الانقراض.

وفي ملاحظة أكثر إيجابية، يقول الخبراء إن عكس انبعاثات غازات الاحتباس الحراري يمكن أن يقلل من خطر الانقراض بأكثر من 70 في المئة.

وقال المعد الأول جاستن بن، في قسم علوم الأرض بجامعة برينستون: «الجانب المشرق هو أن المستقبل ليس مكتوبا على الحجر. حجم الانقراض الذي اكتشفناه يعتمد بشدة على كمية ثاني أكسيد الكربون (CO_2) التي نطلقها للمضي قدما. ولا يزال هناك وقت كاف لتغيير مسار انبعاثات ثاني أكسيد الكربون ومنع حجم الاحترار الذي قد يتسبب في هذا الانقراض الجماعي».

ويمثل الموت العظيم فترة لم تكن فيها الحياة على الأرض قريبة جدا من الانقراض تماما دون التعافي، سواء قبل ذلك أو بعده.

وعندما يذوب ثاني أكسيد الكربون في المحيطات، تصبح حمضية للغاية وينخفض مستوى الأكسجين في الماء، ما يؤدي إلى مقتل الحياة البحرية.

وناقش العلماء منذ فترة طويلة نظريات سبب الانقراض بدءا من تأثير النيزك إلى البراكين، والتي يمكن أن تسببت في تغيرات مناخية وبيئية تجعل الأرض غير صالحة للعيش.

ولكن في حالة حدوث الانقراض الجماعي التالي، فإن التاريخ سيلقي اللوم بشكل مباشر على انبعاثات غازات الاحتباس الحراري الناتجة عن النشاط البشري.

وبالنسبة للدراسة، قام بن والمعد المشارك كورتيس دويتش، الموجود أيضا في برينستون، بدمج البيانات الموجودة حول الأنواع البحرية مع نماذج لتغير المناخ للتنبؤ بكيفية تأثير التغيرات في ظروف الموائل على بقائها. وقارن الخبراء نموذجهم بحجم «الخمسة الكبار» وهي خمسة انقراضات جماعية تاريخية تم تسجيلها في سجل الحفريات، ومن بينها «الموت العظيم».

ويقول الباحثون إنه في ظل ارتفاع درجات الحرارة العالمية «كالمعتاد» فمن المحتمل أن تتعرض الحياة البحرية لانقراض جماعي يحتمل أن ينافس حجم وشدة الموت العظيم.

ونظرا لأن الموت العظيم هو حدث الانقراض الأكثر دموية على الأرض، فمن المحتمل أن يتجاوز الانقراض البحري المقبل الأنواع الأربعة الأخرى.

ومن بين الأحداث، وجدوا نمطا شائعا – مع ارتفاع درجة حرارة المحيط وانخفاض توافر الأكسجين، هناك انخفاض واضح في وفرة الحياة البحرية.

وتعد درجة حرارة الماء وتوافر الأكسجين عاملين رئيسيين سيتغيران مع ارتفاع درجة حرارة المناخ بسبب النشاط البشري. والماء الدافئ ليس فقط عامل خطر للأنواع التي تتكيف مع المناخات الباردة؛ كما أنه يحتوي على كمية أقل من الأكسجين مقارنة بالمياه الباردة، ما يؤدي إلى تباطؤ دوران المحيط بشكل أكبر مما يقلل من إمداد الأكسجين في العمق.

ومن المفارقات أن معدلات التمثيل الغذائي للأنواع تزداد مع ارتفاع درجة حرارة الماء، وبالتالي يرتفع الطلب على الأكسجين مع انخفاض العرض.

وقال بن: «بمجرد أن يقل إمداد الأكسجين عما تحتاجه الأنواع، نتوقع أن نشهد خسائر كبيرة في الأنواع».

ويقول الخبراء إن الحيوانات البحرية لديها آليات فسيولوجية تسمح لها بالتكيف مع التغيرات البيئية، ولكن إلى حد معين فقط.

ووجد الباحثون أن الأنواع القطبية أكثر عرضة للانقراض على مستوى العالم إذا حدث ارتفاع درجة حرارة المناخ لأنه لن يكون لديها موائل مناسبة للانتقال إليها.

ومن المحتمل أن تكون الأنواع البحرية الاستوائية أفضل حالا لأنها تتمتع بسمات تسمح لها بالتعامل مع المياه الدافئة منخفضة الأكسجين في المناطق المدارية.

ولتحديد الأهمية النسبية للمناخ في حدوث حالات الانقراض، قارن الفريق أيضا مخاطر الانقراض المستقبلية من ارتفاع درجة حرارة المناخ ببيانات من الاتحاد الدولي للحفاظ على الطبيعة «IUCN» حول التهديدات الحالية لمختلف الحيوانات البحرية.

ووجدوا أن تغير المناخ يؤثر حاليا على 45 في المئة من الأنواع البحرية المعرضة لخطر الانقراض، ولكنه لا يمثل سوى خامس أهم عامل ضغوط بعد الصيد الجائر والنقل والتنمية الحضرية والتلوث.

ومع ذلك، قال بن إن تغير المناخ يمكن أن يتغلب قريبا على كل هذه الضغوطات في الأهمية.

وقال إن «الاحترار الشديد سيؤدي إلى انقراضات ناجمة عن المناخ، والتي ستنافس، قرب نهاية القرن، جميع الضغوطات البشرية الحالية مجتمعة».

تطبيق هاتفي يكشف مرض «الزهايمر» ويوفر فحوصات باهظة الثمن

لندن – «القدس العربي»:

تمكن علماء من تطوير تطبيق هاتفي بالغ الذكاء يُمكنه اكتشاف العديد من الأمراض بما فيها الكشف مبكراً عن مرض «الزهايمر» الذي عادة ما يصيب كبار السن، أما كيفية اكتشاف الأمراض فيتم من خلال أخذ صورة «سيلفي» للعين.

وحسب تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية، واطلعت عليه «القدس العربي» فإن «التطبيق يمكنه اكتشاف علامات مرض الزهايمر وحالات عصبية أخرى بالاعتماد على صورة ذاتية للعين».

ويتتبع التطبيق التغيرات في حجم بؤبؤ العين، والتي يقول باحثون من جامعة كاليفورنيا في سان دييغو إنها يمكن استخدامها لتقييم الحالة الإدراكية للشخص.

وقال كولين باري، المؤلف الأول للدراسة: «بينما لا يزال هناك الكثير من العمل الذي يتعين القيام به، فإنني متحمس لإمكانية استخدام هذه التكنولوجيا لإخراج الفحص العصبي من إعدادات المختبرات السريرية إلى المنازل».

ونأمل أن يفتح هذا الباب لاستكشافات جديدة لاستخدام الهواتف الذكية لاكتشاف ورصد المشاكل الصحية المحتملة في وقت مبكر، حسب ما يقول باري.

وحسب الصحيفة البريطانية فإن التطبيق يقوم باستكشاف الدائرة السوداء في وسط العين والتي تعمل على السماح بدخول الضوء وتركيز شبكية العين حتى تتمكن من الرؤية.

وأظهرت الأبحاث السابقة أن حجم بؤبؤ العين يمكن أن يوفر معلومات حول الوظائف العصبية للشخص.

ويقول العلماء إنه على سبيل المثال يزداد حجم الدائرة السوداء في العين عندما يؤدي الشخص مهمة معرفية صعبة، أو يسمع صوتا غير متوقع، ولقياس حجم بؤبؤ العين، يقوم مقدمو الرعاية الصحية حالياً بإجراء ما يُعرف باختبار «استجابة التلميذ». ويتطلب هذا الاختبار معدات متخصصة وباهظة الثمن ولا يمكن إجراؤها إلا في المختبر أو في العيادة.

وفي دراستهم الجديدة، شرع الفريق البحثي في تطوير حل يسهل الوصول إليه وبأسعار معقولة.

وقال البروفيسور إريك غرانهولم، وهو أستاذ الطب النفسي في كلية الطب في جامعة كاليفورنيا في سان دييغو «إن أداة تقييم الهواتف الذكية القابلة للتطوير والتي يمكن استخدامها لإجراء فحوصات مجتمعية واسعة النطاق يمكن أن تسهل تطوير اختبارات استجابة التلميذ كاختبارات قليلة التوغل وغير مكلفة للمساعدة في اكتشاف وفهم أمراض مثل مرض الزهايمر».

ويستخدم التطبيق كاميرا الأشعة تحت الحمراء القريبة من الهاتف الذكي لاكتشاف حدقة العين وحساب حجمها بدقة أقل من الملليمتر.

وتحتوي معظم الهواتف الذكية الآن على كاميرا تعمل بالأشعة تحت الحمراء مدمجة للتعرف على الوجه، بما في ذلك هواتف آيفون والاصدارات الحديثة من هواتف «سامسونغ غالاكسي».

وفي الوقت نفسه، تُستخدم كاميرا الصور الشخصية للهاتف الذكي لالتقاط صورة ملونة، والتقاط المسافة بين الهاتف الذكي والمستخدم.

ويسمح هذا للتطبيق بتحويل حجم الدائرة السوداء في العين من صورة الأشعة تحت الحمراء القريبة إلى وحدات ملليمتر.

وأثناء الاختبار، وجد الباحثون أن قياسات التطبيق كانت قابلة للمقارنة مع تلك التي تم أخذها بواسطة مقياس الحدقة، حيث يُعتبر الجهاز المعيار الذهبي لقياس حجم الدائرة السوداء في العين.

وعمل الفريق أيضًا مع كبار السن للتأكد من أن تطبيق الهاتف الذكي سهل الاستخدام.

وتشمل الميزات الرئيسية الأوامر الصوتية والتعليمات القائمة على الصور ونطاق بلاستيكي رخيص لتوجيه المستخدم إلى الموضع الصحيح.

وقال البروفيسور إدوارد وانغ: «من خلال الاختبار المباشر مع كبار السن، تعلمنا طرقًا لتحسين قابلية استخدام نظامنا بشكل عام، بل وساعدنا في ابتكار حلول مخصصة لكبار السن تجعل من السهل على من لديهم حدود جسدية مختلفة الاستمرار في استخدام نظامنا بنجاح».

وأضاف وانغ، وهو أحد أعضاء الفريق البحثي: «عند تطوير التقنيات، يجب أن ننظر إلى ما هو أبعد من الوظيفة كمقياس وحيد للنجاح، لكن يجب أن نفهم كيف سيتم استخدام حلولنا من قبل المستخدمين النهائيين المتنوعين للغاية».

ويخطط الفريق الآن لاختبار التطبيق مع كبار السن الذين يعانون من ضعف إدراكي خفيف لمعرفة مدى فعاليته في فحص مرض الزهايمر في مراحله المبكرة.

«روبوت» خارق لديه حركات الإنسان ومشاعره وردود أفعاله

لندن – «القدس العربي»:

طور علماء يابانيون إنساناً آلياً «روبوت» خارقاً لديه العديد من القدرات والحركات المشابهة للإنسان، لكن أهم ما فيه أن لديه ردود أفعال مشابهة للإنسان العادي وأعصاب ومشاعر وغير ذلك، وهو مخصص للاستخدامات الطبية.

وقال تقرير لجريدة «دايلي ميل» إن الروبوت الجديد عبارة عن طفل آلي واقعي، حيث يأمل العلماء أن يسهل على أطباء الأسنان التعامل مع مرضى الأعصاب.

ويمكن للروبوت، المسمى «Pedia_Roid» تحريك ذراعيه وساقيه وعينيه لتقليد العديد من المشاعر البشرية، بما في ذلك القلق والخوف والمقاومة.

ويكلف الروبوت الجديد نحو 153 ألف جنيه إسترليني. وقال يوي كاواكوبو، الرئيس التنفيذي لشركة «Tmsuk» التي تقف وراء الروبوت إن «بيديا رويد» لا تظهر عليه الأعراض فحسب، بل تؤدي أيضا إلى نوبة غضب، ما يجبر الطلاب على كبح جماحهم أثناء محاولتهم علاج الطفل.

ويزن الروبوت 50 رطلا، ما يجعله في نفس حجم طفل يبلغ من العمر خمس أو ست سنوات. ويمكنه تحريك رأسه وفمه ولسانه وجفنيه وعينيه وبؤبؤ عينيه وذراعيه ورجليه وصدره وحتى النبض. وتشمل حركات فمه الفتح والإغلاق والعطس والسعال وحتى القيء.

وقالت شركة «Tmsuk» على موقعها على الإنترنت: «يتميز هذا الروبوت بالتعرف على الصوت، ويمكنه فتح فمه وفقا لتعليمات الطبيب، وتغيير اتجاه وجهه، وتنفيذ إجراءات مثل الحركات غير المتوقعة والسعال».

ويمكنه أيضا إعادة إنتاج الإجراءات المعقدة بشكل واقعي، مثل إغلاق الفك وردود الفعل والقيء.

وتشمل حركات الجسم التواء وتشنجات ورفرفة في الذراعين والساقين، بالإضافة إلى إجهاد الجسم بالكامل.

وفيما يتعلق بوظائف الوجه والرأس، يمكن للروبوت أن يتغير في لون الوجه (على سبيل المثال إلى أحمر الخدود أو الشحوب) ويدحرج عينيه إلى الخلف في رأسه. وفي الوقت نفسه، يمتلك الروبوت أيضا نبضا، ويمكن أن يجمع دما مزيفا عن طريق الوريد من مؤخرة يده.

وقال كاواكوبو: «جمعنا خبراتنا في مجال الروبوتات لابتكار جسم بشري يصاب فجأة بالمرض أو يعرض تغيرات جذرية في الأعراض، حتى يتمكن المتدربون الطبيون من تجربة لحظات متوترة وتعلم كيفية إنقاذ الأرواح تحت ضغط هائل».

«فيسبوك» تقتحم «الواقع الافتراضي» بنظارات جديدة قريباً تنقل الناس إلى عالم آخر

لندن – «القدس العربي»:

تعتزم شركة «ميتا» المالكة لشبكة التواصل الاجتماعي الأشهر والأوسع انتشاراً في العالم «فيسبوك» دخول عالم «الواقع الافتراضي» عبر تطوير نظارة ذكية تنقل صاحبها إلى عالم آخر، على أنها من المفترض أن ترى النور بحلول العام 2024.

وتعتزم الشركة إطلاق أربع نظارات للاستخدام في «الواقع الافتراضي» من بينها واحدة تكلف 800 دولار على الأقل، حسب ما نقل تقرير نشرته جريدة «دايلي ميل» البريطانية واطلعت عليه «القدس العربي».

وتقول المعلومات إن مارك زوكربيرغ مالك شركة «ميتا» ومؤسس شبكة «فيسبوك» هو الذي يدفع باتجاه إبتكار هذه النظارات وهو المتحمس لدخول العالم الافتراضي.

أما النظارات الأربع، فالأولى ستحمل الاسم «Project Cambria»، وسوف تكون عبارة عن سماعة رأس للواقع الافتراضي والواقع المختلط متطورة، وسيتم إطلاقها في شهر أيلول/سبتمبر المقبل وبسعر تقديري لا يقل عن 799 دولاراً، وذلك بعد تأخيرها بسبب أزمة سلاسل التوريد وغيرها من القضايا ذات الصلة بوباء كورونا.

ومن المقرر إصدار نسخة ثانية من نظارة «كامبريا» وتحمل الاسم «Funston» على أن هذه النسخة سترى النور في العام 2024.

وفي الوقت نفسه، تخطط شركة «ميتا» أيضاً لإصدار نسختين جديدتين من سماعات الرأس «كويست» الأقل تكلفة، والتي تحمل رمزاً داخلياً هو «Stinson and Cardiff» وذلك في عامي 2023 و2024 حسب ما نقل تقرير «دايلي ميل».

ويُظهر الجدول الزمني الطموح أن «ميتا» تأمل في تعزيز ريادتها المبكرة في سوق الواقع الافتراضي، والتي تأسست من خلال ملكيتها لشركة «Oculus» المصنعة لسماعات الرأس، والتي تحمل أجهزتها الآن علامة «كويست» التجارية.

ويأمل زوكربيرغ أن يؤدي انتشار هذه الأجهزة إلى قبول أوسع للواقع الافتراضي، ويساعد في دفع رؤيته إلى المستقبل والتي تقوم على قاعدة «عالم افتراضي غامر يعمل فيه الناس ويتواصلون ويلعبون».

وتشير خريطة الطريق الداخلية إلى أن خطة «ميتا» هي إطلاق سماعة رأس للواقع الافتراضي متطورة تليها واحدة منخفضة التكلفة في سنوات متناوبة.

وبينما يتم بيع «كويست 2» بسعر 299 جنيهاً إسترلينياً للإصدار 128 غيغابايت و399 جنيهاً إسترلينياً للإصدار 256 غيغابايت، فمن المتوقع أن تكلف «كامبريا» حوالي 799 جنيهاً إسترلينياً. وقال متحدث باسم «ميتا» إن السعر سيكون أعلى بكثير من هذه المستويات، لكنه لم يكشف عنه أو يحدده بدقة.

وقال زوكربيرغ مؤخراً إن «كامبريا ستركز أكثر على حالات استخدام العمل وفي النهاية استبدال الكمبيوتر المحمول أو إعداد العمل» كما ستتمتع بجودة صورة عالية الدقة لقراءة النص، مع فكرة أنه يمكن للأشخاص استخدامها لإرسال رسائل بريد إلكتروني أو تعليمات برمجية.

وستحتوي سماعة الرأس على كاميرات موجهة للخارج، لذا ستكون قادرة على إظهار عرض عالي الدقة لمحيط المستخدمين الواقعي من خلال شاشات سماعات الرأس.

وهذا يعني أنه بالإضافة إلى الواقع الافتراضي الكامل، سيسمح بالتطبيقات التي تمزج المحتوى المادي والرقمي بطريقة مشابهة للواقع المعزز.

وستكون المستشعرات الإضافية المضمنة في «كامبريا» قادرة على متابعة عيون المستخدمين وتعبيرات الوجه، والتي يمكن أن تعكسها صورهم الرمزية في تطبيقات مختلفة.

وستكون «كامبريا» أثقل من «كويست 2» لأنها تحتوي على بطارية أكبر، وفقاً لما نقلت «دايلي ميل» عن مصدر مطلع على الجهاز.

وفي الوقت نفسه، من المقرر أيضاً إطلاق نظارات الواقع المعزز التي طال انتظارها من شركة «ميتا» والتي تحمل الاسم الرمزي «Project Nazare» في عام 2024 مع إصدار أكثر تقدماً في عام 2026. وستكون إحدى الميزات الرئيسية لهذه النظارات هي القدرة على التواصل والتفاعل مع الصور المجسمة لأشخاص آخرين من خلال النظارات، والتي يعتقد زوكربيرغ أنها ستوفر للناس، بمرور الوقت، تجربة غامرة أكثر من مكالمات الفيديو.

ولن تحتاج النظارات إلى الاقتران بهاتف «آيفون» أو «أندرويد» للعمل، مما يسمح لشركة «ميتا» بالخروج من تحت سيطرة شركتي «أبل» و«غوغل» واللتان تمليان معاً الشروط التي يجب على تطبيقات مثل «فيسبوك» الالتزام بها على الهواتف المحمولة.

ويسود الاعتقاد بأن «ميتا» تريد إطلاق عدة أجيال من نظارات الواقع المعزز، مع طرح النموذج الأول في عام 2024 ويليه تصميم أخف وزنا وأكثر تقدماً لعام 2026 وإصدار ثالث في عام 2028 بحسب تقرير «دايلي ميل».

اقتصاد

ليبيا: توقف إنتاج النفط يهلك اقتصاد الدولة الريعي وسط نزاع على السلطة وانقسام سياسي وجغرافي

طرابلس ـ «القدس العربي»: نسرين سليمان

أزمة اقتصادية جدية تقبل عليها ليبيا، البلد الريعي الذي لا يعتمد في دخله إلا على النفط كمصدر وحيد لتغذية ميزانياته وخزينته العامة، وفي ظل الانقسام والمشاكل السياسية والأمنية التي تمر بها البلاد ظل النفط رهينة لطرف سياسي محدد، واستخدمه كورقة سياسية للابتزاز وتنفيذ المطالب.

فعلى مدار أيام متوالية أعلنت مؤسسة النفط الليبية عن سلسلة من الإغلاقات التي استهدفت كافة موانئ النفط وتسببت في إيقاف التصدير، فضلا عن إقفالات شملت أهم وأبرز حقول النفط في ليبيا جنوبا وشرقا.

ملامح التصعيد

بدأت ملامح هذا التصعيد بإعلان مجموعة من أهالي الجنوب الليبي إيقاف إنتاج وتصدير النفط من حقل الشرارة النفطي أكبر الحقول النفطية في البلاد، مشترطة خروج حكومة الوحدة الوطنية من المشهد لاستثناف العمل بالحقل وذلك عقب يومين من قيام رئيس المؤسسة الوطنية للنفط بإحالة 8 مليارات دولار أمريكي من الإيرادات النفطية لحسابات الحكومة بمصرف ليبيا المركزي بعد تجميدها منذ مطلع العام.

تلا هذا إعلان آخر من أهالي بلدية الزويتينة–سلطان، شرقي ليبيا إيقاف إنتاج وتصدير النفط بميناء الزويتينة النفطي بدءا من السبت إلى حين تسليم حكومة الوحدة الوطنية زمام السلطة للحكومة الليبية برئاسة فتحي باشاغا متهمين «حكومة عائلة الدبيبة» بتشكيل سلطة مركزية في طرابلس والتحكم في تصدير النفط والغاز.

وعقب ذلك أعلنت المؤسسة الوطنية للنفط، حالة القوة القاهرة في حقل الفيل النفطي بسبب توقف الإنتاج بالكامل الأحد، الأمر الذي جعل من تنفيذ المؤسسة التزاماتها التعاقدية أمرًا مستحيلًا.

وقالت مؤسسة النفط، في بيان، إن الحقل تعرض السبت في الساعة 18:30 إلى محاولات الإغلاق التعسفي، بسبب دخول مجموعة من الأفراد ومنع المستخدمين من الاستمرار في الإنتاج وأشارت المؤسسة إلى أسفها عن الاضطرار لإعلان حالة القوة القاهرة على خام مليتة إلى حين إشعار آخر.

فيما دعت وزارة النفط والغاز إلى عدم الاستجابة لأي طرف سياسي للزج بقطاع النفط في أتون المعركة السياسية لتحقيق مكاسب سياسية على حساب خصومه السياسيين وذلك بعد ساعات قليلة من إعلان حالة القوة القاهرة في حقل الفيل النفطي بسبب توقف الإنتاج بالكامل.

تلا ذلك إعلان المؤسسة الوطنية للنفط، في بيان، حالة القوة القاهرة في ميناء البريقة النفطي؛ لاستحالة تنفيذ التزاماتها وتعهداتها تجاه السوق النفطية.

وحذر بيان المؤسسة من أن هذه الإقفالات سيكون لها بالغ الضرر على الآبار والمكامن والمعدات السطحية لقطاع النفط إضافة إلى فقدان خزينة الدولة لفرص بيعية محققة بأسعار قد لا تتكرر لعقود مقبلة.

وقال وزير النفط والغاز في حكومة الوحدة الوطنية محمد عون إن إغلاقات المنشآت النفطية تسببت في انخفاض معدل إنتاج النفط في البلاد بنحو 600 ألف برميل خام يوميًا، وباحتساب السعر بمتوسط 100 دولار للبرميل، فإن ليبيا تخسر فرصًا بيعية تقدر بـ60 مليون دولار يوميًا.

وتابع عون في تصريحات إلى قناة فرانس 24 «لا نستطيع المساعدة في أزمة الطاقة الأوروبية بسبب حرب أوكرانيا، فالدولة الليبية ليس في إمكانها الآن المساهمة بإنتاج أي كمية إضافية سواء من النفط الخام أو الغاز، وليس لدينا أي احتياطي لنضخه إلى السوق العالمية، ولن نتمكن من ذلك قبل خمس أو ست سنوات على الأقل».

وفي 19 نيسان/أبريل الماضي، أصدر عون قرارًا بتشكيل لجنة تتولى التواصل مع الجهات المتسببة في الإقفالات بالمواقع النفطية، ومناقشتها ومحاورتها بغية إيجاد حلول سريعة لإعادة فتح النفط من جديد دون أي شروط.

إلا أن عون وفي وقت سابق القى باللوم على خليفة حفتر، بشأن عمليات الإغلاق الأخيرة التي تعرض لها عدد من المنشآت والحقول النفطية في شرق وجنوب ليبيا، ما أدى إلى خفض إنتاج البلاد النفطي إلى النصف تقريبًا.

جاء ذلك في لقاء مع «فايننشيال تايمز» قالت فيه أن وزير النفط والغاز بحكومة الوحدة الوطنية، محمد عون، «ألقى باللوم على القوات المتحالفة مع رجل قوي مؤثر في موجة إغلاق لحقول نفط ومحطات تصدير أدت إلى خفض إنتاج البلاد النفطي إلى النصف تقريبًا» في إشارة إلى حفتر.

وأشارت الصحيفة إلى أن ليبيا تنتج 1.3 مليون برميل يوميًا، وأدى الإغلاق الأخير إلى توقف أكثر من 550 ألف برميل يوميًا من إنتاجها هذا الأسبوع، أي ما يعادل 0.5 في المئة من إمدادات النفط العالمية.

اتهامات لواشنطن

فيما قال موقع «أفريكا أنتليجنس» إن واشنطن لعبت دورا مركزيا في المأزق الذي أدى إلى إغلاق حقلي الشرارة والفيل في 17 نيسان/أبريل، ما أدى إلى خفض إنتاج ليبيا اليومي من النفط بنحو النصف.

وتابع الموقع الاستخباراتي أن الولايات المتحدة– وبهدف تعزيز إنتاج النفط الليبي كوسيلة للحد من اعتماد أوروبا على الخام الروسي– تعمل من عدة أسابيع بوتيرة سريعة على آلية لعدم تسييس إدارة عائدات النفط الليبية التي تديرها المؤسسة الوطنية للنفط.

وأوضح «أفريكا أنتليجنس» أن الآلية التي كان من المقرر أن تديرها المؤسسة الوطنية للنفط ومصرف ليبيا المركزي وممثل عن السلطات في شرق ليبيا، تهدف إلى تمكين رئيس المؤسسة مصطفى صنع الله من تمويل صيانة المنشآت النفطية مع منع رئيس حكومة الوحدة الوطنية عبد الحميد الدبيبة من استغلال عائدات النفط كوسيلة للاحتفاظ بمنصبه.

وتحدث الموقع الفرنسي عن أن الآلية التي عملت عليها الولايات المتحدة كانت ستسمح للدبيبة بتلقي الأموال فقط لدفع رواتب موظفي الدولة وتمويل الإعانات الحكومية للسلع الأساسية وفق قوله، موضحا أن السفير الأمريكي ريتشارد نورلاند الذي أراد التحرك بسرعة لم ينتظر حتى يتم تشغيل الآلية رسميا.

إلا ان الولايات المتحدة الأمريكية استذكرت هذه الأزمة بعد عشرة أيام في بيان عبرت فيه عن قلقها العميق من استمرار إغلاق النفط، داعية القادة الليبيين المسؤولين إلى إنهاء الأمر على الفور، وإدراك أن الإغلاق يضر بالليبيين في جميع أنحاء البلاد وله تداعيات على الاقتصاد العالمي.

وأوضحت واشنطن انه يجب على القادة الليبيين المسؤولين أن يدركوا أنّ الإغلاق يضر بالليبيين في جميع أنحاء البلاد وله تداعيات على الاقتصاد العالمي، ويجب عليهم إنهاء إغلاق النفط على الفور، حسب ما جاء على صفحة السفارة الأمريكية لدى ليبيا.

وتابعت السفارة أن الإغلاق يحرم الليبيين من عائدات كبيرة، ويسهم في زيادة الأسعار، ويمكن أن يؤدي إلى انقطاع التيار الكهربائي، ومشكلات في إمدادات المياه، ونقص في الوقود، موضحة أن الأضرار التي يسببها الإغلاق للبنية التحتية النفطية

النفطية بضرورة استئناف التصدير على أن يتم ما يعتبره إدارة الإيرادات وفق آلية نزيهة وشفافة.

وتابع باشاغا خلال لقائه بالمعتصمين داخل جامعة النجم الساطع بالبريقة أن لديهم اتصالات مكثفة مع عدة أطراف محلية ودولية لوضع آلية شفافة لعدم استغلال الإيرادات النفطية والاحتفاظ بها في حسابات الدولة الليبية بعيدا عن الصراعات السياسية على حد وصفه.

أزمات اقتصادية

وحذر البنك الدولي من مواجهة ليبيا لتحديات اقتصادية هائلة، في ظل استمرار تفكك مؤسسات الدولة مع التحديات الاجتماعية، وتوتر الأوضاع السياسية.

وفي تقرير للمرصد الاقتصادي التابع للبنك الدولي، ذكر أن ليبيا بحاجة عاجلة إلى الاستثمار في البنية التحتية، والمساعدة الاجتماعية للفئات الضعيفة، بما في ذلك حملة تطعيم أكثر نظاما وفاعلية ضد وباء كورونا، بحسب ما نشرته وكالة الأنباء الليبية.

وبيّن أنّ النمو في القطاعات غير النفطية ظل ضعيفا، ويعوقه الصراع المستمر، وسوء الخدمات، مؤكدا في الوقت نفسه، التزامه بدعم البلاد من خلال المساعدة الفنية والخدمات التحليلية وتمويل الصناديق الائتمانية والمنح.

من جانبه، قال المدير الإقليمي للبنك الدولي لمنطقة المغرب العربي ومالطا، جيسكو هينتشل إن ليبيا تحتاج بشدة إلى مؤسسات موحدة، وإدارة جيدة، وإرادة سياسية قوية، وإصلاحات طال انتظارها.

وأشار هينتشل إلى أنّ أداء الاقتصاد المحلي في عام 2020 كان الأسوأ في السنوات الأخيرة، في ظل استمرار المشكلات في قطاع النفط، ووباء كورونا.

وكان صندوق النقد الدولي قد توقع استمرار ارتفاع الأسعار ومعدلات التضخم في ليبيا خلال العام 2022 ليصل إلى 3.7 في المئة لكنه أكد إمكانية نزوله لحدود 2.4 في المئة العام المقبل.

فيما قال مؤسس سوق المال الليبي الاقتصادي سليمان الشحومي أن توقف إنتاج وتصدير النفط كارثة بمعنى الكلمة مهما كانت الشعارات والمنطلقات، مضيفا أن الواقع والمنطق ان لا تحجب الايرادات النفطية عن الإيداع بحسابات الحكومة بالمصرف المركزي مهما كانت الدوافع، موضحا أن الاحتفاظ بها خارج قنواتها الطبيعية يؤدي إلى انحسار قدرة المصرف المركزي على تمويل عمليات التجارة الخارجية ويضعف قدرته على تمويل النفقات العامة حتى مع التقيد بالانفاق المرشد.

وأضاف أن من يطلبون ان يتم فرض إدارة أجنبية على الايرادات كلامهم غير واقعي وسيعني ذلك ان يستمر في تمويل الانفاق العام ولا نعرف مدى قدرة المركزي في استمرار التمويل بدون ايرادات في ظل وجود دين عام سابق لم تتم تسويته.

ورأى الشحومي ان الأنسب أن تقر الموازنة العامة من السلطة التشريعية وان تقيد الانفاق بشرط الرقابة المصاحبة لوزارة المالية من قبل ديوان المحاسبة وان توقف مؤقتا الانفاق على التنمية وعلى الطوارئ في ظل تهتك وضعف مؤسسات الدولة وضعف القدرة على إدارة عمليات التنمية وغرقها في الفساد.

سيكلف ليبيا ملايين إضافية، وينذر بحدوث كارثة بيئية، ويمكن أن يؤثر على قدرة البلاد على الاستفادة من هذه البنية التحتية في المستقبل للوصول إلى كامل إمكاناتها الإنتاجية.

وأشار بيان السفارة إلى قرارات مجلس الأمن المتعددة التي تحمي المؤسسة الوطنية للنفط، مجددة التزامها بالعمل مع القادة الليبيين بشأن آلية من شأنها أن تمنح الشعب الليبي الثقة في أن عائدات البلاد توزع بما يعود عليه بالفائدة.

النزاع على السلطة

وفي الوقت الذي لم تعلق فيه حكومة الوحدة الوطنية على إقفال المنشآت النفطية، قال رئيس الحكومة المكلف من مجلس النواب إن الحكومة سوف تتواصل مع المناطق التي أغلقت حقول وموانئ النفط بها، لمعرفة الأسباب، متهمًا حكومة الوحدة الوطنية برئاسة عبدالحميد الدبيبة بدعم مجموعات مسلحة وإرهابيين يرتكبون أعمالًا آخرها في أم الأرانب.

وأضاف أن الحكومة منتهية الولاية تستخدم المال من أجل البقاء في السلطة، «نأسف لإقفال النفط، لكن الأسباب التي دعت لذلك هي عدم استخدام المال الوارد من النفط في الاهتمام بصحة الليبيين وعلاجهم، وإنما في توزيعه على مجموعات مسلحة وميليشيات وإرهابيين».

ورأى باشاغا أن من أغلقوا النفط يرون أن أموالهم ضيعتها الحكومة، مشددًا على ضرورة توفير الأمن للجنوب الذي يضم خيرات ليبيا بما فيها الطاقة الشمسية، كما أنه قريب من أفريقيا بوجود حدود طويلة تحتاج للاهتمام، فضلًا عن الأمن الغذائي، مع الاهتمام بتجارة الخدمات والعبور.

وعقب ذلك وفي بيان آخر في السياق نفسه طالب رئيس الحكومة المكلف من مجلس النواب فتحي باشاغا المعتصمين بالحقول

غزة: انخفاض وزن رغيف الخبز يثير غضب المواطنين

إسماعيل عبدالهادي

في ظل استمرار الحرب الروسية الأوكرانية وارتفاع أسعار العديد من السلع عالمياً وأبرزها القمح، بدأت غزة تتأثر من تراجع امدادات القمح، واتجهت المخابز لخفض وزن رغيف الخبز كبديل عن رفع سعره بالاتفاق مع الحكومة، ما أثار موجة غضب لدى سكان القطاع، كونه سلعة غذائية أساسية يومية على الموائد.

وتأتي الخطوة التي قام بها أصحاب المخابز، بعد قرار الحكومة في غزة بخفض وزن ربطة الخبز إلى 2.5 كيلوغرام من 3 كيلوغرام مع الإبقاء على سعره في المخابز، وهذه الخطوة عززت المخاوف من خفض مزيد من الوزن ورفع الأسعار خلال الفترة المقبلة.

وكانت جمعية أصحاب المخابز في القطاع أعلنت منذ بدء الصراع الروسي الأوكراني عن أن غزة لديها فائض في كميات الدقيق والسلع الأخرى، ولكن هذه الكميات تكفي فقط لمدة ثلاثة أشهر، ومن المتوقع أن تتأثر فلسطين خلال الأشهر المقبلة في حال استمر الصراع القائم، نتيجة احتمالية تراجع إمدادات القمح من أوكرانيا وروسيا إلى منطقة الشرق الأوسط وارتفاع تكاليف النقل الدولي.

وفي خطوة منها لمحاولة تجاوز الآثار السلبية المترتبة على الأزمة، أعلنت لجنة متابعة العمل الحكومي في غزة التي تديرها حركة حماس، إعفاء الدقيق ومجموعة من السلع الأخرى التي تصل عبر بوابة صلاح الدين مع مصر من الضرائب، إلا أن ارتفاعات جرت في الأسعار من الجانب المصري على هذه السلع، دفعت الحكومة إلى اتخاذ تدابير جديدة تخدم من خلالها المستهلك وأصحاب المخابز.

ومع اعتماد غالبية من المواطنين على الدقيق المقدم من قبل وكالة الغوث والمؤسسات الإغاثية الأخرى، إلا أن هناك الكثير أيضاً يعتمدون بشكل يومي على شراء الخبز من المخابز، بسبب استثناء هذه الفئات من المساعدات التي تقدمها الأونروا، وهذا يؤثر عليهم مادياً بعد أن تم خفض وزن رغيف الخبز.

عصام عليان 39 عاماً يعيل أسرة مكونة من 10 أفراد، يعتمد بشكل شبه يومي على شراء الخبز من المخبز القريب من منزله، فهو غير مصنف من ضمن المستفيدين من المساعدات المقدمة للاجئين من قبل الأونروا، بسبب أنه موظف حكومي ولا يحق له تلقي المساعدات.

يقول لـ«القدس العربي» إنه وجد منذ بدء الحديث عن وجود أزمة في القمح في أعقاب إندلاع الحرب الروسية على أوكرانيا، تغييرا في جودة الخبز من حيث الشكل والوزن بالرغم من ثبات سعر بيعه، وهذا أزعجه كون أن تكلفة بيع ربطة الخبز التي تحتوي على 50 رغيفاً مرتفع في الأصل والوجود متدنية.

وأوضح أن خفض أصحاب المخابز وزن الرغيف، لن يخدم المواطن كما يعتقد المسؤولون، لأنه كلما قل وزن الرغيف تضاعف الاستهلاك، فالمواطن الذي يحتاج إلى ربطة واحدة يومياً من الخبز، سيحتاج مع خفض الوزن إلى ربطة ونصف يومياً، وبيعه للمواطن بنفس السعر بدون رقابة على وهذا سيزيد من الأعباء المادية على المستهلك وسيتضرر بذلك.

أما أشرف العمري46 عاماً فقد استهجن خطوة الحكومة والمخابز في خفض وزن ربطة الخبز، وربما يتواصل هذا الإنخفاض مع تطورات الأيام القادمة، ويشكل مجاعة حقيقية لدى المواطنين الذي يعتمدون على شراء الخبز من المخابز.

وبين لـ«القدس العربي» أن غزة لم تدخل مرحلة الأزمة في امدادات الدقيق، كون أسواقها غارقة بالدقيق الذي يقدم شهرياً للفقراء من قبل وكالة الأونروا، وتقوم المخابز بشرائه من المواطنين الذين لديهم فائض أو من التجار بأسعار منخفضة جداً مقارنة بالدقيق المستورد، ومن ثم صناعة الخبز وبيعه للمواطن الفقراء.

وحسب جمعية أصحاب المخابز في القطاع، فإن معدل الاستهلاك الشهري من الدقيق يقدر بـ14 ألف طن، يتم توفير 10 آلاف منها عبر المساعدات التي تقدمها وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين و4 آلاف يتم توفيرها عبر التجار والمؤسسات الإغاثية الأخرى. ويقول رئيس جمعية أصحاب المخابز في غزة عبد الناصر العجرمي إن أسعار الدقيق المستورد إلى غزة شهدت ارتفاعاً كبيراً، بمعدل 30 في المئة، وفي ظل محاولة الحكومة في القطاع منع فرض ضرائب على الدقيق المستورد عبر المعابر، إلا أن تكلفة إنتاجه داخل المخابز مرتفعة ما دفع إلى تقليص وزن رغيف الخبز.

وبين العجرمي لـ«القدس العربي» أنه وبعد مشاورات مع الجهات المختصة للخروج بقرار يخدم أصحاب المخابز والمستهلكين، تقرر خفض وزن رغيف الخبز وعدم رفع أسعاره، لأن رفع السعر سيزيد من معاناة الناس، في ظل الظروف الاقتصادية والمعيشية التي يمرون بها وارتفاع معدلات الفقر، بسبب الحصار الإسرائيلي وانعدام فرص العمل.

ولفت إلى أن الأزمة لن تؤثر على شريحة واسعة من المواطنين في قطاع غزة كما باقي مواطني العالم، كون أن أكثر من نصف السكان يستفيدون من المساعدات المقدمة من المؤسسات الإغاثية، ومتوفر لديها كميات من الدقيق داخل مخازن خاصة بها، كما أن هناك جمعيات خيرية تقدم منذ سنوات مشروع الرغيف الخيري، كمساعدات يومية للمواطنين الفقراء.

مدن وآثار

هياكل بعلبك اللبنانية تراث إنساني يروي أمجاد الحضارات

عبد معروف

تعتبر هياكل مدينة بعلبك اللبنانية (85 كلم شمال شرق بيروت) صرحا حضاريا كبيرا يكتنز الدروس التاريخية والثقافية لكل الأجيال المعاصرة، نظرا لسطوع أنوارها الكاشفة لأحداث تاريخية غابرة، ستظل محطة لاهتمام الإنسان وبحثه عبر كل العصور.

والداخل إلى هياكل بعلبك لا يسعه إلا الذهول لما يشاهده من ضخامة البناء والهياكل والأعمدة وارتفاعها الشاهق على دقة في البناء والزخرفة والفن.

اكتسبت هياكل بعلبك الأثرية شهرتها بفضل تاريخها القديم الذي يعود إلى ما قبل العهد السلوقي، غير ان الرومان أضافوا إلى الهيكل ووسعوه إلى ان أصبح بناء فسيحا تحيط به هالة من روعة وجمال، أما العرب فجعلوا منه قلعة يتحصنون بها وقد عدّها العرب من عجائب الدنيا السبع.

أقيمت هياكل بعلبك على تل أثري يرقى إلى أواخر الألف الثالث ق.م على الأقل. وعلى الرغم من الغموض الذي يشوب تاريخ الموقع، بسبب عدم إجراء الحفريات التي توضح تعاقب المستويات السكنية التي يتألف منها التل، فإنه يكاد يكون من المؤكد أن قمة التل أعدت في غضون الألف الأول ق.م لتكون مكان عبادة يتألف من حرم يتوسطه مذبح.

بدأ العمل في بناء الهياكل في أيام الإمبراطور أوغسطس في أواخر القرن الأول ق.م وكان الانتهاء منه في أواخر عهد الإمبراطور نيرون (37–68 ب.م.) أما البهو الكبير، بأروقته وإيوانه ومذابحه وأحواضه، فقد بدأ العمل فيه وانتهى في غضون القرن الثاني ب.م وقد شهد القرن الثاني أيضاً بدء العمل ببناء الهيكل الصغير المنسوب إلى الإله باخوس. أما القرن الثالث، وفي عهدة الأسرة الساويرية (193–235 ب.م) على وجه التحديد، فقد شهد إقامة الرواق المقدم والبهو المسدس. ويبدو أن الأعمال الأساسية التي تناولت هذين الصرحين، وكذلك الهيكل المستدير المنسوب إلى الزهرة قد تم إنجازها في أواسط القرن عينه. بيد أن جميع أعمال الزخرف والنقش وغيرها من الترتيبات الثانوية لم تكن بعد قد انتهت في بدايات القرن الرابع عندما قام الإمبراطور قسطنطين الكبير بإعلان مرسوم «ميلانو» الشهير عام 313 الذي اعترف بالمسيحية ديانة رسمية في الدولة. فتعطل العمل في معابد بعلبك، بعد مرور أكثر من ثلاثة قرون على البدء به. وما أن شارف القرن الرابع على الانتهاء حتى كان الامبراطور ثيودوسيوس يغلق المعابد ويدمر مذابحها التي كانت تعتبر أقدس مقدساتها، ويقيم على أنقاضها، في وسط البهو الكبير، كنيسة عظيمة، ما تزال آثار محاريبها محفورة في الدرج المؤدي إلى الهيكل الكبير، وقد كانت في حينه تتجه صوب الغرب.

وعلى أثر الفتح العربي عام 636 م تحولت هياكل المدينة إلى قلعة، وتوالي الزمن على بعلبك، فانتقلت من يد الأمويين إلى العباسيين فالطولونيين والفاطميين والأيوبيين إلى أن نهبها المغول واستردها منهم المماليك عام 1260.

يتألف مجمع هياكل بعلبك من ثلاثة صروح رئيسية هي: معبد جوبيتر الكبير والمعبد الصغير المنسوب إلى باخوس والمعبد المستدير المنسوب إلى الزهرة، وهناك بقايا معبد رئيسي رابع كان يقوم فوق تلة الشيخ عبدالله إلى الجنوب من مدينة بعلبك.

الهيكل الكبير أو معبد جوبيتر

وكان المعبد الكبير مكرساً لعبادة الثالوث البعلبكي في صيغته العلنية التي لم تكن ممنوعة على أحد. وكان هذا المجمع الضخم يتألف من أربعة أقسام رئيسية هي: الرواق المقدم، وكان يشكل المدخل العمائري، يليه البهو المسدس، فالبهو الكبير فالهيكل.

ويتألف الرواق المقدم من أبنية أشبه ما تكون ببوابة محصنة أقيم على طرفيها برجان يصل بينهما رواق يرتكز على صف من اثني عشر عموداً من الغرانيت، وأمامها درج عظيم به بنية نصف دائرية ذات مقاعد حجرية كانت معدة لإقامة بعض الاحتفالات التمهيدية. وكان هذا الرواق مزيناً بالتماثيل وكان في جداره الداخلي ثلاثة أبواب، بينها أدراج لولبية يصعد منها إلى سقف الرواق والبهو المسدس الذي يليه.

تفضي أبواب الرواق المقدم الثلاثة إلى البهو المسدس، وهو فناء مكشوف للشمس تحيط به ستة أروقة ترتكز على ثلاثين عموداً من الغرانيت. وفي نهاية القرن الرابع أو بداية القرن الخامس، سقف البهو بقبة نحاسية مطلية بالذهب بعد تحويله إلى كنيسة. ويستفاد من بعض المصادر أن هذه القبة قد اقتلعت من موضعها ونقلت إلى بيت المقدس لتنصب على الصخرة.

أما البهو الكبير فيبلغ طوله 134 متراً وعرضه 112 متراً ويحتوي أهم البنى الدينية وأقدسها وقد حل في غضون القرن الثاني محل المشارف التي أقيمت في الموضع عينه في الفترات السابقة. ونظراً لكونه يقوم على تل اصطناعي يمثل تراكم المستويات السكنية التي تعاقبت في الموقع، فقد عمد المهندسون إلى تدعيمه مخافة أن ينهار بعض أجزائه أو ينزلق بعضها الآخر تحت وطأة الأثقال التي كان من المفترض أن يحملها. وتمثلت عملية التدعيم هذه بإقامة أقبية ضخمة لحصر جوانبه الشرقية والشمالية والجنوبية، فيما كانت دكة الهيكل تحصره من الجهة الغربية. بالإضافة إلى وظيفتها هذه، كان من شأن تلك الأقبية أن تستعمل كممرات سفلية ومستودعات وإسطبلات، فيما استعمل ظهرها لحمل الأروقة والإيوانات المحيطة بالبهو. ويبلغ عدد هذه الإيوانات اثنا عشر إيواناً، أربعة منها على شكل نصف دائرة وثمانية على هيئة مستطيل، وجميعها مزين بمشكوات كانت مأهولة بالتماثيل.

وترتفع في وسط البهو الكبير بُنيتان رئيسيتان، إحداهما تتمثل بالمذبح، وهي الأقرب إلى الهيكل، فيما تتمثل الأخرى ببرج ضخم لم يبق منه إلا بعض مداميكه السفلى. ويشكل هذا البرج أقدم أبنية البهو عهداً، إذ إنه يعود إلى النصف الأول من القرن الأول، أي إلى الفترة التي كان يجري فيها بناء الهيكل الكبير. ويبدو أنه كان بمثابة منصة عملاقة يرتقيها الحجاج لأداء بعض الفرائض أو لمشاهدة ما يجري حولهم من طقوس. ويقوم على جانبي البرج عامودان منفردان، أحدهما من الغرانيت الأحمر والآخر من الغرانيت الرمادي. ويحيط بالبرج والمذبح الذي يليه حوضان خصصا لمياه التبريك والوضوء.

بعد اجتياز الرواق المقدم والبهو المسدس والبهو الكبير، يجد الزائر نفسه عند أعتاب الهيكل الكبير، وقد وصله بعد اجتياز عدد من المراحل التي كانت تفرضها أصول العبادات السامية القديمة. ويبلغ طول الهيكل 88 متراً وعرضه 48 متراً، وكان يقوم على دكة عظيمة يبلغ ارتفاعها 20 متراً فوق أرض المدينة الرومانية المجاورة وسبعة أمتار فوق أرضية البهو، وقد بنيت بحجارة ضخمة، من بينها ثلاثة أحجار في حائطها الغربي وقد ذاعت شهرتها منذ القدم. ويبلغ طول الواحد من هذه الحجارة 20 متراً وعلوه 4 أمتار وسماكته 3 أمتار. ويصعد إلى الهيكل بدرج ضخم ذي ثلاث مساطب. وكان يحيط به رواق من أربعة وخمسين عموداً يعلوها إفريز مزخرف تزينه رؤوس الثيران والأسود.

هيكل باخوس

بمحاذاة الهيكل الكبير يقوم هيكل آخر بُني في غضون القرن الثاني ب.م ويمتاز بكونه من أفضل الهياكل الرومانية حفظاً ومن أبدعها نقشاً وزخرفاً على الإطلاق. ويرتفع الهيكل على دِكة يبلغ ارتفاعها خمسة أمتار ويصعد إليه بدرج عظيم يتألف من ثلاث وثلاثين درجة.

وبعكس المعبد الكبير الذي كان مكرساً لعبادة الثالوث البعلبكي من خلال إقامة الشعائر العامة والعلنية، فإن الهيكل الصغير كان مكرساً لإقامة بعض الطقوس المسارية التي لا يشترك فيها إلا المسارون الذين تفقهوا في الأسرار. وكانت هذه الطقوس والعبادات تتمحور حول إله بعلبك الشاب الذي كان يشرف على نمو النبات والقطعان. ولما كانت قد أسبغت عليه من ثم صفات شمسية، فإن عبادته كطفل إلهي في كنف الثالوث البعلبكي قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً في أذهان المؤمنين بمسألة الولادة والنمو والذبول والموت مع الأمل ببلوغ حياة أخرى. وكانت الطقوس تتضمن في ما تتضمن تناول بعض المخدرات، كالخمرة والأفيون، لتمكين المؤمنين من بلوغ النشوة المقدسة. وهذا ما يفسر وجود نقوش تمثل الكرمة وسنابل القمح وعناقيد العنب وجراء الخشخاش وبعض المشاهد المستوحاة من حلقات النشوة على بوابة الهيكل وفي داخله، الأمر الذي حدا بالبعض لأن ينسبوا هذا الهيكل إلى الإله باخوس.

هيكل الزهرة

إلى الجنوب الشرقي من القلعة يقوم هيكل صغير مستدير لا مثيل لتصميمه في جميع أنحاء العالم الروماني على الإطلاق، وقد بُني في غضون القرن الثالث. وكان هذا الهيكل مكرساً لتكريم الإلهة التي تمثل مدينة بعلبك وتشفع بها أمام آلهة المدينة العظام. وهذا ما يفسر توجيه المعبد باتجاه المعبد الكبير وتحويله في العصر البيزنطي إلى كنيسة على اسم القديسة بربارة، التي تعتبر شفيعة المدينة، وتقول التقاليد المحلية فيها إنها ولدت واستشهدت في بعلبك. وما يزال أهالي بعلبك يطلقون اسم البربارة على هذا الهيكل حتى اليوم. وعلى مقربة من هذا الهيكل، بقايا هيكل آخر يرجع تاريخه إلى بدايات القرن الأول ب.م وكان مكرساً لعبادة «الموسات» ربات الفنون والآداب.

وتشير وثائق وتقارير وزارة السياحة اللبنانية في بيروت إلى أن العمل استمر في هياكل بعلبك في القرن الأول بعد الميلاد، ضمن مراحل حتى تقبُّل الإمبراطورية للدين المسيحي وأوقف العمل فيها في القرن الرابع للميلاد وقد حولت بعض أجزاء هذه الهياكل إلى كنائس وكتعبير عن السخط على الديانات القديمة والوثنية هشمت رموز هذه الديانات من أبناء الديانة الجديدة، ثم كان الفتح العربي الذي حوّل المعابد إلى مواقع عسكرية (أيام أبي عبيدة الجراح) وهشمت التماثيل التي نجت سابقا، وقد اهملت المعابد مع مرور الزمن حتى وصلت إلى اسوأ مرحلة أيام حكم آل حرفوش، إذ تحولت إلى مقلع للحجارة لبناء المساكن وظلت القلعة مدفونة تحت الأرض التي كانت تحرث وتزرع حتى عام 1900م عندما قامت بعثة ألمانية بالاتفاق مع السلطة العثمانية ودولة المانيا ببدء الحفر وقد افتتح عملية الحفر إمبراطور ألمانيا غليوم ولا تزال هناك لوحتان مثبتتان باللغتين التركية والألمانية تشهدان على هذه الذكرى.

من جهته، يقول الدكتور حسين نصر الله مؤلف كتاب «تاريخ بعلبك» قد تكون معابد بعلبك رومانية الشكل والزخرف. بيد أن من يمعن التدقيق في تصاميمها وبعض تفاصيلها لا بد له من ملاحظة الكثير من التأثيرات السامية المحلية عليها. ومما لا شك فيه أن تلك التأثيرات كانت ناجمة عن تدخل مباشر من قبل الكهنوت البعلبكي في التخطيط كي تتوافق البنى الجديدة مع متطلبات العبادة المحلية، لا سيما وأن الرومان كانوا يحرصون على عدم استدعاء السكان المحليين في المسائل الدينية.

جار الزمن على هياكل وآثار بعلبك، وعبثت بها يد الطبيعة والبشر، وتعرضت للزلازل والتخريب والتحوير طيلة القرون الوسطى والعصور الحديثة، غير أنها ظلت تستوقف الرحالة والزوار وتثير الإعجاب وتغذي الأساطير.

رياضة

هل يأخذ ليفربول وصلاح بثأرهما المزدوج من ريال مدريد؟

لاعبو الريال يحتفلون عقب الانتصار القاتل

لندن ـ «القدس العربي»: عادل منصور

أوفت جولة إياب نصف نهائي دوري أبطال أوروبا بكل الوعود، بعدما استمتعنا جميعا باثنتين من أروع المباريات وأكثرها إثارة في البطولة الأكثر مشاهدة وشعبية في كل أرجاء العالم، بدأت بريمونتادا ليفربول أمام مضيفه فياريال في سهرة ثلاثاء «لا سيراميكا»، التي انتهت بفوز عملاق البريميرليغ بثلاثية مقابل اثنين، واختتمت بريمونتادا أخرى «لا يُنصح بها لأصحاب القلوب الضعيفة»، دونها نادي القرن الماضي ريال مدريد في قلعته «سانتياغو بيرنابيو»، بقلب الطاولة على مانشستر سيتي في الأمتار الأخيرة، من تأخر بهدف نظيف إلى انتصار سيُحكى عنه في التاريخ وصل قوامه لثلاثة أهداف مقابل هدف، ليضرب الميرينغي بقيادة مدربه كارلو أنشيلوتي، موعدا مع ليفربول بذكريات انتقامية مزدوجة، تعود جذورها لمنتصف العقد الأول في الألفية الجديدة، وليس في نهائي كييف 2018 كما يعتقد البعض.

العراب العجوز

عندما أعلن رئيس الريال فلورنتينو بيريز، تعيين السيد كارلو أنشيلوتي، مدربا لمشروع العقد، بعد اعتذار زين الدين زيدان عن عدم استكمال العام المتبقي في عقده، لم يخطر في أضغاث أحلام أكثر المتفائلين من جمهور وعشاق النادي الملكي في كل قارات العالم، أن يأتي شهر مايو / أيار، ويكون العراب الإيطالي وفريقه في هذه الوضعية، كأبطال للثنائية المحلية (الكأس السوبر الإسباني والليغا رقم 35). وقبل هذا وذاك، انتزع بطاقة اللعب على الكأس ذات الأذنين الرابعة عشرة، بعد رحلة شديدة الوعورة، تخطى خلالها الملكي طرق وحواجز تفوح منها رائحة اللغم الكروي، بداية من اللحظة الأولى الفارقة، في ما تُعرف بفضيحة شيريف تيراسبول المولدوفي، ذاك النادي المغمور، الذي وضع علامة اللوس بلانكوس على المحك في ثاني مواجهات مرحلة المجموعات، التي خسرها الميستر ورجاله بنتيجة 2–1، وعلى عكس الموجة الساخرة، التي كانت تروج لفكرة انتهاء هيبة وكبرياء النادي على الصعيد القاري، ليس فقط لضعف الإنفاق واستمرار السياسة التقشفية، بالاكتفاء بضم ديفيد آلابا وكاميفينغا وإعادة بعض المعارين، بل أيضا لانخفاض معدل الجودة في جُل المراكز، إما لخروج أو تقدم نجوم العاشرة في السن، أو عدم استبدالهم بأسماء حتى بنصف الجودة، جاء الرد العملي، بسلسلة من الانتصارات لم تتوقف إلا مع صافرة نهاية الدور الأول، قبل أن يُرسله القدر إلى الطريق الذي لا يتمناه ولا يُريده أحد، بمقارعة صفوة المرشحين للفوز بالبطولة، كان أولهم باريس سان جيرمان المرصع بالنجوم والأساطير، إثر قرار نادر، بإلغاء نتائج القرعة الأولى، التي أسفرت في حينها عن وقوع الريال أمام بورتو البرتغالي، نتيجة لأخطاء فنية في اختيار وتوزيع الكرات في المراسم.

ورغم أن أغلب التوقعات والمراهنات كانت تصب في مصلحة الفريق الباريسي، خاصة بعد افتراس كريم بنزيمة ورفاقه في ذهاب «حديقة الأمراء»، الذي كان من الممكن أن ينتهي بحفلة أهداف وليس بهدف نظيف، لولا بسالة رجل اللحظات الفارقة تيبو كورتوا، لكن في الأخير، طغت شخصية وهيبة الملوك في إياب «البيرنابيو»، في ما عُرفت بعد ذلك بليلة الملك بنزيمة، بعد توقيعه على ثلاثة أهداف (هاتريك) في غضون ربع ساعة في الشوط الثاني، لتأتي مواعيد تسديد الديون القديمة، بأخذ الثأر الأول من تشلسي، بهاتريك آخر لكريم في معقل تشلسي «ستامفورد بريدج» في ذهاب دور الثمانية، ثم بالإطاحة بحامل اللقب في ليلة الثاني عشر من أبريل / نيسان، التي شهدت تقلبات وإثارة قلما نعيشها في عالم المركولة المجنونة، من اكتساح وهيمنة وتقدم بالثلاثة للبلوز، إلى قمة الجنون والإثارة، بعودة ماركة «روح الأسطورة خوانيتو»، بنفس سيناريو الانتقام الوحشي من مانشستر سيتي، في المحطة الأخيرة قبل الحصول على تأشيرة اللعب في نهائي «سان دوني» يوم 28 الشهر الجاري، ليتحول كارلو من ذاك المدرب الذي وصفه الإعلام والشامتين في «السوشيال ميديا»، بالعجوز الفقير فنيا وتكتيكيا، الذي تجاوزه الزمن، إلى «عرّاب» الرابعة العشرة، وقاهر فلاسفة الكرة الحديثة ماوريسيو بوتشيتينو وتوماس توخيل وبيب غواردیولا، في انتظار ما سيفعله مع رابعهم يورغن كلوب في النهائي الانتقامي.

خطايا الفيلسوف

بالنظر إلى الأسباب الجوهرية التي قلبت المباراة والنتيجة رأسا على عقب مساء الأربعاء، سنجد أن أبرزها، القراءة غير الموفقة لبيب غواردیولا لأحداث الشوط الثاني. وبعبارة أخرى لم يتعلم من أخطاء البوش وتوخيل، بحشد القوة الضاربة والحفاظ على تركيز اللاعبين في الدقائق الأخيرة، وليس بالمبالغة في استعراض القوة والوجودة على لاعبي الريال في أضعف لحظاتهم، بدليل ما فعله في الدقيقة 72، بإشراك إلكاي غندوغان على حساب كيفن دي بروين، مضحيا بالعقل الأكثر ذكاء والخيار القادر على معاقبة الملكي في أوقات الاندفاع إلى الأمام، وكان ذلك، في الوقت الذي أخذ فيه أنشيلوتي المخاطرة، بتعزيز خياراته وحلوله في الهجوم، بالدفع بالبديل الموفق رودريغو على حساب توني كروس، ثم ماركو أسينسيو وكامافينغا بدلا من الثنائي المخضرم لوكا موديتش وكاسيميرو، هنا حدث الانقلاب أو التحول الكبير في سيناريو المباراة، بتحرر مدريدي أعاد إلى الأذهان ما حدث أمام «بي إس جي» والبلوز، قابله انكماش وتراجع سماوي، خاصة في الدقائق التي تلت هدف رياض محرز السينمائي، وما زاد الطين بلة، ما فعله الفيلسوف في الدقيقة 85، بالاستغناء عن صاحب الهدف، لتأمين الوسط بالبرازيلي فيرناندينو، ليدفع ضريبة باهظة الثمن، تجلت في عجز السيتيزنز وعدم قدرته على الخروج بالكرة من منتصف ملعبه، أمام غارات وضغط الريال في أوقاته المفضلة. الاستثناء الوحيد كان في اللقطة التي وُصفت بـ«منعرج المباراة»، بإبعاد تسديدة البديل غريليش من على خط المرمى، ليضرب الريال ضربته على طريقة «إذا هبت رياحك فاغتنمها»، بزيارة الحارس المغلوب على أمره إيدرسون مرتين في الوقت المحتسب بدل الضائع، باستغلال مثالي لتراخي لاعبي السيتي ولحظات عدم استيعابهم لما يحدث على الأرض، كأننا نشاهد ذهول ليونيل ميسي وكيليان مبابي ونيمار جونيور وفريقهم يستقبل الهدف تلو الآخر في ليلة «ريمونتادا» إياب ثمن النهائي، وربما لو امتدت المباراة لدقائق أكثر كوقت محتسب بدل ضائع، لما اضطررنا لمشاهدة نصف ساعة إضافية، بعد انحصار اللعب والكرة والتصوير والأعين وكل شيء داخل منطقة الجزاء منذ الدقيقة 90، بالأحرى منذ زلزال هدف رودريغو الأول مرورا برأسية التعادل في نتيجة المباراتين، نهاية بتصدي إيدرسون لانفراد نفس الكابوس بدل الضائع، لكن في الأخير، كنا محظوظين بالاستمتاع بنصف ساعة من أرقى وأجود فنون كرة القدم، وشهود عيان على صدق الأسطورة القديمة، التي تخبرنا أن كل شيء قابل للتغير في دوري أبطال أوروبا، إلا

غواردیولا لا يصدق خسارة فريقه السيتي

غياب هيبة وتقاليد ريال مدريد مع هذه البطولة منذ ظهورها للنور في منتصف خمسينات القرن الماضي وحتى وقت كتابة هذه الكلمات.

المطب المعقد

يتفق مشجعو ليفربول قبل الخصوم والنقاد، أن طريق فريقهم نحو نهائي باريس، كان مفروشا بالورود، على الأقل بداية من مراحل خروج المغلوب، التي جنبته طريق الجبابرة، بمواجهة الإنتر بنسخته بعد رحيل أنطونيو كونتي وروميلو لوكاكو وأشرف حكيمي، ثم بنفيكا في الدور ربع النهائي وفياريال في نصف النهائي، لكن هذا لا يمنع حقيقة، أن يورغن كلوب وفريقه، عاشوا لحظات أكثر رعبا من أبطال سلسلة «Evil Dead»، ليس فقط لاستقبال هدفين في أول 45 دقيقة، بل للمستوى الذي ظهر عليه الفريق، مقارنة بالصورة التي بدا عليها فريق أوناي إيميري، كأنها مؤشرات الى تبخر حلم الرباعية، ولو شاهدنا بداية الشوط الثاني، سنلاحظ الفارق الكبير في هدوء واتزان لاعبي فياريال، مقارنة بتسرع وعصبية محمد صلاح ورفاقه، ووضح ذلك، بتعامل لويس دياز الكارثي مع العرضية الهدية، بتحويلها بضربة مزدوجة إلى المدرجات، لها، معها، تنفس أبو صلاح ورفاقه الصعداء، وتدريجيا انكشفت الفوارق الفنية والفردية بين الفريقين، كما تمنى وطلب كلوب من لاعبيه بين الشوطين، باللعب بطريقتهم وأسلوبهم المعتاد، بعد الشوط الأول المأساوي، الذي خرج منه الفريق بدون فرصة واحدة بين القائمين والعارضة، وحسنا فعل الريدز، باستغلال هدايا رولي، بتسجيل هدف آخر بتعامل جيد من دياز هذه المرة، ثم بإطلاق رصاصة الرحمة الثالثة عن طريق ساديو ماني، ليحصل المدرب الألماني وفريقه على فرصة نادرة، لرد الدين المزدوج لكارلو أنشيلوتي وريال مدريد، بذكريات تحمل في طياتها ما يفوق مصطلح «المنافسة» بين فريقين على اللقب، ونتذكر بداية التاريخ الشخصي بين ميستر كارليتو وليفربول في النهائي الأشهر تاريخيا، والحديث عن نهائي اسطنبول 2005، عندما كان مدربا لميلان العظيم في حضرة باولو مالديني وشريكه في الدفاع أليساندرو نيستا وباقي أساطير ونجوم تلك الحقبة من نوعية ياب ستام وأندريا بيرلو وكلارينس سيدورف وريكاردو كاكا وشيفتشينكو وآخرين، كانوا قاب قوسين أو أدنى من معانقة الأميرة الأوروبية، بعد قتل المباراة إكليتيكيا بثلاثية نظيفة مع ذهاب كلا الفريقين إلى غرفة خلع الملابس بين الشوطين، وفي الأخير استفاقوا على معجزة الخمس دقائق، التي شهدت عودة ستيفن جيرارد ورفاقه في نتيجة المباراة، بطريقة ما زالت تُدرس ويتفاخر بها السيدرافا بينتز إلى الآن، قبل أن تتبسم ركلات الترجيح لممثل البريميرليغ، في واحدة من «ليالي ألف ليلة وليلة» في كرة القدم، ولأنها كذلك، أسرها أنشيلوتي ورجاله في نفوسهم، إلى أن تجدد الاشتباك على مسافة لا تزيد على 1000 كيلومتر من اسطنبول، هناك في عاصمة الإغريق أثينا 2007، حين توج الروزونيري بالكأس السابعة، بفوز مستحق على رافا بينيتز وفريقه بهدفين لهدف.

لاعبو ليفربول يتبادلون الفرحة عقب هزيمة فياريال

ثأر صلاح وكلوب

«تمنيت وصولهم وقد كان، ستكون مباراة ثأرية، حان وقت الانتقام، لدينا مباريات مهمة قبل لقاء ريال مدريد في الدوري والكأس علينا حسمها أولا»، بهذه الكلمات، أطلق محمد صلاح، العنان لنفسه في حفل اتحاد كتاب كرة القدم لتسليمه جائزة لاعب العام، برسالة تحذير جديدة للميرينغي، بعد استخدام مصطلح «حسابات قديمة»، في أول تحذير بعد تجدد نهائي 2018، وفي نفس الوقت، كشف بعفوية عن العراقيل أو المشاكل، التي قد تؤثر على حظوظ فريقه قبل لحظة الحقيقة أمام الريال، ومفهوم بالنسبة للجميع، أن الفرعون يُمني النفس، بالثأر من ليلة بكائه وخروجه في أول نصف ساعة، إثر تدخل وحشي من القائد الملكي السابق سيرخيو راموس، وُصف آنذاك بالمتعمد لإيذاء نجم الريدز وإجباره على الخروج، لتنقلب المباراة رأسا على عقب بعد مشهد استبداله الاضطراري بداعي إصابته بخلع في الكتف، ويفوز عملاق الليغا بعد ذلك بثلاثية مقابل هدف في آخر ظهور للأسطورة كريستيانو رونالدو بالقميص الأبيض، ورغم أنه من ناحية المنطق والجودة والتنظيم، يبدو ليفربول الأقرب والأوفر حظا للفوز في نهائي باريس، كأفضل رد وثأر من أنشيلوتي وريال مدريد معا، لكن واقعيا، دعونا لا ننسى أن الريال سيبقى الطرف الأكثر استعدادا وجاهزية، اذ يكفي أنه لا يركز الآن سوى في ليلة الثامن والعشرين من مايو / أيار، بعد تحقيق الهدف المنشود محليا، بجمع ثنائية الكأس السوبر والليغا، على عكس منافسه، الذي سيتعين عليه بذل كل قطرة عرق في الأسابيع المتبقية على النهائي، منها 4 نهائيات في عطلة نهاية كل أسبوع، أمام منافسين بحجم توتنهام أنطونيو كونتي، وأستون فيلا نجمه السابق ستيفن جيرارد، وساوثهامبتون ولولفرهامبتون، بالإضافة إلى نهائي انتقامي مع تشلسي لتحديد هوية بطل أعرق كؤوس الكرة الأرضية، بعد حصول الريدز على كأس الرابطة على حساب البلوز، وستكون هذه المعارك، في الوقت الذي سيتعامل فيه أنشيلوتي مع مباريات الليغا المتبقية، على أنها سهرات ودية وتحضيرية لنهائي الرابطة عشرة، ما يعني، أن مدرب الريال، سيحظى برفاهية إراحة أسلحته الفتاكة وتوفير طاقتهم للموعد الأهم، بينما نظيره الألماني، سيصلي كل يوم، ليتفادى خسارة أحد ركائزه الأساسية في المعارك المحلية المنتظرة قبل النهائي. وفي كل الأحوال، سنكون على موعد مع نهائي قابل لكل الاحتمالات، للتقارب الكبير في الخطوط العريضة بين الفريقين، شاملة الشخصية والعناد والحدة وثقافة الريمونتادا، بجانب العامل المشترك بينهما في الباع والتاريخ في هذه البطولة، والسؤال الآن: هل سيضرب كلوب وأسلحته الفتاكة عصفورين بحجر واحد لأنشيلوتي والريال؟ أم ستستمر انتفاضة الملكي ومسلسل تفوقه على الكبار ويرفع الكأس الرابعة عشرة في تاريخه؟ دعونا ننتظر.

أين سنشاهد كريستيانو رونالدو الموسم المُقبل؟

لندن – «القدس العربي»:

أثار الأيقونة البرتغالية كريستيانو رونالدو، عاصفة من الجدل، بإشاراته وايماءاته مع مشجعي مانشستر يونايتد، التي حملت معاني مزدوجة، بعد مشاركته في الفوز على بريتفورد بثلاثية نظيفة، في واحدة من مواجهات الجولة الـ35 للدوري الإنكليزي الممتاز، وفي آخر ظهور للشياطين الحمر على ملعب «أولد ترافورد»، فاتحاً الباب على مصراعيه أمام وسائل الإعلام الرياضية، للتكهن حول مستقبله الموسم المقبل، ما بين مصادر تُشير الى إمكانية استمراره مع الفريق الى نهاية عقده الممتد لمنتصف 2023، وأخرى تضع اسمه في جمل مفيدة مع عدد لا بأس به من كبار القارة العجوز، وفي تقريرنا هذا، سنستعرض معا الوجهات المحتملة لصاروخ ماديرا في الموسم الجديد.

البقاء في مسرح الأحلام

يبقى الاحتمال الأول، أن نسلم بصدق المدرب رالف رانغنيك، بأن إشارات الأسطورة لا تعني بالضرورة أنه سيغادر النادي الموسم المقبل، مؤكدا في آخر تصريح صحفي له أنه يعتقد أن «كريستيانو سيلتزم بعقده مع الإدارة»، لكن واقعيا، لا يبدو الأمر بهذه السهولة، وفي الغالب سيتطلب الامر جهدا كبيرا، لإقناع السوبر ستار، بفكرة البقاء والتنازل عن أشياء مقدسة في حياته كلاعب، منها على سبيل المثال، ورطة الغياب عن دوري أبطال أوروبا، وحرمانه من ممارسة هوايته المفضلة بتحطيم الأرقام القياسية الإعجازية في بطولته المفضلة، ليؤمن مكانه في صدارة الهدافين لأطول فترة ممكنة، في ظل إصرار ليونيل ميسي على تقليص فارق الـ17 هدفا بينهما في الصراع على عرش الهدافين التاريخيين للكأس ذات الأذنين. ولا يخفى على أحد، أن فرص اليونايتد في الظهور في دوري الأبطال، تقلصت أكثر من أي وقت مضى، بتأخره بثلاث نقاط ومباراتين أكثر من الثنائي اللندني آرسنال وتوتنهام، بينما البرغوث ليونيل ميسي سيكون مستعدا للظهور مرة أخرى في بطولة الكبار، لعدم وجود ما يدفعه للخروج من جنة باريس سان جيرمان «حديقة الأمراء»، إلا إذا قرر التضحية، ليكون حجر أساس المشروع الذي سيأتي من أجله إيريك تين هاغ الموسم المقبل، وسيكون المقابل منحه شارة القيادة بعد سحبها من هاري ماغواير في المستقبل القريب، ولو أن التجارب السابقة وطبيعة عقليته، لا ترجح هذا السيناريو، لهوسه بتخليد اسمه بوصف «الأعظم في كل العصور».

المفاجأة المدوية

أثبت الدون بشكل عملي، أنه العلامة المضيئة الوحيدة في موسم مانشستر يونايتد المخيب لآمال المشجعين، وبنظرة رونالدو وطريقة تفكيره، رد على المشككين في قدرته على الصمود في أعلى مستوى تنافسي، بتوقيعه على 24 هدفا بالإضافة الى ثلاث تمريرات حاسمة من مشاركته في 38 مباراة في مختلف المسابقات، وبحسب قناة «سكاي سبورتس» الناطقة بالألمانية، هذا ما دفع المسؤولين في بايرن ميونيخ الى الانفتاح على فكرة الاستفادة من شغف كريستيانو رونالدو وعصارة خبرته في سنواته الأخيرة، على الأقل، لضمان المعدل التهديفي الخيالي للجلاد البولندي روبرت ليفاندوسكي، وربما وهو المتوقع، أن تزداد على رفاهية ليفا في الوقت الحالي، بكم هائل من الفرص السهلة أمام مرمى ضحايا البايرن على المستوى المحلي والقاري، بجانب التعهد بتنفيذ ركلات الجزاء وغيرها من الإغراءات والعوامل المشتركة بين أهداف رونالدو وبايرن ميونيخ على المستوى القصير، في حال قرر الانفصال عن ناديه بالتراضي عقب نهاية الموسم، وفي نفس الوقت، أصر ليفاندوسكي على المغادرة، لتحقيق حلمه الأخير، بارتداء قميص برشلونة، كما يتردد في المحيط الإعلامي الكتالوني من حين الى آخر. وبطبيعة الحال، إذا صدقت الشبكة الألمانية في هذا الانفراد، ستكون كبرى مفاجآت الميركاتو الصيفي، لصعوبة التنبؤ بنتائج الشراكة بين مطامع وأهداف كريستيانو رونالدو المشروعة وبين العنفوان والغضب البافاري الذي لا يتمناه أحد.

حلم الملايين

بالنظر إلى الخيار الأكثر إغراء ويحلم به الكثير من عشاق كرة القدم، أن يجتمع الثنائي الخارق رونالدو وغريمه الأزلي ليونيل ميسي في خط هجوم فريق واحد، وهذا ما بدأ الإعلام الفرنسي والإسباني يروج له، لا سيما بعد تصريحات رئيس ريال مدريد فلورنتينو بيريز، عن اقتراب لحظة مباركة صفقة القرن كيليان مبابي، ومدى إمكانية تحرك الرئيس الباريسي ناصر الخليفي ومجلسه المعاون تجاه هداف ريال مدريد والبرتغال التاريخي، والأمر لا يتعلق بتعويض مبابي فحسب، بل أيضا للارتقاء بمستوى التوقعات والأحلام، بأخذ خطوة عملاقة نحو تحقيق الهدف المنشود، بكسر عقدة كأس دوري أبطال أوروبا، بالتسلح بالثلاثي الفضائي رونالدو وميسي ونيمار جونيور وبقية فريق الأحلام، المحتمل أن يقوده فنيا الفرنسي / الجزائري زين الدين زيدان، ليحل محل ماوريسيو بوتشيتينو، على أمل أن يكرر معجزاته مع الريال الملكي، حين قاد جيل «العاشرة» للهيمنة على القارة العجوز في الفترة بين عامي 2016 و2018، لكنها ما زالت مجرد تقارير واشاعات، ومن المفترض أن تكشف الأسابيع القليلة المقبلة صحتها من عدمها.

وجهات أخرى

تزامنا مع سيل التقارير التي تشكك في بقاء صاحب الـ37 عاما الى نهاية عقده مع مانشستر يونايتد، زعمت صحيفة «دايلي ميرور» البريطانية، أن إدارة ريال مدريد تدرس لم الشمل مع الهداف التاريخي، بشرط التكفل براتبه السنوي فقط، أو بعبارة أخرى، كما يريده بايرن ميونيخ وباريس سان جيرمان، في صفقة انتقال حر، منها سيضمن النادي انتعاشة على مستوى عقود الدعاية والصفقات التجارية، ومنها أيضا معاونة شريكه القديم كريم بنزيمة على تحسين جودة وأرقام الخط الأمامي، ولو لموسم واحد وبحد أقصى اثنين، إذا صدقت التقارير الأخرى، التي تراهن على استمرار مبابي في «حديقة الأمراء» لموسمين قادمين، لإصرار الإدارة القطرية على استمراره، ليكون جزءا من الحملة الترويجية لكأس العالم 2022. أو يخالف أغلب التوقعات، ويعود إلى النادي الذي منحه فرصة العمر، ليكون لاعب كرة قدم محترفاً، وهو سيورتنغ لشبونة، وإذا فعلها، سيكون نزولا عند رغبة الوالدة، استنادا الى حديثها الموثق في سبتمبر / أيلول الماضي، الذي قالت فيه نصا: «رونالدو يجب أن يعود إلى هنا، إذا كان هذا هو خياري، فسيكون للشبونة، إنه يحب مشاهدة مباريات سيورتنغ. لقد أخبرته بالفعل: يا بني، قبل أن أموت، أريد أن أراك تعود إلى سيورتنغ» وكان هو يقول: «دعينا نرى». حتى هو نفسه، صرح في أكثر من مقابلة صحفية، أنه يود أن يختم مشواره في النادي الذي كان بوابته نحو أضواء الشهرة والنجومية مع مانشستر يونايتد في ولايته الأولى في الجزء الأحمر لعاصمة الشمال الإنكليزي، في ما يبقى التوجه أو الخيار الأخير للأسطورة، هو الاكتفاء بما قدمه في أعلى مستوى تنافسي في كرة القدم، ويقضي أيامه الأخيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، مع أحد فرق «الميجور ليغ»، في موسم أو اثنين للنقاهة والمساهمة في رفع مستوى شعبية اللعبة في بلاد العم سام، قبل أن يستسلم للطبيعة البشرية ويعلن اعتزاله كرة القدم نهائيا، والآن جاء دورك عزيزي القارئ لتخبرنا بتوقعك لوجهة الدون في الموسم الجديد.

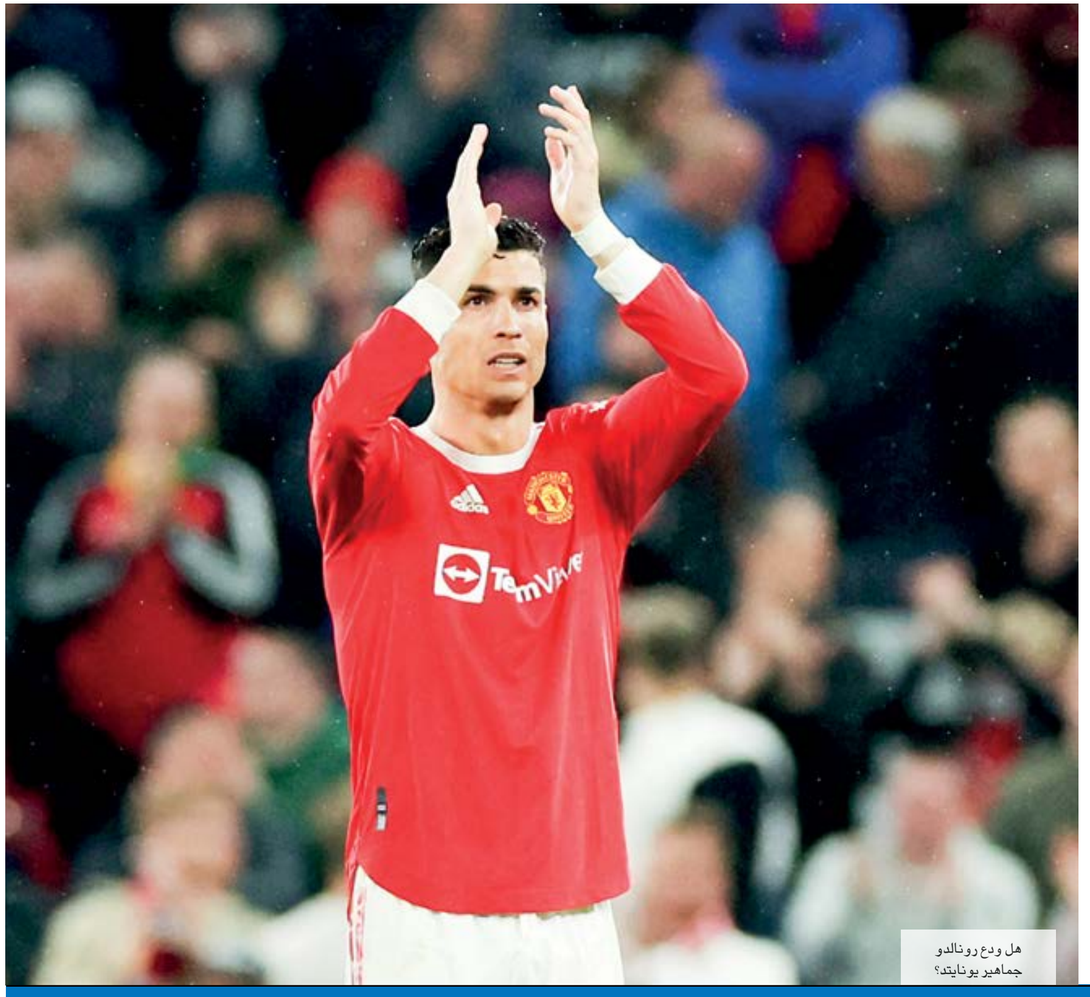

هل ودع رونالدو جماهير يونايتد؟

رولي حارس فياريال ارتكب خطأ فادحاً مع ماني مهاجم ليفربول

الفريق المفاجأة

لندن – «القدس العربي» من جواد صيدم:

في تحوّل صادم، تمكن الفريق الإسباني فياريال مؤخراً من إحداث صاعقة كبيرة في عالم كرة القدم عندما أطاح بغريمه الألماني العملاق بايرن ميونيخ، وذلك بعد أن أطاح بكبير الطليان يوفنتوس، ضمن منافسات دوري أبطال أوروبا ليترشح لمواجهة فريق ليفربول في الدور نصف النهائي. ومع مفاعيل هذه الصدمة ذهب البعض منّا، وأنا منهم، إلى حد الاقتناع بأن الفريق الإسباني المتحدر من مدينة فياريال التابعة لمقاطعة كاستيون شمال مدينة بلنسية سيتمكن من تخطي عقبة غريمه الإنكليزي ليفربول لا محالة، كما فعل مع يوفنتوس وبايرن ميونيخ قبل ذلك. وقد أسست هزيمة فريق بحجم العملاق البافاري لهكذا قناعة، حيث ذكرتنا بأن عقارب كرة القدم، أي بمعنى جودة اللاعبين فوق ارضية الميدان في فريق معين، تتوقف عن الدق عندما يأتي يتعلق الامر بالروح والشغف. فكرة القدم هي لعبة روح وشغف وبإمكان عناصر كهذه التفوق على أي معطيات أخرى يتميز بها فريق الخصم.

لكن مواجهة كتيبة ليفربول ومحمد صلاح قبل أيام كشفت حجم الخطأ الذي وقع فيه البعض. ففياريال فريق بلا حارس مرمى، أي تماماً كما المنزل الجميل بلا بوابة، فقد انهار مرمى فياريال أمام ضربات صلاح وماني ورفاقهما، أمام هزالة حارس فياريال وضعف أدائه وارتباكه أمام ضربات وهجمات المارد الأحمر ومغامراته الكارثية التي دفعت به خارج خطوطه التقليدية، فحلت الكارثة.

ما يأخذني إلى النقطة الأبرز والأهم التي تعلمناها من المباراة الأخيرة بين الحمر وفياريال، وهي أن الحارس هو عمود الاساس في أي فريق او مشروع رياضي طموح. فصدق من قال ان حارس المرمى يجلب الألقاب. وعلى الصّعيد الأوروبي وبالنظر الى المتوجين بدوري أبطال أوروبا خلال أي من السنوات السابقة، فنلاحظ عدم وجود بطل لديه حارس مرمى ضعيف الشخصية. وخير مثال هو مانويل نوير عام 2020 الذي تألق في مركزه بشكل ملحوظ.

ففي قلب كل منظومة كروية ناجحة حارسٌ يملأ مرماه ويقف سداً منيعا في اللحظات الصّعبة التي تواجه فريقه قبل السهلة. وهذا ما لم يتوفر عند الغواصات الصفر فياريال. فبعد أن فعل المدرب أوناي إيميري كل ما في وسعه ووضع فريقه على ستة قلب نتيجة المواجهتين رأساً على عقب في ملعب «لا سيراميكا» جاء الحارس الأرجنتيني جيرونيمو رولي بالهفوة الكبرى، حيث تلقى هدفين في ظرف دقائق معدودة بين قدميه ومن ثم اندفع الى نصف الملعب في محاولة لصد مرتدة مهاجم ليفربول السنغالي ساديو ماني ليسقط أرضاً ويحرز من بعدها «الريدز» هدفه الثالث.

ذكرني هذا السيناريو بنسخة ليفربول 2017/2018 الذي تأهل ووصل الى نهائي دوري أبطال أوروبا 2018 عن جدارة واستحقاق بعد أن بنى المدرب الألماني يورغن كلوب منظومة تنافسية قوية. ومع مرور وقت المباراة ظهرت جودة كلا الفريقين وتقارب مستوياتهم، إلى أن أتى حارس ليفربول الألماني لوريس كاريوس بهفوة كبيرة جعلته يهدي هدفين الى الخصوم ويضحي بلقب المسابقة الى الميرينغي ريال مدريد.

وما يؤكد على أن الحارس هو الركن الأساسي في أي فريق متكامل، إذ يمكن لهفواته أن تسرق مجهود فريق كامل كما حصل مع رولي وفياريال مؤخراً وكاريوس في نهائي عام 2018، أو يمكن أن ينهض وينقذ فريقه في أصعب اللحظات كما فعل مارك اندريه تير شتيغن في عدة مناسبات مع ناديه برشلونة في دوري أبطال أوروبا عام 2015.

فلولا رولي لرأينا الغواصات الصفر في نهائي دوري أبطال أوروبا للمرة الأولى في التاريخ، ما يؤكد أن مركز حراسة المرمى يجلب لك البطولات ويغير مجرى اللقاء في جميع المباريات.

سر ريال مدريد في دوري الأبطال!

أشعل ريال مدريد مدرجات «سانتياغو بيرنابو» ليلة الأربعاء الماضي، في اثارة غير مسبوقة في تاريخ منافسات دوري أبطال أوروبا عندما عاد من تحت الرماد ليستفيق ويتعملق مثل طائر الفينيق بتسجيله هدفين في غضون دقيقتين في نهاية المباراة ليعادل بهما مجموع أهدافه مع مانشستر سيتي قبل ان يسجل هدف الحسم في الوقت الأضافي الأول ويتأهل الى المباراة النهائية.

هو لم يفعلها مرة، ولا حتى مرتين فقط، بل ثلاث مرات على التوالي، بدءاً من دور الـ16 أمام باريس سان جيرمان ومن ثم أمام تشلسي حامل اللقب في ربع النهائي واخيراً أمام السيتي في نصف النهائي، لتثور ثائرة جماهيره وتعيد سبب الانتصارات الى «شخصية بطل» و«حنكة» و«خبرة»، في حين امتعض مشجعو منافسيه واعتبر بعضهم ان السبب هو «الحظ» وقال آخرون انهم «اشتروا الحكام».

طبعاً في العمل الاعلامي والصحافي المحترف لا تطلق الأوصاف جزافاً كـ«شخصية بطل» على فريق كان الاسوأ في المباريات الست التي لعبها في أدوار خروج المغلوب، من جهة الاحصاءات والارقام ونسب الاستحواذ والفرص على المرمى، مثلما حدث مع الريال، بل حتى انتصاره في «ستامفورد بريدج» على تشلسي 1/3، سنحت فيه للبلوز 20 فرصة 5 منها على المرمى، في مقابل 8 فرص للريال 5 منها على المرمى مع نسبة استحواذ 57% للبلوز، وهي أرقام مشابهة لكل مبارياته الخمس الأخرى، بل أسوأها ما حصل في باريس عندما لم يسدد أي كرة على المرمى من 3 فرص، في مقابل 21 فرصة منها 8 على المرمى لسان جيرمان، اذ ان هذا المصطلح (شخصية البطل) يطلق على فريق يتسيد المباريات ويسيطر على خصومه وتكون له الأفضلية بالأرقام، حتى ان لم يحرز اللقب، يبقى أنه اظهر هذه الشخصية، لكن لا يمكن اطلاقها على عكس ذلك. وأيضاً لا يمكن اعتبار عامل «الحظ» هو السبب، في أكثر من مناسبة، لأن تفسير كلمة الحظ في قاموس كرة القدم هو عبارة عن أحداث تقع خلال المباريات تأتي لمصلحتك بفضل مثابرتك وعزيمتك واصرارك، ان كان بعدم استقبال هدف أو بتسجيل هدف، أي انت من يصنع هذا الحظ. أما ما يخص «الحكام» فأنا ابتعد عن نظرية شراء الذمم وتخاذل الحكام، لان ببساطة لو درسنا كل مباراة سنجد أخطاء من الحكام لكلا الفريقين، ولكن طبعاً ضمن هامش مقبول يسمح بالقول انه كان بامكان الفريق الخاسر ان يسجل أهدافاً أكثر بدل التعلل بخطأ الحكم، وطبعاً ضمن النطاق المسموح به.

لكن فعلا «الحنكة» و«الخبرة» لعبتا دوراً حاسماً في عودة الريال من الموت وقلب الخسائر المحققة الى انتصارات، خصوصاً انه حتى أشد المتفائلين من جماهيره كان يؤمن بان النهاية باتت محتومة في كل من المواجهات الثلاث خلال المباريات الست في الادوار الاقصائية، بل أصبح الريال، ومنذ إدخال دور الـ16 الى المسابقة في موسم 2003–2004، أول فريق يخسر مباراة في ثمن وربع ونصف النهائي وينجح في بلوغ المباراة النهائية. لكن ما هو السر الحقيقي خلف العودة من بعد فقدان الأمل في كل المواجهات الثلاث بعد تأخر او اقصاء أكيد في غالبية أوقات المباريات؟

السر يكمن في المدرب الايطالي كارلو أنشيلوتي، ونظرية «اثارة الفوضى العشوائية عند الخصوم». فبعد التأهل على حساب باريس سان جيرمان علقت بالقول، ان هذا التأهل لم يكن بـ«الحظ» مثلما ادعى الكثيرون، حتى منهم من هو من أنصار الريال، بل قلت انها «عبقرية» من أنشيلوتي في اختيار التوقيت المناسب في ادخال أصحاب الجهد والطاقة على حساب أصحاب الخبرة، ليثير الذعر في نفوس دفاعات الخصم ما قاد الى الارتباك وبالتالي الى ارتكاب بعض الأخطاء الساذجة خصوصا من الحارس دوناروما. لكن بعد هذا التعليق لم أقرأ لا عربياً ولا أجنبياً من يشاطرني الراي، واعتقدت انني بالغت في هذا الرأي، رغم أنني لا أنجرف خلف العواطف الكروية ولست مشجعاً لا للريال ولا لأنشيلوتي الى درجة تقودني الى هذه الاشادة او «المجاملة»، خصوصا انه بعدها بأيام بدأت الصحافة المدريدية تتحدث عن حتمية اقالته، بل زادت الوتيرة بعد الخسارة القاسية في «بيرنابيو» برباعية نظيفة أمام برشلونة. لكن ما رأيناه بعد ذلك أمام تشلسي عزز شكوكي، بل قادني الى البحث التحليلي لمبارياته الست، خصوصاً مباريات الاياب الثلاث، لأكتشف انه فعلا كلما شارك رودريغو وكامافينغا والى حد أقل فازكيز، وهم أصحاب الطاقة، في أوقات محددة من المباراة يبدأ الضغط والارتباك عند الخصوم، وسيكولوجيا تصبح الوتيرة التصاعدية لمصلحة الريال، وتزيد فرص فوزه بالمباراة والمواجهة، رغم التوقيت القاتل مثلما حدث في المباراة الأخيرة، وهو ما قاد الى اعتباري ان هذا «الثعلب» الايطالي يدرك ان ليس لديه المواهب ما يكفي لمجاراة الفرق المدججة بالنجوم لكنه يملك ما يكفي من الحنكة والدهاء للفتك بهم في الأوقات القاتلة، وهذا هو السر بكل بساطة.

@khaldounElcheik

مجتمع

«القدس العربي» تستطلع آراء ثلاثة اختصاصيين
أية سياسة تربوية للناشئة العربية في العصر الحديث؟

عبد معروف

تطورت التربية الحديثة خلال العقود القليلة الماضية، ومعها تطور التعليم الحديث وشهد العالم تحولًا من العمل الصناعي إلى أعمال تكنولوجيا المعلومات.

فهل يفتح هذا التطور الباب أمام نقاش في نوعية التربية التي تمكّن الناشئة العربية من التأقلم ثم المساهمة في عالم اليوم الذي تتحكم به قوى عظمى؟

ما تعقّله الشعوب في العولمة هو التسلط المادي والتنافس الاحتكاري الذي يحمل في طياته معاني القتل والعنف ضد الآخر، وبأساليب خفية تصبح بسبب هذا التخفي أشد عنفا وأكثر خطورة. ولعل الدافع الحقيقي وراء السؤال المطروح في هذا المحور هو الخوف من انهيار القيم الإنسانية والخصوصيات الدينية والأخلاقية التي تربى عليها الجيل الماضي.

وترى الأستاذة الجامعية الدكتورة أمل دبيو أن الأسئلة كثيرة في هذا المجال، والسؤال الأول الذي يمكن طرحه يبحث في الأسس التي ارتكزت عليها التربية في زمن ما قبل العولمة؟ هل نجحت؟ ما العولمة وماذا تتحدى وهل بإمكاننا التعاطي الحكيم و العاقل، ومن ثم هل يمكننا رفع التحدي؟

ما عرفناه في التربية أنه في أصل حروفها هما «ر» و «ب» ويجتمعان في صفة نطلقها على من اتقن عملا ما أو تمكن منه، فقيل مثلا عن النجار إنه «رب النجارة» وعن ذلك الآخر إنه «رب العلم» أو «رب المعرفة» ولكل المهن والحرف أربابها. لا بد من هذا المنظور أن يكون هدف التربية الإنسانية العامة أن تمكن الناشئة من إتقان مهنة الوجود بحيث يصبح الناشئون أربابا مالكين زمام أمرهم وبالتالي أقوياء في الحياة. والسؤال المباشر اللّصيق بهذا هو أي قيمة للحياة تضع التربية نصب عينيها؟ وما هي الحياة الحقة، أهي تلك التي تؤمن السعادة الحقيقية حتى يتقنها الناشئة؟ وأساس البحث في هذا كامن في السؤال: هل من قيم مطلقة لتتقيد بها التربية في زمن العولمة؟ أم هل تتلون التربية بألوان الحياة المتغيرة ومتطلباتها ليصبح عندنا تربية على السلام في زمن الحرب، وتربية على حقوق الإنسان في زمن القهر والظلم، وتربية على المقاومة والتقويم؟ أم هي التربية على العنف في زمن الحرب حتى الانتصار، وتربية على الاحتيال في زمن الغش والرياء، أو تربية على الاستيراح في زمن التجارة الحرة؟ وهذه التربية الأخيرة هي دربة أي سير على الدرب السهل الذي يؤدي إلى الربح السريع.

لقد تقيدت التربية حتى زماننا هذا بالترتيب الكوني الكلاسيكي الذي عرفه اليونان واكتشفوه في أسرار الخلق وترتيب المخلوقات وطبائعها فاعترفوا بخالق وتقيدوا بالحق والجمال والخير.

إن التحدي في زمن العولمة هو في أن نبحث في موروثنا عما يصلح للتطور وللحياة الحقة التي تسعد بالحق وتفرح بالمعرفة والتقدم للجميع، وبالإبداع والخلق والتجدد. والإنسان الجديد الذي نريده بالرغم من العولمة المادية هو سيد في إنسانيته كريم حر يفرح للآخرين بما يفرح لنفسه. وشرط النجاح في هذا هو المشاركة والعدالة. ومن ثماره السلام والازدهار والتقدم فلا تربية على السلام مباشرة. إنها التربية على احترام حقوق الآخرين، عندها يزهر المجتمع سلاما. ولا بد للقوي أيضا من فهم هذا فيتسخدف، كما أنه لا بد للمستضعف من أن يعرف أن قدراته ليست دون قدرات غيره إلا بما كبل نفسه به من تقاعس وتهاون واستلذاذ بالتفاهات.

وبرأي الدكتور حمود السهيل أن التعليم في العصر الحديث شهد العديد من التطورات التي انعكست على تحقيق الإيجابية بالنسبة لجميع محاوره المعلم والمتعلم والمنهج والوسيلة التعليمية التي يتم من خلالها اكتساب المحتوى التعليمي.

فعلى صعيد المعلم، أصبح أكثر قدرة على الأداء نظرا لزيادة خبراته التعليمية وقدرته الفنية والمهارية نتيجة ما يتلقاه من دورات تدريبية تقوم بها المؤسسات التعليمية تنفيذا لتعليمات وزارة التربية والتعليم، هذه الدورات تزيد من خبراته في التعامل مع الصعوبات التعليمية التي تواجهه أثناء ممارسة وظيفته داخل البيئة الصفية أو أثناء قيامه بالتعلم عن بُعد.

وعلى مستوى المتعلم، فقد أصبح قادرا على تلقي المحتوى التعليمي والتواصل مع المعلم سواء بشكل مباشر من خلال الحضور في البيئة الصفية أو التعلم بشكل غير مباشر مثل التعلم عن بُعد أو التعلم الذاتي نتيجة لقدرته على التحصيل العلمي سواء من المنهج المقرر أو مما تضمنته شبكة الإنترنت من معلومات أو التواصل غير المباشر مع المدرسة أو الجامعة ليتم التعلم عن بُعد بدون الحاجة إلى السفر أو الذهاب إلى البيئة التعليمية التقليدية مثلما كان عليه التعليم في السابق.

وعلى صعيد المنهج، فقد تم تطويره بشكل كبير عما كان معمولا به ومطبقا في السابق، ما سهل التعرف عليه واكتساب المعرفة من خلاله، فعلى سبيل المثال تم تفريغ محتوى المنهج وتقديمه للطلاب من خلال عروض تقديمية أو مقاطع فيديو أو غير ذلك من الوسائل التعليمية ما بسطه وساهم في عدم عزوف الطلاب عن التعلم بدلا من الاعتماد على المنهج الورقي الذي كان يثقل كاهل الطالب من حيث حمله والذهاب به بشكل يومي إلى المدرسة، فضلا عن كثافة المنهج الذي كان يؤدي إلى صعوبة التحصيل الدراسي، ما ينعكس بالسلب على المستوى التعليمي ويؤدي إلى عزوف الطلاب عن عملية التعلم.

أما الوسيلة التعليمية فقد تعددت وتطورت، فهناك التعلم الإلكتروني والتعلم عن بُعد وغيرهما فضلا عن تطور الوسائل التعليمية من خلال استخدام وسائل تقنية تسهم في التعرف على محتوى المنهج المقرر ما يزيد من المستوى التحصيلي للطالب.

ويمكن القول إنه رغم الميزات التي تم عرضها بالنسبة للتعلم الحديث، فما زالت هناك بعض الإيجابيات للتعليم القديم، فهو ليس سلبيا بشكل كلي بل يتضمن بعض الإيجابيات، ولذلك نرى ضرورة إخضاع التعلم التقليدي للدراسة والتعرف على مميزاته التي يمكن الاستفادة منها في المستقبل، والتخلص من السلبيات التي يتصف بها.

إذا كان لا يمكن الحديث عن ناشئة عربية واحدة بسبب التعدد السياسي والديني والاقتصادي والحزبي على امتداد الأرض العربية، وإذا كان يعتبر من المثالية الحديث عن سياسة تربوية واحدة يمكن إتباعها في الدول العربية العديدة والمختلفة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وديموغرافيا، فإنه أولا يمكن إيجاد نقاط مشتركة بين جميع السياسات التربوية للناشئة في الدول العربية في الماضي والحاضر، ويمكن ثانيا اقتراح بعض الأفكار لسياسة تربوية للناشئة العربية في ظل العولمة التي أفضل استخدام مصطلح التغريب أو الأمركة لتسميتها في ظل سيطرة القوى العظمى على العالم عسكريا وثقافيا واقتصاديا.

وقال أستاذ العلوم الاجتماعية بالجامعة اللبنانية الدكتور خضر الضو «وفي ما يتصل باستجلاء النقاط المشتركة للسياسات التربوية العربية نسجل ما تتسم به هذه السياسات اليوم من ماضوية وسلفية وجمود، أي أنها لا تطويرية ولا تغيرية، دينية وغيبية، إقليمية ضيقة وتعصبية دينيا وجنسيا وحزبيا ووطنيا وعائليا، ولا إنسانية وغير ديمقراطية. كما أنها سياسة تربوية إيدلوجية لأنها تجسيد لأفكار الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية السائدة في كل كيان. وهي كذلك كتبية وغير تطبيقية، فلسفية وغير علمية، نظرية وغير مهنية، استهلاكية وغير إنتاجية ولا تخدم التنمية الشاملة، نقلية عن الآخرين وتقليدية لهم ولا تعتمد على البحث العلمي والميداني، متناقضة واستسلامية، قديمة في أهدافها ومناهجها وفي طرق تقديمها وفي اختصاصها».

أما بخصوص النقاط المقترحة لسياسة تربوية للناشئة العربية في ظل العولمة، فيلاحظ الدكتور الضو، أولا أن غالبية دول العالم تتجه نحو التكتل سياسيا واقتصاديا وعسكريا، في حين نجد أن التجزئة والإقليمية تسيطران على المنطقة العربية سياسيا وعسكريا واقتصاديا. وأمام هذا الوضع سجل الدكتور الضو الاقتراحات التالية على صعيد السياسات التربوية العربية المستقبلية.

– ضرورة التركيز على التربية الموحدة لجميع أفراد الناشئة في الأقطار العربية والابتعاد عن التعصب والتقوقع والإقليمية، لأن مستقبل جميع الشعوب العربية مهدد سياسيا واقتصاديا وثقافيا، في ظل زحف القوى العظمى في المنطقة.

– احترام الإنسان دون النظر إلى دينه وجنسه ولونه ومنحه حريته وحقوقه في مختلف المجالات والميادين الدينية والفكرية والسياسية والاقتصادية.

– العمل على التغيير والتطوير في جميع الميادين.

– تنمية العلوم ونشر الثقافة العلمية والابتعاد عن التفسيرات الخرافية وإخضاع جميع المشكلات للحلول العملية والعلمية.

– نشر مناخ الحرية والديمقراطية في البيت والمدرسة، وأماكن العمل ومؤسسات النظام السياسي والاقتصادي.

– تشجيع الإنتاج والتطبيق والعمل.

– التعاون بين البيت والمدرسة والمجتمع لإنتاج تربية غير متناقضة الأهداف والأساليب والمبادئ.

– إنتاج الفكر الناقد والمقاوم داخليا وخارجيا.

– الاهتمام بالماضي والحاضر وبالمستقبل للأفراد وعدم حصر اهتمامهم فقط في الماضي وفي الغيب.

– تشجيع روح التعاون الجماعي والابتعاد عن تقديس الأفراد والأنظمة والأفكار والأعمال.

– تأمين المساواة في الفرص الحياتية أمام جميع الأفراد، وخدمة التنمية الشاملة ونشر التطبيق والعمل والتربية المهنية.

– إشراك أهل التربية والاختصاص والناشئة والأهل في وضع السياسات التربوية وعدم حصر إعدادها في لجان السلطات السياسية والاقتصادية.

– الاهتمام بإنشاء الجامعات ومراكز الأبحاث وتشجيع العلماء برفع مكانتهم المادية والمعنوية، والاهتمام بالتربية الشاملة للفرد وذلك بتنمية شخصيته جسديا وفكريا واجتماعيا ونفسيا وروحيا وفنيا ووطنيا وإنسانيا.

– الاهتمام بالشباب وبمتطلباتهم وإشراكهم في القرارات السياسية والاقتصادية، وفصل الدين عن السياسة واعتماد التفكير العلمي في إدارة جميع القضايا الحياتية.

– تشجيع الحوار مع الآخر بعيدا عن العصبيات الدينية والقومية والثقافية والحزبية وغيرها.

– مشاركة العالم همومه ومشاكله والتقرب منه والاستفادة من تقدياته في كافة الميادين ومشاركته في الإنتاج المادي والفكري والثقافي، بعد أن طال زمن الاقتباس والتقليد.

– الاستفادة من التكنولوجيا في طرق التعليم والبحث العلمي وتطعيم التعليم العام بالمواد التطبيقية والمهنية والتقنية.

اسكندر كباب بالدجاج

المكونات

نصف كيلو فيليه دجاج مقطع مكعبات
4 ملاعق كبيرة صلصة طماطم
3 حبات طماطم
2 كوب لبن زبادي
فصّان ثوم
2 رغيف خبز مقطع مكعبات محمص أو مقلي
2 ملعقة كبيرة بقدونس مفروم
ملح
فلفل أسود
– بهارات مشكلة بصلة
ملعقتان كبيرتان زيت نباتي

طريقة التحضير

لتحضير صلصة الزبادي: نجهز وعاء للخلط، ونضع اللبن الزبادي والثوم والملح ونخلط جيداً.

نضع الزيت النباتي في مقلاة ونقلي البصل حتى يتشوح ويتحول لونه إلى الذهبي، ثم نضيف مكعبات الدجاج، ونقلب لعدة دقائق حتى يتحول لونها إلى الأبيض.

نبهر بالملح، والفلفل الأسود، والبهارات ثم نضيف صلصة الطماطم، والطماطم المبشورة، ونقلب جيداً ثم نضيف ربع كوب من الماء ونتركه حتى يتسبك الدجاج مع الصلصة.

في طبق التقديم نضع الخبز المحمص أو المقلي ثم نوزع فوقه الدجاج مع الصلصة، ونضع صلصة الزبادي على الوجه.

تزين الطبق بالبقدونس المفروم.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

الشعور بالغثيان وعلاجه منزليا

الشعور الدائم بالغثيان أمر مزعج للغاية، خاصة وأنه ترافقه غالبا رغبة بالتقيؤ. فما أسباب هذا المرض؟ وما هي المواد المنزلية التي تساعدنا في التخفيف منه أو التغلب عليه؟

يبدو الغثيان والرغبة بالتقيؤ مزعجا للغاية للشخص المريض، ولكنه أمر طبيعي ضروري لتنبيه الشخص بشكل واضح أن هناك خللا في الجسم. فإذا واجهت المعدة والأمعاء الدقيقة مادة ضارة أثناء عملية الهضم، فإنهما يرسلان على الفور إشارات عصبية إلى مركز التقيؤ في الدماغ، فيُصاب الشخص بالغثيان. وهكذا ينسق الدماغ مع جهاز التنفس والقلب والأوعية الدموية ويعطي الأمر لعضلات الأمعاء والحجاب الحاجز للتقلص بشكل عنيف. وبالتالي يحصل الضغط على محتويات المعدة والأمعاء الدقيقة بقوة كبيرة كي يتقيأ الشخص المعني.

الأسباب

هناك العديد من الأسباب التي تؤدي للإصابة بالغثيان أو حتى التقيؤ، تتراوح من أسباب سهلة العلاج إلى أسباب خطيرة تحتاج إلى علاج من قبل الطبيب. هناك مثلا: الاشمئزاز، والضغط العصبي، ودوار الحركة، والحمل، وتناول الكافيين والنيكوتين والكحول، والصداع النصفي، والالتهابات كالتهاب الغشاء المخاطي في المعدة. ومن الأسباب أيضا عدم تحمل الطعام، وتهيج المعدة، والمغص، والتهاب الحوض الكلوي.

مواد منزلية مفيدة

هناك أدوية تباع في الصيدليات مناسبة ضد الغثيان. ولكن إذا لم تتوفر مثل هذه الأدوية فيمك اللجوء إلى مواد متوفرة في المنزل تساعد على علاجه ويمكنك استخدامها بسهولة:

الدفء: سواء باستخدام زجاجة الماء الساخن أو وسادة من نوى الكرز، فالدفء يساعد على تهدئة المعدة وإرخاء العضلات المتوترة.

شرب رشفات صغيرة من بعض الأعشاب: مثل الشاي المصنوع من النعناع أو البابونج، يمكن شربه برشفات صغيرة. كما يعتبر الزنجبيل فعالا بشكل جيد لأن له تأثيراً طبيعياً مضاداً على القيء (أي قمع المرض). ويمكن تناوله كشاي أو مضغ شريحة من الزنجبيل.

بالإضافة إلى الزنجبيل، هناك أطعمة أخرى لها أيضا تأثير مضاد للقيء كالليمون وخل التفاح والجزر وغيرها من الأطعمة الغنية بالألياف.

استنشاق بعض الهواء النقي: عليك بالهواء النقي. افتح النوافذ وابتعد عن الروائح الكريهة. وإذا كنت قادرا، حاول أن تمشي في الهواء الطلق. واحصل على الهدوء، وأرح نفسك لبعض الوقت. لأن المنبهات الخارجية تحفز الغثيان.

ماذا نأكل عند الإصابة بالغثيان؟

مبدئيا: تجنب الوجبات السريعة، والأطعمة الدهنية، والأطعمة الحارة، والحلويات. معدتك تحتاج إلى أطعمة سهلة الهضم. مثلا، بطاطا طرية، رز، خضار مطهوة على البخار، معكرونة، معجنات، ومرق الخضار أو مرق اللحم البقري إذا لم تتقبل معدتك أي شيء صلب. ويجب تجنب منتجات الألبان قدر الإمكان، لأنها تعتبر عبئا على جهاز الهضم.

(Dw)

الحمل

تبدو اليوم حساسا وتسيء فهم زملائك

الثور

تقبّل النصائح من الشريك واعمل بها

الجوزاء

تكون قاسياً بانتقادك لزملائك في العمل

السرطان

لا تترك العصبية تسيطر عليك

الاسد

مفاجآت سارة على صعيد العمل

العذراء

تتلقى أخباراً جيدة

الميزان

لا تشغل عقلك بوعود واهية

العقرب

لا تنخدع بالمظاهر وبالإعلانات

القوس

اعمل جاهداً لتبقي صحتك ممتازة

الجدي

كن أكثر نشاطا وعطاء في عملك

الدلو

رتب أولوياتك في العمل

الحوت

تجنب القيام بأعمال مرهقة هذا اليو

جديد الطب

خمس وفيات لأطفال بالتهاب كبد غامض في الولايات المتحدة

أعلنت السلطات الصحية الأمريكية أمس أنها تحقق في 109 إصابات غامضة بالتهاب الكبد لدى أطفال في الولايات المتحدة أسفرت عن خمس وفيات. وتثير التهابات الكبد الحادة هذه أيضا مخاوف في أوروبا حيث سُجلت حالات كثيرة، وينكب علماء من العالم أجمع على البحث عن أسبابها.

وفي الولايات المتحدة، رُصدت الحالات في 25 ولاية ومنطقة أمريكية، ويبلغ معدل أعمار الأطفال المصابين سنتين فقط، وفق ما أعلن مسؤول في المراكز الأمريكية لمراقبة الأمراض والوقاية منها.

وبسبب صغر سنهم، كان أكثرية الأطفال المعنيين غير مؤهلين لتلقي اللقاح المضاد لكوفيد-19.

وأوضح المدير المساعد المكلف شؤون الأمراض المعدية في مراكز «سي دي سي» غاي باتلر أن «التلقيح ضد كوفيد-19 ليس السبب» وراء هذه الإصابات، قائلا إنه يسعى من خلال هذا التصريح إلى قطع الطريق أمام شائعات متداولة عبر الإنترنت.

ولفت في المقابل إلى أن الإصابة بكوفيد-19 قد تكون سببا محتملا لهذه الحالات.

غير أن «سي دي سي» ترجح أن تكون الإصابات مرتبطة بنوع من الفيروسات الغدانية، وهي فيروسات شائعة لكن لم يُنسب لها سابقا التسبب بالتهاب الكبد لدى أطفال في صحة جيدة.

وجرى التأكيد على أن أكثر من نصف الأطفال المصابين في الولايات المتحدة ثبتت إصابتهم بفيروس غدائي يُمسى «النوع 41» ويُعرف عنه أكثر التسبب بالتهاب المعدة والأمعاء، ورُصد هذا الفيروس الغدائي أيضا لدى أطفال كثيرين أصيبوا خارج الولايات المتحدة.

ومن الفرضيات المطروحة هو أن الرد المناعي على هذا الفيروس الغدائي قد يتعطل جراء عوامل أخرى مثل الإصابة بكوفيد-19 أو عوامل بيئية مثل الاحتكاك مع حيوانات أو التعرض لتوكسينات.

وأكد غاي باتلر أن «المحققين هنا وفي العالم يعملون على تحديد السبب».

وتشجع السلطات الصحية الأهل على مراقبة الأعراض المحتملة لدى الأطفال (بينها التقيؤ والبول الداكن والبراز الشاحب واليرقان) والاتصال بالطبيب في حال ظهور أي أعراض مقلقة.

وقبل أسبوعين، أصدرت مراكز «سي دي سي» تحذيرا صحيا موجها إلى الأطباء لحملهم على إعلام السلطات لدى تسجيل أي إصابة مشبوهة بالتهاب الكبد غير المحدد المصدر.

وسُجلت الحالات الـ109 خلال الأشهر السبعة الماضية، وفق باتلر الذي لفت إلى أن 14 في المئة من الأطفال المصابين خضعوا لعملية زرع للكبد.

وفيما أدخل 90 في المئة من الأطفال المعنيين إلى المستشفى للمعالجة، فإن أكثريتهم شُفيوا من الإصابة.

وقال باتلر «ندرك أن هذا النبأ قد يكون مقلقا، خصوصا لأهالي الأطفال الصغار. من المهم التذكير بأن حالات التهاب الكبد الحاد هذه نادرة».

وأوضح أن عدد حالات إدخال الأطفال إلى قسم الطوارئ بسبب التهاب الكبد ليس مرتفعا بصورة غير طبيعية حاليا في الولايات المتحدة، خلافا لما هو عليه الوضع في بريطانيا.

ورُصدت 163 إصابة بهذا المرض الغامض في المملكة المتحدة، على ما أعلنت السلطات الصحية البريطانية الجمعة. وفي خارج الولايات المتحدة، سُجلت أكثر من مئتي حالة، وفق ما أعلن مسؤول آخر في مراكز «سي دي سي». (أ ف ب)

دراسة علمية حديثة تكشف عن تهديد جديد للبشرية

لندن ـ «القدس العربي»:

خلصت دراسة علمية جديدة إلى أن ثمة تهديد جديد يواجه البشرية ويواجه الحياة على الكرة الأرضية، ويتمثل في احتمالات ذوبان جبال من الجليد بسبب التغير المناخي، بما سيؤدي إلى كوارث طبيعية وبيئية غير مسبوقة.

وكشفت الدراسة أن دورة الماء على الأرض تتسارع بسبب تغير المناخ، مما قد يؤدي إلى مزيد من العواصف والأمطار الشديدة وذوبان القمم الجليدية بشكل أسرع، بحسب ما نقلت مجلة «ساينتيفيك ريبورتس» العلمية المتخصصة.

ويتوقع علماء المناخ حدوث زيادة في تبخر المياه من البحار والمحيطات، مع ارتفاع درجات الحرارة العالمية، مما سيؤدي إلى جعل الطبقة العليا من البحر أكثر ملوحة وإضافة الماء إلى الغلاف الجوي على شكل بخار.

وسيؤدي هذا بدوره إلى زيادة هطول الأمطار في أجزاء أخرى من العالم، مما يساهم في تمييع بعض المسطحات المائية لجعلها أقل ملوحة.

ويمكن أن يكون لهذا التسريع في دورة المياه آثار عميقة على المجتمع الحديث مما يؤدي إلى الجفاف ونقص المياه بالإضافة إلى المزيد من العواصف والفيضانات الشديدة.

وقالت المؤلفة الرئيسية للدراسة إستريتا أوليدو: «إن تسريع دورة المياه له آثار في كل من المحيط والقارة، حيث يمكن أن تصبح العواصف شديدة بشكل متزايد».

ويمكن لهذه الكمية العالية من المياه المتداولة في الغلاف الجوي أن تفسر أيضا الزيادة في هطول الأمطار التي يتم رصدها في بعض المناطق القطبية، حيث تؤدي حقيقة هطول الأمطار بدلا من الثلج إلى تسريع الذوبان.

ولإجراء الدراسة حلل الباحثون في معهد العلوم في برشلونة «ICM-CSIC» بيانات ملوحة سطح المحيط، التي يتم قياسها بواسطة الأقمار الصناعية.

وتعد ملوحة المحيط ضرورية لفهم دوران المحيطات، وهي أحد العوامل الرئيسية في فهم المناخ العالمي، حيث يعتمد هذا الدوران على كثافة الماء التي تحددها درجة حرارتها وملوحتها.

ويمكن للتغييرات في هذين المعيارين، مهما كانت صغيرة، أن تكون لها عواقب مهمة على المناخ العالمي، مما يجعل من الضروري مراقبتها من كثب.

وسمحت بيانات الأقمار الصناعية للباحثين باكتشاف تأثير «التقسيم الطبقي» على مناطق كبيرة جدًا في المحيط، والتقسيم الطبقي هو تقسيم عمود الماء إلى طبقات ذات كثافات مختلفة بسبب الاختلافات في درجة الحرارة أو الملوحة أو كليهما.

وقالت أوليدو: «لقد تمكنا من رؤية أن ملوحة السطح تُظهر تكثيفا لدورة الماء لا تفعله الملوحة الجوفية، على وجه التحديد، في المحيط الهادئ، رأينا أن ملوحة السطح تتناقص بشكل أبطأ من الملوحة تحت السطحية، وفي هذه المنطقة نفسها، لاحظنا زيادة في درجة حرارة سطح البحر».

وتظهر الدراسة أيضا أن انخفاض الرياح في بعض مناطق المحيط يمكن أن يساهم في تسريع دورة الماء، وذلك لأن الرياح تخلق موجات، مما يساعد على إثارة طبقات مختلفة من عمود الماء.

وقال أنطونيو توريل مؤلف آخر للدراسة: «عندما لا تكون الرياح قوية جدا، ترتفع درجة حرارة المياه السطحية، لكنها لا تتبادل الحرارة مع المياه الموجودة تحتها، مما يسمح للسطح بأن يصبح أكثر ملوحة من الطبقات السفلية».

وأضاف: «هذا يخبرنا أن الغلاف الجوي والمحيط يتفاعلان بطريقة أقوى مما كنا نتخيل، مع عواقب مهمة على المناطق القارية والقطبية».

وتسمح بيانات الأقمار الصناعية على عكس بيانات الملوحة الجوفية، التي يتم قياسها في الموقع باستخدام عوامات المحيط، للباحثين بتحليل تأثير التقسيم الطبقي على مناطق واسعة جدا في المحيط.

ويرجع ذلك إلى قدرة الأقمار الصناعية على قياس البيانات بشكل مستمر، بغض النظر عن الظروف البيئية وإمكانية الوصول إلى مناطق مختلفة من المحيط.

وقال توريل: «يجب أن توحد نماذج المحيطات استيعاب بيانات ملوحة الأقمار الصناعية، لأن المعلومات التي تقدمها تكمل بيانات الموقع».

وأضاف: «هذا أمر بالغ الأهمية، لا سيما في الوقت الحالي لأزمة المناخ، حيث تحدث التغييرات بشكل أسرع بكثير من ذي قبل».

وتتنبأ النماذج المناخية الحديثة أنه مقابل كل درجة مئوية من الاحترار، يمكن أن تشتد دورة مياه الأرض بنسبة تصل إلى سبعة في المئة.

ما يعني عمليا أن المناطق الرطبة يمكن أن تنمو بنسبة سبعة في المئة في المناطق الرطبة والجافة بنسبة سبعة في المئة في المتوسط.

ولضمان عدم اشتداد موجات الحر والجفاف والعواصف في المستقبل هي الحد من ظاهرة الاحتباس الحراري.

ووجدت دراسة حديثة أجرتها جامعة ملبورن في أستراليا ووكالة الطاقة الدولية في باريس، أن تعهد COP26 بالحفاظ على الاحترار أقل من 3.6 درجة فهرنهايت لا يزال قابلا للتحقيق، ولكن فقط إذا تم تنفيذ جميع الالتزامات على النحو المقترح.

ومع ذلك، فإن الهدف الأكثر طموحا لاتفاقية باريس، الحفاظ على الاحترار إلى 2.7 درجة فهرنهايت (1.5 درجة مئوية) أو أقل، لديه فرصة 6–10 في المئة فقط للتحقيق، كما يقول الخبراء.

ويقدر أحدث تقرير صادر عن اللجنة الدولية المعنية بتغير المناخ أنه إذا تمكنا من الحفاظ على الاحترار العالمي عند درجتين مئويتين، فستكون أحداث الطقس المتطرفة أقوى بنسبة 14 في المئة مما كانت عليه في بداية الثورة الصناعية.

منوعات

مُعطيات «الكذبة الكبرى» عن غياب الدراما الدينية في المشهد الرمضاني

كمال القاضي

ما بين الحديث عن الدراما الاجتماعية وحضورها الطاغي على شاشات الفضائيات المصرية، والغياب المُطلق للدراما الدينية والتاريخية، تتولد مُعطيات الكذبة الكبرى التي تتردد منذ سنوات عن الضعف الاقتصادي وقصور التمويل الإنتاجي اللذان يحولا دون إتمام المشروعات الدرامية التي تعتمد على الحدث الديني أو التاريخي، حيث أكدت الأعمال الضخمة التي أنتجت وعُرضت خلال شهر رمضان أن أزمة المسلسل الديني ونظيره التاريخي لم تكن أبداً في عدم وجود موارد مالية كما يروج البعض، بل هي أحد العوامل المهمة المطلوب توافرها والتي يُمكن التغلب عليها لو حسنت النية وباتت هناك رغبة فعلية في إنجاز عمل ديني أو تاريخي على غرار ما كان في السابق.

لقد بدا التدفق المالي قوياً للغاية في العديد من الأعمال والبرامج إلى الحد الذي يُمكن وصفه بالسفه، فهناك جهات تمويلية أنفقت على برامج هزلية بلا طائل أضعاف الميزانية المطلوبة للمسلسل الديني أو التاريخي وهو ما يجعل الوقوف عند مسألة المعوق المالي ضرباً من السذاجة إذا ما تم تصديق الحجة الواهية المُعللة لغياب المُصنف الإبداعي الأهم.

فقد كان حرياً بمن ينفقون ملايين الدولارات على النكات والمساخر ومُسليات ومُشهيات ما بعد الإفطار أن يلتفتوا إلى خلو الخريطة الدرامية والفنية تماماً من أية مسحة دينية لها صلة بسيرة أحد الصحابة أو أي فتح من الفتوحات الإسلامية أو حتى مجرد الإشارة لغزوة من الغزوات التي انتصر فيها المسلمون ولو من باب التذكير وذراً للرماد في العيون.

لقد تم التركيز على محاربة الفكر المُتطرف أكثر من العناية بالبحث عن البديل الصحي ليكون صورة حية للإسلام الصحيح بمآثر رموزه من العلماء والمفكرين والمحاربين والأبطال كما حدث في العشرين عاماً الأخيرة التي كتب فيها الشاعر والكاتب عبد السلام أمين نماذج مضيئة من سير الخلفاء الراشدين، كمسلسل «عمر بن عبد العزيز» و«هارون الرشيد» و«تحت ظلال السيوف» و«قاهر الروم» و«آخر المماليك» وغيرها، بالإضافة لما كتبة الراحل يسري الجندي حول الوقائع التاريخية كمسلسل «الطارق» على سبيل المثال، أو ما أنجزه المخرج حسام الدين مصطفى الذي قدم مسلسلات غاية في الأهمية مثل، «الفرسان والأبطال» و«أبو حنيفة النعمان» و«صقر قريش» و«ابن حزم» و«عصر الأئمة» و«نسر الشرق» وغيرها من دلائل اهتمامه بالتاريخ الإسلامي.

فلم يكن المخرج الكبير يُقصر نشاطه الإبداعي على الأفلام فقط بمحتواها السياسي أو الحركي أو الاجتماعي، وإنما وضع في اعتباره الاعتناء بالتاريخ كمادة درامية خصبة تقدم دروساً مُستفادة للإنجازات والانتصارات والإخفاقات باعتبار ذلك من مهام المُبدع الأساسية ودورة الثقافي البناء.

هذه النوعيات التاريخية التي كانت من مكونات الدراما المصرية في عصر القوة الذي شهده قطاع الإنتاج في التلفزيون المصري قبل انهياره وتوقفه التام عن المُساهمة في أي شيء، ما دعا الجهات الإنتاجية الخاصة إلى الهيمنة الكاملة على الساحة وفرض أنماطها الهدامة باختلاق أزمات ومعارك وهمية داخل الحارات المصرية لم تكن قبل ذلك طافية على السطح بقبحها كما هو الآن.

لقد كانت مؤسسات الإنتاج القومي المصري المُتمثلة في قطاع الإنتاج وصوت القاهرة والإنتاج المتميز والإذاعة، تتقاسم الأدوار الإبداعية في ما بينها وتتبارى للارتقاء بالذوق العام والتفتيش في سراديب التاريخ وخزائنه العامرة عن القصص والحكايات التراثية لتقدم للمُشاهد والمُستمع ما ينفعه ويُثقل ثقافته الدينية ويحميه من شطط الأفكار المغلوطة والهدامة، فالموارد المُتاحة كانت أقل بكثير مما هي عليه في الوقت الحالي، لكن العقول كانت ممتلئة بالأفكار والمواهب الحقيقية كان لها النصيب الأوفر من الفرص.

وبمُقتضى هذا المبدأ ولدت الأعمال الكبرى كـ«الوعد الحق» و«على هامش السيرة» والاثنان مأخوذان عن راويتين لعميد الأدب العربي طه حسين، بخلاف أعمال أخرى قيمة أنتجت في عدة أجزاء كمسلسل «محمد رسول الله» وهو من أيقونات الدراما المصرية وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً ونجاحاً. غير أن هناك إنتاجاً سينمائيا متميزا أيضاً كان محاذياً للإنتاج التلفزيوني ومُكملاً لدائرة الإبداع التاريخي والديني، والأمثلة الدالة عليه كثيرة وغنية، «فجر الإسلام» و«ظهور الإسلام» و«الشيماء» و«هجرة الرسول» و«بلال مؤذن الرسول» و«عظماء الإسلام» إلى آخر ما تتضمنه القائمة السينمائية المحفوظة عن ظهر قلب في ذاكرة ووجدان الجمهور المصري والعربي.

وبرغم المآخذ القليلة على بعض هذه الأفلام إلا أن وجودها كان ضرورياً ومهماً وداعما للثقافة العربية بوجهيها الديني والتاريخي.

إن أهم ما لفت النظر في الإنتاج الدرامي الرمضاني بزخمه وتفاصيله هو ذلك التشريح المُجتمعي على نحو بالغ السلبية، حتى الأعمال الكوميدية الخفيفة اتسم معظمها بالركاكة والبلاهة فمسلسل «رانيا وسكينة» لروبي ومي عمر كان تنويعاً غير مُستساغ على قصة ريا وسكينة التي استُنسخت في أكثر من شكل، فمنها فيلمان أحدهما تراجيدي أبيض وأسود بطولة أنور وجدي ونجمة إبراهيم والثاني كوميدي بطولة شريهان ويونس شلبي، بالإضافة للمسرحية الشهيرة التي لعب بطولتها سهير البابلي وشادية وعبد المنعم مدبولي وأحمد بدير.

كل هذه دلالات وإمارات الفوضى التي شهدها موسم الضحك على الجمهور والذي تم إغراقه بالعشرات من النماذج الدرامية الغثة ولم يغب عنه سوى الإبداع الديني والتاريخي، ثنائي التميز الوحيد المُفتقد منذ سنوات بقصد أو بالصدفة!

جديد اللقاء الفني بينهما يثمر قريباً مدرسة

أميمة الخليل وبيار جعجع جمعهما الهدف

بيروت–«القدس العربي»: زهرة مرعي

من عادة المسارح أن تشير إلى نفسها عبر الإعلان المطبوع والمضاء، مع إشارة مميزة لساحة منظورة من محيطها. هذا في المدن والبلدان الطبيعية، بينما في بيروت وخلال الدخول إلى مبنى المكتبة الوطنية الفريد بجماله وقدم هندسته لا بد من الإستعانة بضوء محمول لإستكشاف الطريق. هذا الخارج الموصول بشح الكهرباء اللبنانية يتبدّل في الداخل. تزول حالة الإنكماش حين يبدأ اللقاء مع أميمة الخليل وبيار جعجع وفريق الراقصين من الصم.

حفل يفرح ويُنسي ما سبقه. تعاون يتوسع بين أميمة وبيار وبستقطب جمهوراً واسعاً. أفق هذا التعاون مفتوح على اختبارات تشغل كليهما. لـ«القدس العربي» باحا أنهما بصدد تأسيس مدرسة للتدريب على الغناء والرقص، وقد اختارا لها إسم «حواس». عالم جديد أقنع أميمة الخليل، وحملها إلى لغة جديدة لها من يتكلمها. كما أن الشمعة التي أنِس لتراقص شعلتها في عتمة الملجأ بيار جعجع، أخذت بيده إلى طموح من دون حدود في عالم الفن.

عن حفل «زمن» ومشاريع المستقبل هذا الحوار مع الخليل وجعجع:

○ **هل سلّمت بالـ«خربطات» التي أدخلها بيار جعجع على حضورك المسرحي بسهولة؟**

● أميمة: عندما تعرّفت إلى بيار جعجع شعرت بالخجل لأنني أجهل اللغة التي يحكيها مع آخرين. وسريعاً طرحت على نفسي السؤال لماذا لا نعرف تلك اللغة، ولماذا لا نتعلمها؟ في داخلي رغبة كبيرة تدفعني للتوغل أكثر في كل جديد أتعرّف إليه لأكتشفه أكثر. وما شاهدتموه على المسرح، شعرت بالقابلية لتلقفه وإتقانه وتقديمه للجمهور. وإن وجدت في هذا تسليماً فليكن، إذاً سلّمت بخربطات بيار.

○ **وهل وجدت سهولة بالحركة كون الجسد ولسنوات تأقلم مع الحضور الكلاسيكي على المسرح؟**

● أميمة: في رأيي تسهل الأمور عندما نتسلّح الإرادة. لكني وبصراحة تراودني مشاعر متعددة على المسرح. ففي أحيان أشعر بالخجل، وفي أحيان أخرى أشعر بأني أخطئ على صعيد لغة الإشارة. ويبقى التأقلم مع الحركة مسألة ليست سهلة مطلقاً، فهي تستهلك من قدرات المغني وبخاصة لجهة النَفَس والتركيز.

○ **هل نقول أنها أخذت من حضورك أم أضافت إليه؟**

● أميمة: بالتأكيد أضافت. ما أقوم به ناتج من إيمان وبالتالي الإضافة هي المتوقعة والمنتظرة.

○ **بيار جعجع أستاذ في تصميم الرقص والحركة على المسرح. كم تمتاز أميمة باللّيونة الفكرية برأيك لقبول التغيير في حضورها على المسرح؟**

● بيار: قررت أميمة أن نتعاون معاً وهي تمتلك الموهبة ولديها القدرة على الحركة. لم أكن بحاجة لإقناعها بالمشاركة في الحركة على المسرح، بل بنيت العمل مستنداً إلى موهبتها ورغبتها.

○ **يبدو أن طموحك بعيد المدى على صعيد التعاون مع أميمة؟**

● بيار: صحيح، الطموح كبير وهو أن نمتلك معاً مدرسة فنية إخترنا أن نسميها «حواس». أميمة تتولى التدريب على الأداء، وأنا أتولى التدريب على الإشارة والرقص.

○ **كيف ترسم الكوريغرافيا بالتناغم مع معنى كلمات الأغنيات؟**

● بيار: بعد اختيار الأغنيات وتوضيح الكلمات ومعانيها في لقاء مع أميمة، أنصرف وحيداً للتركيز على الكلام، والتفكير في صياغة الكوريغرافيا المناسبة. تحضيراً لحفل «زمن» في المكتبة الوطنية عملت مع أميمة لشهرين متواصلين طلباً لتوضيح كافة الأمور، والتوافق معاً على الإشارات وتحسين وتطوير تعليم لغة الإشارة لضبط معنى الكلمات مع الإشارة. في الواقع العمل لم يكن سهلاً، والفريق الذي تعاونت معه أخافته الصفحات المتعددة للأغنيات السبع التي كنا بصدد تجسيدها عبر الكوريغرافيا ولغة الإشارة. بالنسبة لي يصبح العمل أكثر صعوبة عندما يعتمد الكلمات من دون موسيقى.

○ **بالعودة إلى برنامج حفل «زمن» لماذا قررت أن تركب «الطبقة الوسطى» في القطار الذي لا أثر له في لبنان؟**

● بيار: كنا حيال سبع أغنيات وسبعة عناوين. الأسطى كان موجوداً في لبنان، وكذلك الـ«تران» وهما معاً اختفيا من الوجود. كنت صغيراً عندما كنت أرافق والديّ وأرى الـ«تران» سنة 1990 والذي كان يعمل بين الدورة وطرابلس والبقاع. وجدت تجانساً بين الطبقة الوسطى والـ«تران» والزمن الذي اختفى، فكان هذا التجسيد للأغنية.

○ **هل تقرأ في هذه الأغنية بالتحديد أية اشارة اقتصادية أم اجتماعية؟**

● بيار: أجدها تجمع الجميع في هذا الوطن إلى أي طائفة أو مذهب انتموا. فالطبقة الوسطى جمعت كافة الطوائف «بين اليأما ويأما». سياسياً تمثّل الطبقة الوسطى الوحدة. من خلال الفن نسعى لتقديم صورة مختلفة عن تلك التي تمارسها الدولة. فمن شأن الفن أن يضيء على مواقع الخلل في مجتمعنا علّنا نتمكن من تصويبها.

○ **كيف تمّ اختيار البرنامج وما هو دور بيار في هذه العملية؟**

● أميمة: نبحث أولاً فيما بعضها لتصبح أجمل. وفي أحيان لا نتمكن من تجسيد وترجمة حَرْفية النص بما هو مناسب في لغة الإشارة، فنبحث عن المناسب والأفضل. وهنا نشير إلى تغيير وتطوير في لغة الإشارة، فهي استقبلت تجديداً مهماً. من جهة أخرى نلتقي أفراداً من الصم، ونتحاور معهم بحيث نختار معاً الحركة الأجمل التي تصل للمتلقي من خلال المسرح. إذاً من أميمة أتعرّف إلى معاني الأغنيات والكلمات، ومن ثمّ أقصد مدرسة

«حواس» للتدريب على الأداء والإشارة والرقص

الفني ومعاً حملا لغة الإشارة إلى المسرح

○ **هل تفسّر لنا المقاصد من اسكتش الحذاء مع زميلك علي الآتات؟**

● بيار: نتعاون أنا وعلي منذ سنوات، وهو يمتلك أفكاراً ذات أبعاد. يرى الناس ينظرون إلى حذاء الشخص بهدف تقييمه انطلاقاً منه. فهم يخمنون من ماركة هذا الحذاء، وكم ثمنه؟ وتالياً يضعون العلامة للشخص المُعْني انطلاقاً منه. برأينا علي وأنا أن الإنسان هو الإنسان مهما كان نوع حذائه وشكله. المهم هو فعل هذا الإنسان. أردت إضحاك الحضور خلال الحرب الأهلية، وأكثر ما أذكره الشمعة. فهذه الشمعة ومراقبتي لحركتها في الملجأ، والكل يتكلم وأنا لا أسمع ماذا يقولون، شكلت الأنيس الوحيد لي. وهكذا صرت أقلد حركة ضوء الشمعة وأتمايل معه، ومن خلاله سيضحكون لهذا العرض الإيمائي الذي أديته مع علي الآتات، تماماً كما ضحكنا ولا نزال نضحك لحضور شارلي شابلن على الشاشة. فشابلن يرتدي البنطلون القصير، المعلق بحزام إلى كتفيه بصورة كاريكاتورية معبّرة.

○ **ماذا تعني لك أغنية «رسايل» التي جسدتها في استكش مع مجدالدين أسعد؟**

● أميمة: أثره بنفسي كبير وعلى مستويات مختلفة. أظنّ بأني أكثر من غنّى من شعر محمد العبدالله. كان يشير لبعض الأشعار ورغبته بأن أغنيها، لكن العدد الأكبر من الأغنيات التي أديتها من كلماته من اختياري وحدي. كان يستغرب بعض اختياراتي، ومنها على سبيل المثال «هذا الرأس سيقتلني». وكان تعليقه «أووف كيف يعني هيك»؟ وعندما سألته تفسيراً لاستغرابه كان رده «أنت امرأة وعليك الاهتمام بشكلك» وذهبت مباشرة إلى قصيدة «هذا». رحمه الله.

○ **في بدايات تعاوني مع أميمة كنت أختار الأغنيات التي تتضمن إيقاعا كي أشعر بها، وأتمكن من بناء حركة عليها. حالياً اختلفت الحيثيات فأنا أصمم رقصاً على أغنية تؤديها أميمة أكابلاً. فصوت أميمة يشبه الموسيقى.**

○ **هل تختاران الأغنيات بسرعة أم يستغرق النقاش وقتاً؟**

● بيار: ربما نختار البرنامج بسرعة، لكن بناء البرنامج يحتاج إلى جهد كبير خاصة وأني لا أسمع. أعود مراراً إلى ما كتبته خلال التمارين، والملاحظات التي أدونها في كل تمرين بهدف التعديل.

○ **في «نيالك» صممت رقصاً تعبيرياً مميزاً. ما الذي يعجبك في هذه الأغنية؟**

● بيار: أحبها لأني أشعرها انعكاساً للوضع اللبناني. كثر يقتلون الوقت بلعب الطاولة في الهواء الطلق. فهل نحسدهم عندما نقول «نيالك»؟

○ **وهل ترك الشاعر الراحل محمد العبدالله أثراً كبيراً في نفسك كونك تذكرينه على المسرح؟**

● أميمة: أثره بنفسي كبير وعلى مستويات مختلفة. أظنّ بأني أكثر من غنّى من شعر محمد العبدالله. كان يشير لبعض الأشعار ورغبته بأن أغنيها، لكن العدد الأكبر من الأغنيات التي أديتها من كلماته من اختياري وحدي. كان يستغرب بعض اختياراتي، ومنها على سبيل المثال «هذا الرأس سيقتلني». وكان تعليقه «أووف كيف يعني هيك»؟ وعندما سألته تفسيراً لاستغرابه كان رده «أنت امرأة وعليك الاهتمام بشكلك» وذهبت مباشرة إلى قصيدة «هذا». رحمه الله.

○ **كيف تمّ اختيار البرنامج وما هو دور بيار في هذه العملية؟**

● أميمة: نبحث أولاً فيما تحمله الأغنية من رسائل. كنا حيال اختيارات لها صلة بلبنان والأوضاع الحالية التي نعيشها. ومن المؤكد أن أي برنامج ستكون لفلسطين مساحتها الخاصة ضمنه، فأخترنا أغنية «بنت وصبي».

○ **بيار: في بدايات تعاوني مع أميمة كنت أختار الأغنيات التي تتضمن إيقاعا كي أشعر بها، وأتمكن من بناء حركة عليها. حالياً اختلفت الحيثيات فأنا أصمم رقصاً على أغنية تؤديها أميمة أكابلاً. فصوت أميمة يشبه الموسيقى.**

○ **هل تختاران الأغنيات بسرعة أم يستغرق النقاش وقتاً؟**

● بيار: ربما نختار البرنامج بسرعة، لكن بناء البرنامج يحتاج إلى جهد كبير خاصة وأني لا أسمع. أعود مراراً إلى ما كتبته خلال التمارين، والملاحظات التي أدونها في كل تمرين بهدف التعديل.

○ **في «نيالك» صممت رقصاً تعبيرياً مميزاً. ما الذي يعجبك في هذه الأغنية؟**

● بيار: أحبها لأني أشعرها انعكاساً للوضع اللبناني. كثر يقتلون الوقت بلعب الطاولة في الهواء الطلق. فهل نحسدهم عندما نقول «نيالك»؟

○ **وهل ترك الشاعر الراحل محمد العبدالله أثراً كبيراً في نفسك كونك تذكرينه على المسرح؟**

● أميمة: أثره بنفسي كبير وعلى مستويات مختلفة. أظنّ بأني أكثر من غنّى من شعر محمد العبدالله. كان يشير لبعض الأشعار ورغبته بأن أغنيها، لكن العدد الأكبر من الأغنيات التي أديتها من كلماته من اختياري وحدي. كان يستغرب بعض اختياراتي، ومنها على سبيل المثال «هذا الرأس سيقتلني». وكان تعليقه «أووف كيف يعني هيك»؟ وعندما سألته تفسيراً لاستغرابه كان رده «أنت امرأة وعليك الاهتمام بشكلك» وذهبت مباشرة إلى قصيدة «هذا». رحمه الله.

○ **كيف تمّ اختيار البرنامج وما هو دور بيار في هذه العملية؟**

● أميمة: نبحث أولاً فيما بعضها لتصبح أجمل. وفي أحيان لا نتمكن من تجسيد وترجمة حَرْفية النص بما هو مناسب في لغة الإشارة، فنبحث عن المناسب والأفضل. وهنا نشير إلى تغيير وتطوير في لغة الإشارة، فهي استقبلت تجديداً مهماً. من جهة أخرى نلتقي أفراداً من الصم، ونتحاور معهم بحيث نختار معاً الحركة الأجمل التي تصل للمتلقي من خلال المسرح. إذاً من أميمة أتعرّف إلى معاني الأغنيات والكلمات، ومن ثمّ أقصد مدرسة سيضحكون لهذا العرض الإيمائي الذي أديته مع علي الآتات، تماماً كما ضحكنا ولا نزال نضحك لحضور شارلي شابلن على الشاشة. فشابلن يرتدي البنطلون القصير، المعلق بحزام إلى كتفيه بصورة كاريكاتورية معبّرة.

○ **ماذا تعني لك أغنية «رسايل» التي جسدتها في استكش مع مجدالدين أسعد؟**

● أميمة: أثره بنفسي كبير وعلى مستويات مختلفة. أظنّ بأني أكثر من غنّى من شعر محمد العبدالله. كان يشير لبعض الأشعار ورغبته بأن أغنيها، لكن العدد الأكبر من الأغنيات التي أديتها من كلماته من اختياري وحدي. كان يستغرب بعض اختياراتي، ومنها على سبيل المثال «هذا الرأس سيقتلني». وكان تعليقه «أووف كيف يعني هيك»؟ وعندما سألته تفسيراً لاستغرابه كان رده «أنت امرأة وعليك الاهتمام بشكلك» وذهبت مباشرة إلى قصيدة «هذا». رحمه الله.

○ **هل تفسّر لنا المقاصد من اسكتش الحذاء مع زميلك علي الآتات؟**

● بيار: نتعاون أنا وعلي منذ سنوات، وهو يمتلك أفكاراً ذات أبعاد. يرى الناس ينظرون إلى حذاء الشخص بهدف تقييمه انطلاقاً منه. فهم يخمنون من ماركة هذا الحذاء، وكم ثمنه؟ وتالياً يضعون العلامة للشخص المُعْني انطلاقاً منه. برأينا علي وأنا أن الإنسان هو الإنسان مهما كان نوع حذائه وشكله. المهم هو فعل هذا الإنسان. أردت إضحاك الحضور خلال الحرب الأهلية، وأكثر ما أذكره الشمعة. فهذه الشمعة ومراقبتي لحركتها في الملجأ، والكل يتكلم وأنا لا أسمع ماذا يقولون، شكلت الأنيس الوحيد لي. وهكذا صرت أقلد حركة ضوء الشمعة وأتمايل معه، ومن خلاله

○ **في حفل متعدد الأطراف من يضبط المساحة الخاصة للجميع بهدف التناسق والتناغم؟**

● أميمة: من المفروض أن أقوم بهذه المهمة. عندما أكون مع بيار على عمل بدافع جني المال.

○ **هل تجذبك الموسيقى أكثر أم الكلام لتصميم رقصة ما؟**

● بيار: الكلام بالتأكيد.

○ **صفق الحضور بشكل غير معهود من سنوات للنشيد الوطني عندما قدّمته مرفقاً بإشارات اليدين. هل لاحظتهم؟**

● بيار: بكل تأكيد. كنا في مؤسسة رسمية وطلب وزير الثقافة أن يُعزف النشيد واحترامنا رأيه. النشيد هو الوطن والعلم والحرية والعمل للشباب. إذا ما يقوله النشيد وما يهدف إليه ممتاز، لكن أين العمل؟ برأي الشخصي لا أجد التصفيق إثر النشيد محبذاً بعد تفجير المرفأ، فنحن في خيبة كبيرة من حكّام هذا الوطن.

○ **أميمة: ونحن بدورنا خذلنا هذا الوطن.**

● كيف اخترت فريق الراقصين علي الآتات ومجدالله أسعد وعيلة حداد التي رقصت على أغنية عصفور؟

● بيار: الفريق كبير بينه مجموعة من الأطفال، وكذلك تيا وزويه وماري جوزيه، وجميعهم حضروا معنا في حفل فندق البستان. تعرّفت إلى علي الآتات عبر فيسبوك. ومجدالله الأسعد تلميذي في المدرسة الخاصة بالصم «إيراب». كثر يرغبون بالانضمام للفريق لكن الإختيار دقيق ووفق معايير محددة. نحن في مرحلة اختيار للمزيد من العناصر، وهذا مرتبط بالإمكانات المادية التي نمتلكها. أتشاور دائماً مع أميمة بشأن أفراد الفريق، وذلك احتراماً للتعاون القائم بيننا.

القدس العربي الاسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير: سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 شارع قصر النيل - الطابق الأول - شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان - الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
Volume 34 - Issue 10617 Sunday 8 May 2022
السنة الرابعة والثلاثون العدد 10617 الأحد 8 أيار (مايو) 2022 – 7 شوال 1443 هـ

غزة: فرق شبابية تنظم مبادرات تطوعية لترميم الأماكن الأثرية المهجورة

إسماعيل عبدالهادي

تواجه العديد من المناطق الأثرية في قطاع غزة التهميش المتعمد من قبل الجهات المسؤولة عن حمايتها وإعادة ترميمها، حتى بات جزء كبير منها مكباً للنفايات، نتيجة إهمال قيمتها. وانطلاقاً من وعيهم وحفاظاً على القيم الحضارية العريقة الممتدة لآلاف السنين، أطلق فريق شبابي مؤخراً مبادرة لترميم المنازل الأثرية المتروكة وحمايتها من الاندثار.

وعند المرور في طرقات وأزقة منطقة غزة القديمة والتي تمتد من ميدان فلسطين غرباً حتى حي الشجاعية شرقاً، يرى الزائر الجدران العتيقة والأقواس بلونها الرملي، التي يعود جزء منها إلى الحقبة العثمانية، ومعظم الجزء الآخر للحقبة المملوكية والكنعانية.

وعادة ما يتولى ترميم المناطق الأثرية هواة أو فرق شبابية تعمل ضمن برامج ممولة دولياً، في ظل غياب الجهود الرسمية المحلية، والانشغال في القضايا السياسية وكذلك ضعف السياحة، وتهميش منظمة السياحة العالمية قطاع غزة، بسبب سيطرة حماس عليها قبل أكثر من عشرة أعوام.

وتمكن فريق مكون من 20 شاباً وشابة، من البدء بإعادة ترميم مجموعة من الأماكن الأثرية، بهدف إعادة إحيائها، ولفت الأنظار إلى أهمية الحفاظ على التراث المعماري المهدد بالاندثار، خاصة وأن غزة سكنتها العديد من الحضارات القديمة على مدار العصور.

وتحتضن مدينة غزة عدداً كبيراً من المعالم السياحية والتاريخية والأسواق والمساجد والكنائس والقصور والمقامات والتلال، ويعتبر بيت السقا الذي يمتد عمره لمئات السنين على مساحة تبلغ نحو 700 متر، واحدا من أبرز المنازل المهجورة، وتم ترميمه من قبل الفريق الشبابي قبل فترة وتحويله إلى مركز ثقافي.

ويطمح القائمون على المبادرات على إبراز الدور الذي يمكن للثقافة والفنون أن تلعبه كأداة فعالة لتحقيق التغيير المجتمعي عبر حماية الأماكن الأثرية. وسعى أصحاب بيت السقا سابقاً، إلى تحويله لمتحف أثري يظهر جمالية التاريخ والثقافة والحضارة الفلسطينية، إلا أن الجهود الرسمية المبذولة تجاه البيت وغيره من البيوت القديمة غير كافية، إذ تحتاج إلى تمويل دائم لا تستطيع توفيره، وتحاول الجهات الحكومية العمل على حماية الآثار من الدمار بشكل بسيط حسب الموازنات المتاحة.

يقول الخبير في الآثار فضل العطل إن المبادرات التي تنطلق من غزة ساعدت في الحفاظ على مجموعة كبيرة من المناطق الأثرية الشامخة التي تروي جدرانها العتيقة حكايات من التاريخ والمجد، وإحدى هذه المبادرات التي انطلقت مؤخراً، هي «بيتكم عامر» والتي تهدف لبث الحياة في الأماكن الأثرية، من خلال إزالة القمامة والركام من داخلها والحفاظ على تاريخ وهوية هذه المناطق.

ويوضح لـ«القدس العربي» أن عمليات الترميم والتنظيف تتم باستخدام أدوات بدائية وتحتاج إلى دراسة جيدة، كما أن الترميم يبدأ بعد التعرف على نوعية مادة البناء التي تكون عادة من الحجر الرملي، ثم درس سمك الجدران والأساسات الأصلية التي بنيت منها، ليصمم الفريق قوالب تتناسب مع عملية الترميم، وتكون متوافقة مع الشكل المعماري للمبنى.

ولفت إلى أن المبادرات تأتي بعد تنفيذ العديد من الفعاليات الثقافية والمجتمعية الهادفة إلى إحياء البلدة القديمة شرق مدينة غزة، بهدف تعزيز مشاركة أكبر عدد ممكن من المتطوعين، وبناء حوار مجتمعي معهم وتعريفهم بالهوية الثقافية وبأهمية عمل المبادرة.

ويقول أستاذ علم الآثار الدكتور أيمن حسونة أن هناك العديد من المناطق والمواقع الأثرية في قطاع غزة تعرضت بسبب الزحف العمراني للهدم والتجريف ولاسيما البيوت التي تجاوز تشييدها 200 عام، وهي تعود لعائلات عريقة في القطاع، ومن أبرزها بيت السقا وغيرها من البيوت التي تعود ملكيتها لعائلات أخرى. وأشار لـ«القدس العربي» إلى أن تصاعد نشاط المبادرات التطوعية مؤخراً، يهدف إلى محاولة التدخل السريع لإنقاذ المواقع الأثرية من الانهيار، لأن عملية الترميم تعيد للمواقع مكانتها التاريخية والثقافية، وتحافظ على ما تبقى منها وتحميها من الضرر الواقع عليها من الهجر والإغلاق، وتسهم في تحويلها إلى مقاصد للسياحة وتصبح أكثر جذباً للزوار.

وأضاف أن عملية الترميم تحتاج إلى مبالغ كبيرة وغالباً ما يتم تغطية تكاليف هذه المشاريع من قبل مؤسسات دولية تهتم بالآثار، كما أنها مهمة ليست بالسهلة بل تحتاج إلى درس عميق للمكان لمعرفة تاريخه وطريقة تشييده، لافتاً إلى وجود بعض المبادرات الشبابية الشخصية، التي تقوم على تنظيف الأماكن الأثرية من الركام والأتربة تسهيلاً لعملية الترميم. ووفق وزارة السياحة والآثار في غزة، فإن عدد المباني الأثرية في البلدة القديمة شرق مدينة غزة بلغ 117 تتنوع بين البيوت والمساجد والكنائس والقصور والمقابر والمدارس، وتعمل الوزارة والجهات الخاصة على حماية هذه الأماكن، وجذب الزوار وتعريفهم بتاريخها.

جوان ماكدونالد «مؤثرة لياقة بدنية» تبلغ من العمر 75 عاماً

لندن ـ «القدس العربي»:

مع أنها واحدة من بين العديد من «المؤثرين في اللياقة البدنية» على منصة انستغرام، إلا أن ما يميّز الكندية جوان ماكدونالد هو أنها تبلغ من العمر 75 عامًا وبدأت قصتها مع الرياضة والتمتع باللياقة البدنية في فترة متأخرة جداً من حياتها. ويثير بروفايلها الشخصي الاستثنائي على شبكة التواصل الاجتماعي، اعجاب العديد من المتابعين، الذين يصل عددهم إلى 1.5 مليون مشترك.

على غرار جميع المؤثرين، تشارك جوان ماكدونالد العديد من مقاطع الفيديو الخاصة بتمارين بناء العضلات يوميًا تقريبًا على حسابها على انستغرام، تشرح فيها الطريقة الصحيحة للقيام ببعض التمارين.

قبل خمس سنوات تقريبًا، في مطلع عيد ميلادها السبعين، لم تكن ماكدونالد تمارس نفس اللياقة البدنية أو أسلوب الحياة نفسه. تراكمت عليها المشاكل الصحية، الكوليسترول والسمنة وارتفاع ضغط الدم والفشل الكلوي والإرهاق العام أو حتى صعوبة صعود السلالم، كانت جزءًا من حياتها اليومية قبل أن تقرر السيطرة على نفسها ومباشرة الرياضة، كما شرحت في مقابلة خصت بها قناة «أي –بي– سي نيوز» الأمريكية في شباط/فبراير الماضي.

بمساعدة ابنتها، المدربة الرياضية، قررت جوان أن تغير نمط حياتها بشكل جذري، في 71 من عمرها، حيث التحقت بها لمدة شهر في المكسيك، البلد الذي تدير فيه صالة ألعاب رياضية مع زوجها. وباتت تمارس هناك، كل يوم، تمارين الضغط والجلوس والتمدد، كما أنها غيرت نظامها الغذائي.

منذ الشهر الأول، فقدت ما يزيد قليلاً عن 4 كيلوغرامات، وقوّت عضلاتها وتمكنت من تقليل تناول الأدوية.

وأضحت تذهب إلى صالة الألعاب الرياضية خمس مرات في الأسبوع، لدرجة أنها فقدت ما يقرب من 30 كيلوغراما في المجموع وتحسنت حالتها الصحية بشكل كبير. في الواقع، بعد أربع سنوات من ممارسة الرياضة، لم تعد بحاجة إلى بعض الأدوية: أدوية ضد ارتفاع ضغط الدم والكوليسترول والارتجاع المعدي.

إلى جانب جلساتها الرياضية وجهودها الغذائية، تشجعها ابنتها على إنشاء حساب على انستغرام لتوثيق تقدمها والتبادل مع الآخرين. أنشأت المرأة السبعينية موقعًا إلكترونيًا وتطبيقًا للهاتف المحمول لنشر نصائحها على نطاق أوسع.